

البحاثة العربية الفصحى

- ★ اللغة، نشأتها، أوضاعها، حاضرها، مستقبلها
- ★ مناهج التأليف النحوي
- ★ علم الصرف بين المعيارية والوصفية

الدكتور غانم قدوري أحمد



دار عماد

البحار العربية الفصحى



مفرد الطبع كنفوز للنشر
الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٧/١٧١٣)

٤١٠

الحمد، غام قنوري

أبحاث في اللغوية الفصحى / غام قنوري - عمان: دار عمار،

٢٠٠٤

(٣٣٦) ص.

ر. ١: () .

الواصفات: / اللغة العربية / الأبحاث /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٤/٧/١٦٩٥)



دار عمار للنشر والتوزيع

مقره: مكانة النخاع، حيّ: سوق البقراء - عمان - الأردن
الهاتف: ٤٦٥٢٢٧ - ص. ب. ٩٥١٦٩١ - عمان - الأردن ١١١٩٥

البحاثة العبرية الفصحى

- ★ اللُّغَةُ: نَشَأَتُهَا، أَصْبَالُهَا، حَاضِرُهَا، مُسْتَقْبَلُهَا
- ★ مَنَاجِجُ التَّأْلِيفِ النَّحْوِي
- ★ عِلْمُ الصَّرْفِ بَيْنَ الْمَعْيَارِيَّةِ وَالْوَصْفِيَّةِ

الدُّكْتُورُ غَاثُ قُدُّورِي الْحَمْدُ



دار النشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ ربُّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانٌ إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ اشتغالي بعلوم اللغة العربية مُدَّةَ تزيد على ربع قرن، وممارستي البحث والتأليف فيها، قد لفت نظري إلى عدد من القضايا المتعلقة بتاريخ العربية القديم والحديث، أو بمنهج دراستها أو تدريسها. فكتبت مجموعة أبحاث تتناول عدداً من تلك القضايا، أحسب أنني قد أتيت فيها بجديد، أو صححت وهماً، أو وُضِّحتُ غامضاً.

ونُشرَ معظمُ تلك الأبحاث في مجلات متفرقة، مما جعل اطلاع الباحثين عليها أو إفادتهم منها محدوداً، وقد يأتي زمان تُنسى فيه تلك الأبحاث، ورغبة مني في جمعها في عمل واحد، لتيسير الاطلاع عليها، وما أقدر من أهمية القضايا التي عالجتها، وما أرجوه من تحقق فائدة منها، فإني جمعتها في هذا الكتاب.

ولم أرَ تلك الأبحاث بحسب تاريخ كتابتها أو نشرها، ولكنني اعتمدت في ترتيبها على أساس طبيعة موضوعها، فجعلت من تعريف اللغة لدى علماء العربية تمهيداً، ثم قسمتها على ثلاثة فصول، الأول جَمَعَ ثلاثة أبحاث تناولت قضايا تاريخية تخص نشأة علوم اللغة العربية، وتكوُّن العربية الفصحى، وأصالة ظاهرة الإعراب فيها.

وتضمن الفصل الثاني بحثين عن حاضر العربية ومستقبلها، الأول عن واقع العربية في العصر الحديث، والثاني عن مستقبل اللغة العربية في ضوء قوانين التطور اللغوي.

وَضَمَّ الفصل الثالث بحثين يتعلّقان بقضايا منهجية، الأول في مناهج التأليف النحوي، والثاني في علم الصرف بين المعيارية والوصفية.

وحافظتُ في هذا الكتاب على الأبحاث في صورتها الأولى التي كُتِبَتْ بها، على الرغم من إمكانية مراجعتها، والإضافة إليها أو التغيير فيها، لكنني لم أجد ضرورة علمية ملحة تدعو إلى ذلك، وهي منشورة على هذه الصورة.

وأرجو من القارئ إذا وَجَدَ فيها ما يتفقه أن يدعو لكتابتها، وإذا كان فيها نقص، أو خطأ فإن النقص من طبيعة البشر، والكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه، وحسبي أنني بذلت ما في وسعي، على قلة بضاعتي، وضعف حالتي، والحمد لله تعالى على توفيقه، هو حسبنا ونعم الوكيل.

تكريت

الثلاثاء ٣ - مايس - ٢٠٠٣م

١٢ - ربيع الأول - ١٤٢٤هـ

تمهيد

تعريف اللغة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أمّا بعد:

فعلى الرغم من تمتع كل واحد منا بالمقدرة على استخدام اللغة بسهولة، وجَدَ اللغويون صعوبة في صوغ تعريف علمي شامل لها، ولم يتفقوا على صيغة موحدة^(١)، ولكن يمكن للدارس أن يلاحظ اتفاقهم على عدد من الأمور التي يجب أن يتضمنها التعريف، تتعلق بطبيعة اللغة، ووظيفتها.

وكانت لعلماء العربية عناية بهذا الموضوع، لكن أكثر الباحثين المحدثين يشيرون إلى تعريف ابن جني وحده، ويبدون إعجابهم بدقته وبما تضمنه، يقول الدكتور عبده الراجحي: «ومع أن ابن جني هو أول من عرّف اللغة فيما نظن فإن تعريفه بها يشير دهشة الباحثين البعيدين عن تطور الحياة العلمية العربية، لأنه يقترب اقتراباً شديداً من كثير من تعريفات المحدثين، ولأنه يشمل معظم جوانب التعريف التي عرضها علم اللغة في العصر الحديث»^(٢).

ووقفتُ على تعريفين آخرين للغة عند علماء العربية إلى جانب تعريف ابن جني، وهما يؤكدان ما تضمنه تعريف ابن جني، ويضيفان إليه عناصر جديدة، ووجدت أن هناك فائدة في عرض التعريفات الثلاثة وتحليلها، وموازنتها بما قاله المحدثون في تعريف اللغة.

(١) ينظر إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية ص ١١.

(٢) فقه اللغة في الكتب العربية ص ٦١، وينظر: محمد فهمي حجازي: المدخل إلى علم

اللغة ص ١١، ورشيد العبيدي: مباحث في علم اللغة ص ٢٥.

١- تعريف ابن جنّي (ت ٢٩٢هـ) ^(١):

قال ابن جنّي: «باب القول على اللغة وما هي: أما حَذُّها فإنها أصواتٌ يعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم» ^(٢).

٢- تعريف ابن الجبّان (كان حياً سنة ٤١٦هـ) ^(٣):

قال ابن الجبّان: «والكلام أصواتٌ قُطعت ضرباً من التقطيع، وأُلّفت ضرباً من التاليف، ووُضعت للإفهام، وأما المحفوظ والمكتوب فلن يُدعى كلاماً إلا مجازاً، وفي ذلك خلاف بين الناس» ^(٤).

٣- تعريف ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ^(٥):

قال ابن خلدون: «اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المُتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعلٌ لساني، فلا بد أن نصير مَلَكَةً مقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم» ^(٦).

ولعل من المفيد نقل عدد من تعريفات اللغة لدى اللغويين المحدثين، وتحديد العناصر الرئيسة فيها، ليتسنى لنا تحليل تعريفات علماء العربية في ضوءها، والموازنة بينها:

(١) أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي، من كبار علماء العربية في القرن الرابع الهجري، من أشهر كتبه اللغوية: الخصائص، وصر صناعة الإعراب (ينظر: الزركلي: الأعلام ٢٠٤/٤).

(٢) الخصائص ٣٤/١.

(٣) محمد بن علي بن عمر بن الجبّان أبو منصور، لغوي وأديب، له عدة مؤلفات، منها شرح فصيح ثعلب (ينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٣٠/٦).

(٤) شرح الفصيح ص ٨٧.

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤرخ وقاض، اشتهر بمقدمة كتابه في التاريخ المسمى (العبر) (ينظر: الزركلي: الأعلام ٣٣٠/٣).

(٦) المقدمة ص ٥٤٦.

١- اللغة نظام عرقي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض^(١).

٢- اللغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر^(٢).

٣- نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة الاصطلاحية^(٣).

وتدور معظم تعريفات اللغة عند المحدثين على محورين أساسيين، هما^(٤):

أ- طبيعة اللغة، وهي كونها أصواتاً.

ب- وظيفة اللغة، وهي كونها تستخدم للإبلاغ والتواصل والتعبير عن الأفكار.

وبفصل بعض الدارسين في تحليل الجوانب التي تدور حولها تلك التعريفات، ويجعلها أربعة، ويضيف إلى المحورين السابقين أن اللغة ظاهرة اجتماعية وليست فردية، وأن دلالة اللغة على المعاني عرقية وليست منطقية^(٥).

وإذا نظرنا إلى تعريفات علماء اللغة العربية للغة وجدنا أنها تتضمن الجوانب الأساسية التي ذكرها المحدثون في تعريف اللغة، وعلى الرغم من اختلاف عباراتهم فإنه يمكن ملاحظة العناصر المشتركة في تلك التعريفات^(٦)، وهي:

١- اللغة أصوات:

إن تعريف اللغة بأنها (أصوات) يبدو أمراً بديهياً، لكن ارتباط اللغة بالكتابة

(١) إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية ص ١١.

(٢) أنيس فريجة: نظريات في اللغة ص ٨.

(٣) عبد الصبور شاهين: في علم اللغة ص ٢٧.

(٤) ينظر: رشيد العبيدي: مباحث في علم اللغة ص ٢٤.

(٥) ينظر: إبراهيم أنيس: اللغة بين القومية والعالمية ص ١١-٣٨. وعبد الرزاق: فقه اللغة في الكتب العربية ص ٦٠-٧٦.

(٦) استخدم ابن الجيان مصطلح (الكلام) وهو مرادف لمصطلح (اللغة)، (ينظر: د. عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام ص ٢٧).

أدى إلى الحفظ سهماً أحداً، مما جعل نص على أنها (أصوات) شيئاً مهماً، ويسود الخلاف في هذه المسألة قدم، وهو ما يشير به قول ابن لحيان «وأما المحفوظ والمكتوب، فلن يدعى كلاماً إلا مجازاً، وفي ذلك خلاف بين الناس»

وبين الدعويين المحدثين خدلاً حول اعتبار الكتابة جزءاً من اللغة، فبعضهم يرى أن اللغة قد تكون منطوقة وقد تكون مكتوبة، يقول الدكتور محمد نمارث «نوعه في شكلها الملعوط والمكتوب أداة عميقة تستغل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أدهان»^(١) بينما لا بعد حروف الكتابة من اللغة، يقول الدكتور محمود فهمي حجازي «وكثيراً ما يحدث عند غير اساحثين في اللغة لسر من لغة والكتابة مادة البحث اللغوي إذن هي اللغة في صورتها الصوتية، وليس الكتابة في أشكالها ولا حروف الطباعة في أخطائها»^(٢) وتوسط بعض الباحثين في هذه المسألة حين قال «إن الأهمية البالغة التي تصفها بعض مدارس الدعويين على لغة الكلام ليس لها ما يبررها علمياً وفلسفياً»^(٣)

٢- اللغة لها نظام

الأصوات التي تتألف منها اللغة تأتلف في كلمات وجمل وهو نظام محدد، فكر لغة بها نظام في تركيبها، وصرّح ابن الجايد بهذه الصفة للغة في قوله «أصوات قُطعت صرناً من التقطيع، وأُلقت صرناً من التأليف»، ويشير إليه قول ابن خلدون «وهي في كل أمة بحسب اصطلاحهم»

٣ اللغة ظاهرة اجتماعية

اللغة لا تكون إلا في مجتمع، ولا يمكن بل فرد الواحد أن تكون له لغة خاصة به، ولا يعني قول ابن خلدون «هي عادة المتكلم عن مفصوده» أنها ظاهرة

(١) لغة اللغة وحواشي العربية ص ١٤

(٢) لغة العرب عبر القرون ص ٧، وينظر محمود السمرن عدم اللغة ص ٥٠

(٣) جانب اسشر ص ٢٣

فردية، يؤكد ذلك قوله في آخر التعريف «وهي في كل أمة بحسب اصطلاحهم»، وإذا كان هذا المعنى يُفهم من قول ابن الحنّال إن اللغة موضوعه للإفهام، فإن ابن حنّال صرّح بهذا المعنى في قوله «يعبر بها كل قوم»

٢ اللغة وظيفة

لغة وظيفية في المجتمع، فهي أداة للتعبير، ووسيلة للتفاهم بين أفراد مجموعة بشرية التي تستخدمها، وحيث أن تعريفات ثلاثة واضحة في التعبير عن هذه الصفة، فإن ابن حنّال قال «يعبر بها كل قوم عن أعرصهم»، وابن الحنّال قال «وصعت للإفهام» وابن حنّال قال «تعبير المتكلم عن مقصوده»

وانحلاصة أن علماء اللغة العربية كانوا مدركين لطبيعة اللغة ووظيفتها، فهي أصوات بها نظام، تستعمل في مجتمع، للإفهام والتعبير عن المقصود

ولا نحى على القاريء أن تعريفات المحدثين لهذه التي نقسها لم تأب تحديد في تعريف اللغة، على الرغم من أن تطور الفكر اللغوي والإنساني أوجع المحدثين مناقشة بعض المقاصد الجديدة المتعلقة باللغة، لكن عناصر أساسية يعرف اللغة بم تعبير، ومن ثم فإن لوقوف عند تعريف اللغة عند علماء العربية أمر مهم في يد مقدار إسهامهم في الدرس اللغوي، وسفهم في معالجة كثير من مقاصد الدعوة، والله لموفق

الفصل الأول قضايا تاريخية

(١)

النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ قَبْلَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ^(١)

المقدمة

سحر أصل علوم العربية، وأقدمها شأناً، وأعبرها مادة وتأثيراً، وقد كُتبت بحوث كثيرة عن شأنه وتأريخه، قديماً وحديثاً وكان رأي الأكثرين من متقدمين أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) هو أول من وضع أسس النحو العربي، لكن عدداً من الباحثين المحدثين شككوا في ذلك، وعدّ بعضهم ذلك حديث خرافة ومن ثمّ قد يبدو عنوان هذا البحث صعباً من حيث إنه يجادل المؤرخون لمحدثون في دور أبي الأسود في شأن النحو العربي يشير عنوان بحث إلى أن لنحو العربي قبل أبي الأسود وجوداً يحاول كشفه والحديث عنه

إن موقف المؤرخين المحدثين لا يحلو من قصور في سطر وتخل في استخلاص النتائج، وعلى الباحث بمداقق ألاّ يصدّه هذا الموقف عن تمحصر وثائق أسأريحه والنصوص اللغوية المتعلقة بالموضوع، وتقويمها من وجهة النظر لعممه المحصنة، واستخلاص ما يمكن أن تدبر عليه شأن هذه القضية

(١) نشرت خلاصه البحث في مجلة الحكمه، لعدد ١١ ١٤١٧هـ

وسدي حمدي على إعادة دراسة الموضوع هو وقوفي على روايات لم يطلع عليها المؤرخون، المحدثون بلحو العربي ولم يشيروا إليها، وهي وما يمكن أن يضاف إليها نُقدّم بصوراً جديداً لشاة الحو العربي، كما أن الروايات الأخرى التي تأبدي سحش يمكن أن تُفهم على نحو جديد أيضاً

سي هي هذا البحث لـ أنجاور الحقة التي عاش فيها أبو الأسود، ولن أتسع تطور لدرس السوي العربي بعد أبي الأسود ولامدته، لأن ما كُتب عن تاريخ السحو بعد أبي الأسود شيء كثير يكفي في إعطاء صورة وصحة عنه، لكن شاة الحو ونداته لا يراا الباحثون يشيرون إلى عمومها والاختلاف فيها، ومن ثم فإن هذا البحث يسعى إلى تنديد ذلك العموص وإعطاء تصور واضح عن بدء شط بلعوي العربي المنظم وشاة الحو العربي ودور أبي الأسود في تلك شاة، وأرحو أن يحقق البحث ذلك أو بعضه، والله تعالى الموفق للصوب، وبه المرحع والمام

المبحث الأول

نشأة النحْو العربي في الدراسات القديمة والمعاصرة

أدراك مؤرخو النحو العربي، الأوائل أن نشأة النحو مرتبطة بظهور المودح بلعوي الموحّد، الذي يحرص المنكلمون على احتدائه، وبرور ظاهره لإحصاق في تحقيق ذلك المودح أحياناً، وهو ما يطلق عليه مصطلح (اللّحن)، وقد تهيأ هذا طرف بعد برول القرن وانتشار الإسلام في أنحاء الجزيرة لعربيه، بقول أبو الطيب الحلي (ت ٣٥١هـ) «وأعلم أن أول ما أحسن من كلام العرب فأجوح إني أعلم لإعراب، لأن النحس ظهر في كلام لموي والمنعربين من عهد النبي ﷺ»

وعمر أبو بكر بسدي (ت ٣٧٩هـ) عن هذه الحقيقة على نحو أكثر تفصيلاً حيث قال «ولم ير العرب تنطق على سحبتها في صدر إسلامها وماضي حامينها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفرحاً، وأفسوا إليه أرسلاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، فمشا لفساد في لغة العربية، وستاب منه في الإعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها، فتعطل بذلك من نافر بطبعه سوء أفهام الناطقين من دحلأ الأمم بعير بمتعارف من كلام العرب، فعصم الإشفاق من فُسُوق ذلك وعليه، حتى دعاهم بحدراً من دهاب لعتهم وفساد كلامهم إلى أن سَنُوا الأساب في تقييدها لمن صاعب عليه، وتنقيتها لمن دعت عنه»^(١)

وبؤيد ساحتون المحدثون مؤرخي النحو لعربي الأوائل في ذلك، فيقول

(١) مرات نحويين ص ٢٣

(٢) طبقات نحويين واللغويين ص ١١

الأستاذ سعيد الأفغاني «يعتبر اللحن الدعث الأول على يدوين لغة وجمعها، وعلى أساس قواعد النحو ونصبها، فقد كانت حودته المتنوعة مدير الخطر الذي هت على صوته أولو العيرة على العربية والإسلام»^(١)

ومع اتفاق الدحثين على سبب نشأة النحو العربي نخدمهم مختلفين في تحديد النادى بوضع أسسه، وفي تحديد طبيعة الملاحظات الأولى لتي عُدَّت اللسه الأولى في سببه اشامح، ويمكن أن نعرض وجهات نظرهم بتفصيلها على قسمين الأول يمثل رأي العلماء الأوائل، والثاني يمثل رأي الباحثين محدثين، وإليك ملخص ما قدوة في هذا الموضوع

أولاً رأي العلماء الأوائل في نشأة النحو العربي

قل سيرا في «احتف اسس في أوائل من رسم لنحو، فقال فائلون أبو الأسود الدؤلي وقال آخرون نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال «دبشي، وفان آخرون عبد الرحمن بن هرمز وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي»^(٢)

إن ما ورد في المصادر القديمة يؤكد ما ذكره السيرا في من أن أكثر الناس يذهبون إلى أن أبو الأسود هو أول من رسم النحو وأقدم ما اطلعت عليه من النصوص التي نسب ذلك إليه ما رواه الحلبي عن أبي حاتم أن قتاده بن دعامة (ب١١٧هـ) محدث البصرة، قال «أول من وضع النحو بعد أبي الأسود يحيى بن يعمر»^(٣) وهو قول بقر سنق أبي لأسود في وضع النحو وفتادة من طفه تلامذة أبي الأسود، وهو يعرفه ونقل عنه بعض الأحرار^(٤)

ومن روايات هديمة التي نسب وضع النحو إلى أبي لأسود ما نقله

(١) من تاريخ النحو ص ٨، وينظر يوهان فك العربة ص ٢١، وعبد الحميد السد طلب

تاريخ النحو وأصوله ١٥، ١

(٢) أحرار لنحوين والبصريين ص ١٣

(٣) من كتاب النحوين ص ٢٢

(٤) أبو بكر الأساري يصاح الوف ٣١/١، والسيرا في أحرار النحوين البصريين ص ١٩

لسرافي واربيدي عن عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٨هـ) قرىء أهل نكوفه لمشهور، أنه قال «أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤبي»^(١) وكان عاصم، وهو من طبقة تلامذة الدؤبي، مشهوراً بالصحة^(٢)، وقال عنه يلمذه أبو بكر بن عداش «كان عاصم نحواً فصيحاً»^(٣)

وقال محمد بن سلام الحمصي (ت ٢٣١هـ) «وكان لأهل نضرة في عربية قديمة، ودلحو ولغات العرب والعرب عناه» وكان أول من أسس عربية وضع بها، وأنهج سبيلها، ووضع قدسها أبو الأسود الدؤبي، وهو طام بن عمرو بن سفيان بن حنبل، وكان رجل أهل نضرة. وبما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فعلت السبقة، فكان سره الدرس بدحو، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر ورفع وانصب والحرم. وكان ممن أحد ذلك عنه يحيى بن عمر. وأحد ذلك عنه أيضاً ميمون، الأقر، وعسمة الغيل، ونصر بن عاصم بليشي، وغيرهم»^(٤)

وهذا رأي عامة المؤرخين، والأوائل لدحو العربي، مثل يحيى^(٥)، واربيدي^(٦)، وابن النديم^(٧)، «فأما غم من رعم أن أول من وضع الدحو عند الرحمن بن هرم بن الأعرج، أو نصر بن عاصم، فيس صحيح، لأن عند برحم أحد عن أبي الأسود، وكذلك أيضاً نصر بن عاصم أحد عن أبي الأسود»^(٨)

وحاء في روايه قديمه فيها برسي عن المرد (ت ٢٨٢هـ) قال «شئ أبو

(١) أخبار السحيين بصريين ص ١٧، وطلقات السحيين ولعنوين ص ٢٢

(٢) من معاهد سبعة ص ٧

(٣) نهبي معرفة نراء ١ ٣٥

(٤) طلقات اشعراء ص ٥

(٥) من لب سحيين ص ٢٤

(٦) طلقات السحيين ولعنوين ص ١١

(٧) فهرست ص ٤٥

(٨) أبو النري لأساري برهة لألاء ص ٢١

الأسود الدؤلي عَمَّنْ فتح به الطريق إلى ابوصع في السحو وأرشدته إليه؟ فقال
تلفيته من عني بن أبي طالب، رحمه الله، وفي حديث آخر قال أُمَيُّ بْنُ عَلِيٍّ
أصولاً احديث عليها^(١) ومن ثم فإن بعض المؤرخين قال إن أول من وضع
السحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - لأنه هو الذي وجَّه أبا
لأسود وأرشدته إليه^(٢)

وقد اختلف الناس في السب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من السحو^(٣)،
وإن كنت اتروايات جمعاً تشير إلى وقوع الدخ من أناس كثيرين، فبعض
الروايات يشير إلى أن أعرابياً أخطأ في قراءة قوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ سَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة]، ومنها ما يشير إلى لحن بعض العرب عند رباد والي
لعراق، أو لحن رجل درسي سمعه أبو الأسود في البصرة، أو لحن أمة أبي
الأسود، أو نحو ذلك، مما جعل أبا الأسود نفسه أو يطلب من عمر من
لحظت، أو عني بن أبي طالب، أو رباد والي العراق، يعمل شيئاً يصلح سأس
به كلامهم، وكذلك نَقَطَ المصاحف فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة
نقطة تحت الحرف، والضممة نقطة أمام الحرف، وجعل التوين نقطتين، دون
يحذف نون المداد^(٤)

أما مقدار ما وضعه أبو الأسود من أبواب السحو فإن المصادر القديمة تشير إلى

-
- (١) طبقات الحويين واللعويين ص ٢١ وينظر الحلي مراتب سحويين ص ٢٤
(٢) أبو البركات الأتباري برهه الألباء ص ٢١، والنقعي إسنه برواه ٤/١ وينظر عبد
لرحمن السيد مدرسه البصرة السحوة ص ٥٢
(٣) السرافي أخبار السحويين البصريين ص ١٥
(٤) سطر مفصل تحت لروايات أبو بكر الأتباري إيضاح الوقف ٣٩، ١، ولحني مراتب
السحويين ص ٢٦، ولأصهاني الأعاني ١٢ ٣٠٢، والسرافي أخبار السحويين البصريين
ص ١٥، والريدي طبقات السحويين واللعويين ص ٢١، وابن الدم المهرست ص ٤٥،
وأبو البركات الأتباري برهه الألباء ص ١٨، والنقعي إسنه الرواة ١ ٥، ولسيوطي
سبب وضع العربية ص ٤٩

صالة ما رسمه في الحلبي «فوضع شيئاً حليلاً، حتى تعمق النظر بعد ذلك وطوّلو الأبواب»^(١) ويمكن أن نعرض ما ذكرته المصادر حول هذا الموضوع في النقاط الآتية

١ - وَضَعَ باب الفاعل والمفعول، ولم يرد عنه^(٢) ويقال إن النسخ في كتابه «مهرست» أنه رأى أربع ورقت قدسمة ترجمتها «هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود، رحمة الله عليه، محمد يحيى بن يعمر»^(٣)

٢ - وضع باب الفاعل والمفعول والمصروف وحروف الجر والرفع والنصب والمحرم^(٤)

٣ - جاء في بعض المصادر المتأخرة أن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنقى إلى أبي الأسود صحيفة أو رقعة فيها الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنما عن المسمى، والفعل ما أنما عن حركة المسمى، والحرف ما أنما عن معنى ليس باسم ولا فعل وعلم أن الأشياء ثلاثة طاهر، ومصمر، وشيء ليس بظاهر ولا مصمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمصمر ولا ظاهر^(٥) بح^(٦)

وفي هذه الرواية من التفصيل والمصطلحات ما لا يتناسب وذلك العصر، مما حدا ببعض الباحثين بمحدثين إلى التشكيك في صحتها^(٧)، ووصفها بأنها حديث حرافة^(٨) ولا أحد سكر الأصل وثيقة بين الإمام علي وأبي الأسود وما يمكن أن

(١) مراتب لنحوين ص ٢٦

(٢) سيراقي أخبار لنحوين لصريين ص ١٨، ولربندي طبقات النحويين والنحويين ص ٢٢

(٣) لمهرست ص ٤٦

(٤) محمدي طبقات الشعراء ص ٥، وأنريدي طبقات النحويين والنحويين ص ٢١

(٥) أبو ليبرات الأندلسي برهه الألباء ص ١٨، وأنقضي بنه بروه ١ ٤

(٦) سعيد الأفعاني من تاريخ النحو ٢٩ هامش (٢)

(٧) أحمد أمين صحت الإسلام ٢ ٢٨٥

بحري سهما من حدث عن الدخ وقضايا لغة، لكن حلو المصدر، مقدمة من هذه لرواه، وصيغة أسنوبها، يبعث الشك في أصالتها

كان أول من أصل نحو إدن وأعمل فكره فيه أبو الأسود الدؤبي، ثم نصر بن عاصم، وعند ارحم بن هرم، فوضعوا للنحو أبواباً، وأصلوا به أصولاً، وكان لأبي الأسود في ذلك فصل استق وشرف لتقديم، ثم وصل ما أصنوه من ذلك أثلوا لهم، والأحدون عنهم، فكان لكل واحد منهم من الفصل بحسب ما سطر من القول، ومد من انقياس، ووفق من المعاني، وأوضح من دلائل، وس من لعل^{١١}

ثانياً رأي الباحثين المحدثين في شأه النحو العربي

ذهب عدد من الباحثين المحدثين إلى عموم شأنه النحو العربي، فقد بروكلمان «يبدو أن أوائل علم اللغة العربية سقى دائماً محوطة بالعموم ونظام» وهو بعد ما يست أبي الأسود وعلامته من قبل الأساطير^(١٢) ونقود أحمد أمر «وتاريخ نحو في مشته عامص كل العموم، فإن يرى فعاه كتاب صحماً باصلاً هو كتاب سبويه، ولا يرى فيه ما يصح أن يكون نواة نسب ما هو منه طبيعية من شوء وارتقاء، وكل ما ذكره من هذا ميل لا يشفي عيلاً»^(١٣) ونقود حسن عود «لا يزال الحدث في حيرة من أمر النحو العربي، ومن الظروف التي لاسف شأنه»^(١٤)

وذهب الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى أن عند الله بن أبي إسحاق الحصري (ب ١١٦ هـ) يلמד تلامذة أبي الأسود اندولي هو أول من وضع أسس لقواعد النحو، وأن أن الأسود أقصر على نقط المصاحف، وحجته في ذلك قوله

(١) يطر برندي طلفات اسنوبيين والنعوين ص ١١

(٢) تاريخ الأدب العربي ٢ ١٢٣ و ١٢٨

(٣) صحى لإسلام ٢ ٢٨٥

(٤) لغة ونحو ص ١٩٨

لأنه لم نجد في كتاب مسويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً يحوباً نسب إلى أبي
الأسود ولا إلى طفتين من بعده، فبحر أمام حكمة وصحة أحدث من كتب
سجوة، وهي أن أقدم من يُنسب إليه أي حوي هو عبد الله بن أبي إسحاق
محصرمي^(١)

ويذهب أكثر الباحثين محدثين إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو ندي أرسى
اللغة لأوسى في ترويح النحو العربي، إلا أن معظمهم يفسر تلك نسبة سقيط
المصحف بلفظ لإعراب يقول الأستاذ أحمد أمين «ويظهر بي أن نسبة لنحو
بن أبي الأسود هي أساس صحيح، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا
الأسود هم يعمل من هذا النمط وهو أنه انتكر شكر المصحف»^(٢) ويقول
حسن عوف «إن نسبة لأوسى التي أرساها أبو الأسود الدؤلي هي بناء لنحو
عربي كتب شكله قرون عن طريق اللفظ»^(٣)

وقد الدكتور شوقي صف وهو يعلّق على الروايات التي نسبت وضع لنحو
بن أبي الأسود ويوضح الأسباب التي دفعت إلى وضعه «وكرر ذلك من عث
لرواه مضعين المنريدين، وهو عث جاء من أن أبا الأسود نسب إليه حقاً أنه
وضع نعرته، فطر بعض رواة أنه وضع النحو، وهو إنما وضع أول نقط تحرر
حركات أو حر الكلمات في لهران الكريم»^(٤)

وقد الدكتور عفيف دمشقية «تحقيقه انعمية الوحيدة التي يمكن الركوز
بها في المرحلة الأولى لشأه لنحو عربي، حقيقة كون الدؤلي واضع لفظ
لإعراب ندي عنر على أساسه الوضوح الأول للنحو»^(٥)

١. و. من وضع النحو، محله كند لأدب مج ١٠ ج ٢ ص ٧٢

٢. صحى لإسلام ٢ ٢٨٦

٣. لغة ونحو ص ٢٤٥، ونظر مثله من المصنف النحو لعرابي ص ٣٩

٤. أحمد بن سحونة ص ١٦

٥. جدد لنحو عربي ص ١٠١

وقال الدكتور هـد الحميد ،سيد طلب «أما م بصدق العقل والمنطق مما
نسب إلى أبي الأسود الدؤلي فهو أنه رأى فقط المصاحف علامة مميزة للماعل
والمفعول والمجرور تمييزاً عملياً»^١

وظهر من بين اساتين المعاصرين من أكد على أن أنا الأسود الدؤلي هو
مؤسس النحو العربي إضافة إلى نقطه المصحف، فيقول لأستاذ سعيد الأفغاني
إن من يقرأ ترجمة أبي الأسود وما ورد في أكثر مصادر القديمة من أنه أول من
وضع العرسة ونقط المصاحف، وأن له بلامدة أحدوا عنه العربية وقراءة الفراء في
النصرة، كل أولئك مع م عرف عن أبي الأسود من دكاء وقاد، وفكر متحرك،
وعقل وروية، بجعل نقطه بأنه وضع أساساً لى عنه من بعده، ولكن ما هو
هد الأساس؟ سنا نجد لهذا السؤال جواباً يشفي العليل^٢

ومن أكثر لباحثين المحدثين تدقيقاً في شاة النحو العربي ودور أبي لاسود
في وضع أسسه هو الدكتور عبد الرحمن السيد، في كتابه (مدرسه النصورة
النحوية)^(٣)، الذي عرض الروايات القديمة ثم أكد أن اختلاف الروايات ليس
دليلاً على كذبها ثم يقول «النحو أن النفس تميل إلى تعدد الأسباب والأخطاء،
وأن هذا العدد في الخطأ والتنوع فيه هو الذي حفر الهمة، وقوى الرعة في
محاولة التخلص منه، ومن هنا وُضع أساس هذا العلم»^٤

وهو يؤكد أن أنا الأسود هو مؤسس هذا العلم ووضع أول حجر في صرحه،
وهو لا يعني أنه وضع علماً كاملاً ناصحاً وإنما يقصد «أنه فكر في وضع قواعد
عممة يمكن أن تحفظ على اللغة سلامها»^(٥) ثم يقول إن الأبواب النحوية
سي نسب مصادر بقديمة إلى أبي الأسود وضعها تتعق بمسست خاصة

(١) تاريخ النحو وأصوله ١ ٣٢

(٢) من تاريخ النحو ص ٢٧ ٢٩

(٣) مدرسه النصورة النحوية ص ٤١ ٦٠

(٤) المختصر نفسه ص ٥٠

(٥) مصدر نفسه ص ٥١

وردت في الروايات القديمة، ولا بد أنه عرصها حرصاً ميسراً مفهوماً مناسب
حاجة أهل زمانه.

وهو يرتبط بين نقط المصاحف واستخلاص القواعد الحوية لأنه في رأيه «لا
يستطيع أحد أن يدعي أن عالماً مشهوداً به بالتقدم ^١ بِنَقْطُ لمصحف كلمة
كلمة، ويلاحظ حركات حروفه حرفاً حرفاً، ويعمل ذلك في دقة وبراعة، ثم
يخرج من عمله هذا دون أن تتكون لديه فكرة أولية عن عمل بعض الأدوت، أو
عن حركة بعض كلمات ذات بوطيقه المتشابهة وبوضع المتحد، بلهم إلا أن
يكون مسح القدم في بعض، بعداً عن صفات أبي الأسود تُعد لأرض عن
لسماء»^٢

وما ورد في بعض المصادر القديمة يؤيد وجهة النظر هذه، فقد نقل أبو بكر
الأسدي بروية الخاصة بنقط المصحف، وحاء في آخرها «فأندأ بالمصحف حتى
أتى على حره، ثم وضع المختصر المسسوب إليه بعد ذلك»^٣ ويقول ابن فتيحة
بأن «الأسود نُعد من الحويين «لأنه أول من عمل في نسخ كتابه»^٤ ولا يتيسر
لأنه قطع بأن كتب أبي الأسود في النحو هو تلك الأوراق الأربع التي اطلع
عليها من لديم بخط يحيى بن يعمر، التي ذهب حررها منذ عصر ابن أبي عمير

وبلغت جهود الباحثين المحدثين دروتها بظهور كتابين بحثا في شأه النحو
لعربي ونظوه حتى عصر سيونه، وهما

الكتاب الأول بحلقه المفهودة في تريح النحو العربي، تأليف «دكتور عبد
عبد سام مكرم»^٥، الذي يقول في مقدمته «وقد شعرت منذ أن اشعلت
بنحو عربي بأن هناك مرحلة مفقودة في تريح النحو العربي تمتد من عصر أبي

١) مصدر نفسه ص ٦٠

٢) إيضاح وقف ١ ٤١

٣) شعر والشعر ص ٧٢٩

٤) ظهرت الطبعة الأولى في الكويت سنة ١٩٧٦ في ٤١٨ صفحة

لأسود أبي عصر، تحليل وسيوييه^(١) وقد تكفل الكتاب بيان تاريخ النحو ويطوره في هذه المرحلة

ويرى المؤلف «أن قصه نشأة النحو مرتبطة بالمعارف السابقة لعرب في الجاهلية وفي العصر الإسلامي، وبخاصة في محالي الفراءه والكتبه»^(٢) وهو يرى لذلك «أن أب الأسود حقيقة في سلسلة المعرفة بعونه ولكنه برر في محله، ورد مشاطه في حقله فسست إليه نشأه أصحح علم شغل الدس فروب طوبية وما راا شعبههم إلى وقت الحاضر»^(٣)

الكتاب الثامي المفضل في تاريخ النحو العربي (لجاء الأول قبل سيوييه) تأليف الدكتور محمد خير «حنوي»^(٤) الذي يقول في مقدمته «وقد غُيت في هذا جراء دلكتف عن نمو النحو في المرحلة العاصية مرحلة أبي الأسود وتلامذه، وهي مرحلة وقف حبالها الباحثون في الشرق والعرب شاكير حائرين، وعرفوا بأنها مرحلة مظلمة في تاريخ النحو العربي لا يمكن أن يطلعها بحث علمي»^(٥)

ويقول مؤلف الكتاب «وانحو أن نشأه النحو ترتبط بحدور الحية الإسلاميه في دلت ارمم، ويريد إلى ما ترند إليه نشأة العلوم الأخرى من لغوية وديسة وفلسفة، وكاب القروب الكريم محور هذه الحدود، وهو بركبة لأسسية فيها، ويدر فرب نشأة لغويه - بمعناها الاصطلاحي - انطلقت من فراءه القرن»^(٦) وهو يقرر أن أما لأسود الدؤلي نَقَط بمصحف، ووضع أسس النحو لغوي بكنه

(١) تحلفه المفعوده ص٣

(٢) بمصدر نفسه ص١١

(٣) بمصدر نفسه ص١٦

(٤) ظهرت طبعته الأولى في بيروت سنة ١٩٧٩ في ٣١٢ صفحة

(٥) مفصل ص٦

(٦) مفصل ص١١

يهي أن يكون قد ألف كتاباً في النحو، بل كان يعلم النحو^(١)



إن سعة وضع أسس النحو العربي إلى أبي الأسود الدؤلي تدو طبعه في ظل الظروف الدعوية بني أعقبت الفتوح الإسلامية، والتي تتمثل بتشار اللغة العربية بين الأمم التي دخلت في الدين، وتتمثل أيضاً بامترح العرب، تحنصر بأهل بدع لأخرى، ولما كانت العرب لغة انقرّ وسار اسين فإن لمحافظة عليها وبسير تعلمها كان من الأعمار التي بحرص عليها الحنفاء والولاء وعماء، وهو أمر انتهى بتدوين قواعد اللغة على يد أبي الأسود الدؤلي لأول مرة، بعد مرمله من املاحظات الشفهية كان المهملون بأمر سلامة لدعه بتدولونها

إن هك معارف دعوية تسق جهود أبي الأسود الدؤلي، كما سدو من عدد من الروايات ولوفائع، وإن أن لأسود حين نطق المصحف ووضع بعض أبواب النحو كان ستخدم تلك معارف الدعوية ويعمل على تعميقها وتوسيعها وهذه بقصة هي ما نحاول الكشف عنه في المبحث الثاني، إن شاء الله تعالى

المبحث الثاني

النشاط اللغوي قبل أبي الأسود الدؤلي

نعني بالنشاط اللغوي هنا الملاحظات والأقوال التي صدرت من عدد من أولي الأمر وعلماء وهي تهدف إلى تصحيح خطأ لغوي أو إلى توسيع صورة النطق لمصباح، في الحصة التي سبقت ظهور أبي الأسود في مصر في خلافة علي رضي الله عنه. ويمد من زمن العثة السوية المشاركة ونستغرق معظم سنوات خلافه برأشه.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذه الحصة شهدت نشاطاً لغوياً متنوعاً كان يستجيب لحاجات تلك المرحلة اللغوية، ويتمثل بتعليم قراءة القرآن وتدوين المصاحف، وتعليم الكوفة، وتعليم العربية، ومكافحة البدع وكان هذا النشاط ممهداً لما قدم به أبو الأسود من تقييد المصاحف ووضع بعض أبواب النحو والحظوظ الأولى في علم العربية بدأت قبل أبي الأسود، وإن كانت بصورة شخصية عالماً، وعلى نحو غير منظم في كثير من الأحيان وسوف نتبع ذلك النشاط عبر مرحلتين الأولى تمثل عصر السوة، والثانية تمثل عصر الخلافة برأشه، ثم نتبع ذلك باستخلاص ما يدل عليه ذلك نشاط في موضوع بدء علم العربية، وعلاقة ذلك النشاط بجهود أبي الأسود ولامدته.

أولاً النشاط اللغوي في عصر السوة

إن أسوان ورسالات هدها تعليم الناس، وقد قال رسول الله ﷺ «إني بعثت معنماً»^(١) ولا شك في أن تعليم اللغة ليس جزءاً مما بهتم الأنبياء بعلمه للناس، ولكن ارتباط دعوة الرسل بلغات أقوامهم كان سبباً في نشاط لغوي كبير.

(١) سنن من مائة ١ ٨٣

وكانت آثار هذا العمل واضحة على اللغة العربية، حتى إن علماء اللغة يذكرون اليوم أن «وسط اللغة العربية بالقرآن الكريم كان السبب الأول لانتشار اللغة العربية، وبقيتها حية إلى زماننا، كما كان السبب لشأه الدراسات حولها، وقد قرأ أحدهم (لولا القرآن ما كانت عربية)»^(١)

وكانت أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ من لوقي الإلهي سورة العلق^(٢)، وأول كلمة فيها هي (اقرأ)، وهذا أول خطاب إلهي وُحّهُ إلى النبي ﷺ، وفيه دعوته إلى القراءة والكتابة والعلم^(٣) فكان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن ويأمله على الناس، وكان إذا دخل رجل في الإسلام دفعه إلى الصحابة وقال لهم «فقهوا أحكامي في ديني، وأقرئوه وعلموه القرآن»^(٤)

وكانت قراءة القرآن من الأمور التي حظيت بالعاية والاهتمام، فهي أساس الدعوة الجديدة، وتتمثل تلك العاية بإرسال المعلمين إلى المدن والقرى لنقل دحل في الإسلام، في حواء رسول الله ﷺ مثل المدينة التي أرسل إليها مصعب بن عمير، قبل الهجرة، فكان يقرئهم القرآن^(٥) ومثل مكة التي حلف فيها رسول الله ﷺ معاد بن حنبل بعد فتحها يَفْقَهُ أهلها ويقرئهم القرآن^(٦)، ومثل بلاد اليمن التي أرسل إليها رسول الله ﷺ بعد دخول أهلها في الإسلام معاد بن حنبل وأبى موسى الأشعري لتعليمهم القرآن والعقيدة^(٧)

وكانت وفود القائلين ومدون العربية تقدم إلى المدينة بعد فتح مكة خاصة، بعن إسلامها وتتفقه في الدين وتتعلم القرآن، وكان أبي بن كعب أكثر الصحابة

(١) المصدر: عبد السواب قصود في فقه العرب ص ٩٠

(٢) لطفي جامع سنن ٢٥١/٣٠

(٣) الصدوق صفوة التفسير ٥٨١/٣

(٤) بصري تاريخ الرسل والنبوة ٤٧٤/٢

(٥) ابن هشام لسيرة النبوة ٤٣٤، وابن سعد الطبقات الكبرى ١/٢٢٠ و ١١٨/٣

(٦) ابن سعد الطبقات الكبرى ٢/٣٤٨

(٧) المصدر نفسه ٥٨٥/٣ و ١٠٨

صلاً عن هذه المهمة في المدينة، فقد علم القرآن وقد أهل اسحق بن^(١)، ووجد
سي حبيب^(٢)، ووجد عامد^(٣) وقد مدحه النبي ﷺ بموه (أقرأ أمي أمي من
كعب) رضى الله عنه

ومن أوجه النشاط المعوي في من النبي ﷺ لعناية بأمر كتابة العربية، وقد
كانت قبل لإسلام محدودة البشر قليلة الاستعمال، ولكنها حظت بعناية رسول
الله ﷺ واهتمامه فشجع على تعلمها، وقرئت إليه الكتاب لكتبه القرآن وأمر
الدولة الأخرى، حتى بلغ كُتَّاء أكثر من أربعين كتاباً^(٤) من أشهرهم ريد من
ثوب الأنصاري الذي شهر بكتابة الوحي، وزوي عنه أنه قال (كنت أكتب
وحي عند رسول الله ﷺ وهو يُنملي عليّ، فإذا فرغتُ قال اقرأ، فأقرأه، فإن
كان فيه سقطُ أقمه، ثم أخرج به إلى الناس)^(٥) وبصر عمناء القرآن على أن
يقرأ كُتَّاء كله، في من النبي ﷺ لكنه لم يجمع في مصحف واحد^(٦)

وقد تنبأ ويقول ما علاقة هذا كله بشأنا النحو العربي؟ وأقول إن هراءه
يقرأ وكتبه هم أول عمل معوي مُنظم يُعنى به في تاريخ العربية، وقد اجتمع
عنه عرب على اختلاف مواطنهم وبهجاتهم، بحرصهم على تعلمه وقراءته على
نحو ما يعممون وقد أظهرت عملية التعليم الواسعة هذه ملاحظات لغوية تتعلق
بسمودح معوي الذي يحب أن يُحتدى، وهو لغة فريش التي أُتزل بها القرآن،
ونقل لمؤرخون عن أصحابي أبي الدرداء أن النبي ﷺ سمع رجلاً قرأ فحس،

(١) مصدر نسخة ٥ ٥٥٨

(٢) مصدر نسخة ١ ٣١١

(٣) مصدر نسخة ١ ٣٤٥

(٤) مصدر نسخة ٢ ٣٤١ و ٤٩٨/٣

(٥) بصر الهوري المصطلح نصريه ص ١٣

(٦) نسوي المعرفة والتاريخ ١ ٣٧٧، والنسوي أدب الكتاب ص ١٦٥

(٧) نظري جامع البيان ١ ٢٨، ولس حجر فتح الباري ٩ ١٢

فقد أرشدوا 'حَاكِم' وأن عمر بن الخطاب قد سمعت رسول الله ﷺ يقول (رحم الله امرأً أصبح من لسانه)^{٢١} فهذه ملاحظات، وهي سبب توحيد من هذه البهجة فيما يعتقد، إلى حد حرص النظم على تعلم القرآن وعلمه وكسبه قد أوجدت حارة لغوية جديدة ولغت أقطار، بحذاء الراشدين وعماء صحابه فأولوا عناية كبيرة، حتى صارت عملية التعليم من أهم مقاصد التي شعلتهم بعد وفاة سي عليه الصلاة والسلام، كما سيتضح لك من لفهمه لأسرة

ثانياً النشاط الدعوي في عصر الخلافة الراشدة

ب. مظهر نشاط دعوي في عصر السوة استمرت في عصر الخلافة الراشدة وازدادت نشاطاً وعمقاً، سبب اتساع الحاجة إليها، وازدياد حالات القصور في الأداء الدعوي لبي بشار. يبيها في المصادر، عديمه بمصطلح (لحن) ويمكن أن نسمي مظهر ذلك نشاط على الأقسام، الآلية

١. تعليم القراءة وإرسال المعلمين

س. رسول الله ﷺ تعليم قراءة القرآن وإرسال المعلمين إلى مكات الحاجة بهم، وكان قوله «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣) بُدكي روح بحماسة في نفوس المعلمين والمتعلمين وكان أكبر مجهود قد بُذل في هذا المجال في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي جعل من ولادة الأمصار معلمين أساس، فقد في إحدى خطبه (لهم بي أشهدك على أمراء الأمصار

(١) أبو علاء عطف التمهيد ص ١٩٧

(٢) أبو بكر لأبي لأصناد ص ٢٢٤، والأندلسي للإصحاح ٦٢، ولعقد التمهيد ٩٥

(٣) حديث صحيح وه لبحاري ولرمدي وأبو دود وغيرهم (ينظر الأخرى أخلاق حمه انظر ص ٤٦)

أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم ومُنَّة سيِّهم^(١)

ومما حفظت لنا كتب التاريخ من ذلك أنه بعث إلى الكوفة عمار بن ياسر وعند الله بن مسعود وكتب إليهم (إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعند الله بن مسعود معلماً ووريراً)^(٢) فكان ابن مسعود يعلم أهل الكوفة قراءة القرآن^(٣)، وكذلك أرسل أبا موسى الأشعري إلى البصرة، فكان يعلمهم القرآن^(٤)، وبعث إلى الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء، حين كتب إليه والي الشام أن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم^(٥)

وكون هؤلاء المعلمون الأوائل من الصحابة نواة مدارس لإقراء في الأمصار، وكان تلامذتهم ومن جاء بعدهم دور واضح في إرساء أسس الدراسات اللغوية العربية، وعلى رأسها علم النحو

٢- الكتابة العربية

كان الجهد الكبير في تعليم قراءة القرآن يواكبه جهد مماثل في كتابة القرآن، بعد أن كتب القرآن مرقفاً في رص السبي^(٦) خُمِع في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وحُفِظَت الصحف في دار الخلافة في المدينة المنورة^(٧) وكان المسلمون يكتسبون المصاحف في الأمصار الإسلامية اعتماداً على قراءة الصحابة البارزين فيهم^(٨)، إلى أن تم نسخ المصاحف في خلافة عثمان

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ٢٠٤، ٤

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ٧/٦، والطبري تاريخ الرسل والملوك ١٣٩/٤

(٣) ابن مجاهد كتاب السبعة ص ٦٦

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى ٣٤٥/٢

(٥) لمصدر نفسه ٣٥٧/٢

(٦) البخاري الجامع الصحيح ٨٩/٦ و٢٢٥، وابن أبي عمير المعجم ص ٢٧

(٧) ابن أبي داود المصاحف ص ١٣٧ و١٥٥

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَقْلًا مِنْ الصَّحَفِ، وَتَوْرِيْعُهَا عَلَى الْأَمْصَارِ^(١)

وَمِنْ يَفْتَصِرُ اسْتِحْدَامُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِ خِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَلَى تَدْوِينِ
الْفُرُونِ فِي الْمَصَاحِفِ، وَإِنَّمَا كُنْتُ تَسْتَحْدِمُ فِي مَرَاثِلَاتِ الْخَلِيفَةِ مَعَ وَلَاهِ
الْأَمْصَارِ وَقَادَةَ الْحِيُوشِ وَدَوَاوِينَ لِدَوْلَةِ وَتَوْرِيْعِ الْعِطَاءِ وَأُمُورِ النَّاسِ وَمَعَامَلَاتِهِمْ،
عَلَى نَحْوِ كَيْ يَرْدَادُ اتِّسَاعًا وَرَسُوخًا عَلَى مَرُورِ السَّيْرِ، حَتَّى صَارَ تَعْلِيمُ الْكِتَابَةِ
دُورَ حَاصِفٍ، مِثْلَ (الْكُتَّابِ) الَّذِي كَانَ يَتَعَلَّمُ فِيهِ أَسَاءَ الْمَدِينَةِ الْمَسُورَةِ فِي عَصْرِ
الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ أَوْ بَعْدَهُ بِقَبْلِ^(٢)

إِنْ حَرَكَةُ تَعْلِيمِ الْكِتَابَةِ وَاسْتِحْدَامِهَا يَفْتَصِيحَانِ نَوْعًا مِنَ التَّحْلِيلِ اللَّعْوِيِّ الَّذِي
يُؤَدِّي إِلَى التَّفَكِيرِ فِي أَصْوَاتِ اللَّغَةِ وَمَقْدَارِ تَمَثُّلِ حُرُوفِ الْكِتَابَةِ لَهَا، وَهَذَا بَعْضُ
التَّفَكِيرِ فِي السِّطْرِ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ الدِّعَةُ وَمَحَاوِلَةُ اكْتِشَافِهِ وَتَوْصِيحِهِ

٣- مَكَاوِلَةُ اللَّحْنِ

إِنْ مَرُورُ اللَّحْنِ وَإِشَارَتُهُ، وَبَعْضُ مِمَّا يَحْتَطُّ فِي آدَاءِ الدِّعَةِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ،
كَانَ مَقْدَرُهُ جَهْدٌ لِحَدِّهِ وَالْقَصَاءُ عَلَيْهِ، وَأَسْهَمَ فِي ذَلِكَ لِحَدِّهِ بَحْدُهُ، وَالْعُلَمَاءُ
عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَحَفِظَ الْمَصَادِرُ الْقَدِيمَةُ عِدَّةً مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهِ وَتَوْصِحُ
طَرَفًا مِنْهُ هَمَّ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (لَا أَنْ أَقْرَأَ وَأُسْقِطَ
أَحْتُ لِيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ وَالْحَرْ)^(٣)

وَيُرْوَى زُهْرِي عَنْ سَالِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَّ عَمْرٌو
بِحَضْرَتِ يَقُومُ قَدْ رَمَوْا رَشْقًا^(٤)، فَقَالَ بَشْ مَا رَمَيْتُمْ، فَصَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّا قَوْمٌ (مُتَعَلِّمِينَ)، فَقَالَ عَمْرٌو وَاللَّهِ لَدُنَّكُمْ فِي لِحَكْمِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ دُنَّكُمْ فِي

(١) السَّحَابِيُّ الْجَامِعُ الصَّحِيحُ ٢٢٦/٦، وَاسْمُ الدِّعَةِ الْمَهْرَسُ ص ٢٧

(٢) بْنُ سَعْدٍ الطُّبَقَاتُ الْكُبْرَى ٥٥٨/٣ وَ ١٨٠ ٤

(٣) لِحَدِّي مَرْنَبُ السَّحَابِيِّ ص ٢٣، وَعَنْ الْوَاحِدِ بْنِ عَمْرٍو السَّحَابِيُّ ص ٢٥

(٤) هُوَ أَنْ يَرْمِيَ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً (بِزَلَّةٍ) لِأَثَرِ سَهْمَةٍ ٢٢٥ ٢ وَاسْمُ الْمَطْوَرِ لِسَانٌ

بَعْرُ ٢٠٧، ١١ (رَشَقٌ)

رسمكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: رحم الله رجلاً أصلح من لسانه^(١)

وبلع تصدي للبحر إلى درجة مواجهته بانصراب، إذ يُروى أن كساً لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر من (أبو) موسى، فكتب إليه عمر سلام عليك، أما بعد فصرت كاتبك سوطاً وحاداً، وأحر عطفه سه^(٢) وكان عبد الله بن عمر بصرب أولاده على البحر ولا بصربهم على الخطأ^(٣) وكذلك كان ابن عباس بصرب أولاده على البحر^(٤) وكان علي بن أبي طالب بصرب البحر والحسين على البحر^(٥)

ولم تقتصر مكافحة البحر على الخطأ المحض، بل بعد أن العدول عن لأصح نفي أيضاً مواجهه، في قراءة، فقول خاصة، فقد روي أن عمر بن الخطاب كتب إلى عبد الله بن مسعود، بعد أن أرسنه إلى الكوفة لتعليم الناس هناك قراءة القرآن فبعضه أنه يُقرئ بلغة هذيل (أما بعد فإن الله تعالى أمر بالقرآن بلغة قرش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قرش، ولا تفرتهم بلغة هذيل)^(٦)

وكل ذلك يقتضي قدرًا غير قليل من معرفة اللغوية التي تميز الخطأ من الصحيح، وهذه المعرفة وإن كانت شعوية في الرجح، لكنها تعد أساساً لمخطوطات اللاحقة في تدوين علم العربية الذي بعد بعض ملامحه قد أحدثت تتحدد في عصر الخلافة الراشدة، على نحو ما سيتضح في الفقرة الآتية

(١) أبو بكر الأسدي الأضداد ص ٢٤٤، والمخطب السعدي، الجامع لأحلاق الراوي

(٢) بحني مرتب السخوين ص ٢٣، والقطر التمهيد ص ٢٠٤

(٣) أبو بكر الأسدي الأضداد ص ٢٤٤، ويصاح الوقف (هـ) ١ ٢٤

(٤) عبد الواحد بن عمر أخبار السخوين ص ٢٦، والقطر التمهيد ص ٢٠٨

(٥) مخطب السعدي للجامع لأحلاق الراوي ٨٥/٢

(٦) أبو بكر الأسدي إصاح الوقف ١٣/١، وأبو شامة لمرشد الوحي ص ١٠١

٤ تعليم العربية

إب. بكار للحج ومكفحه كان يستند أبصاً إلى جهد في تعليم الطوائف
الصحيح، وإب. كانت تفصل ذلك لجهد غير معروفة يوم، بكر الروايات التي
بمنها بمصدر سبب أنه كان كبيراً وأنه كان يسي على معرفه وصحة بحصائص
المطعم للعوي للعربية

فمن الروايات المنقولة عن أبي بن كعب، وهو من المعتمدين الأوائل بقراءه
بقراء في المدينة في زمن النبي ﷺ أنه قال (تعلموا بالحج في القرآن كما
تعلمونه)^١

وحاء عن عبد الله بن مسعود، وهو معلم بقراء في الكوفة، أنه قال (أعزُّو
بقراء فإنه عربي)^٢

ونقل عن أبي ذر أنه قال (تعلموا العربية في القرآن كما تعلمون حفظه)^٣

وأكثر حملة بعرب في عصر الخلافة الراشدة جرت في خلافة عمر بن
خطاب رضي الله عنه - وأعني بعرب هذا أمرين الأول يهدف الطوائف
عربي من اللحن، والثاني نعلم غير العربي للغة لعربية^(٤) ويحد لمتشع يهد
موضوع في المصدر القديمة صوراً متعددة لتلك الحملة، وهي تكشف عن
حواش مهمة من تاريخ علم العرب لم ينس لها باحثون المحدثون ولم يعتنوا
بها

وأهم أوجه ذلك نشاط العوي في خلافة عمر ما يأتي

(١) أبو بكر الأسدي، إيضاح الوقف ١ ١٧ و ٢٤، والأصداق، (د) ص ٢٣٩، وعد

بوحد بن عمر أحد الحويين ص ٢٦

(٢) أبو عبد فضائل لقراء ٢٣ ط، وأبو بكر الأسدي، إيضاح الوقف ١ ٣٥

(٣) أبو بكر الأسدي، إيضاح الوقف ١ ٢٣، والقطار، انتهى ص ٢٠٦

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٢ ٧٨ ٧٩ (عرب)

- ١ قول عمر (نعلموا إعراب لقراء كما تتعلمون حفظه)^(١)
- ٢ قوله (نعلموا العربية فإنها تُثبت العقل وتزيد في المروءة)^(٢)
- ٣ أمر عمر بن الخطاب ألا يُقرىء بقرآن إلا عالمٌ بدلعه^(٣)
- ٤ عن أبي عثمان النهدي قال جاء كتاب عمر، وهم بأدريةجان، وكان فيه أن تعلموا العربية^(٤)
- ٥ كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن مُز من فلتك نعلم العربية^(٥)
- ٦ وسئل الحسن البصري عن نعلم العربية، أو عن المصحف يُعظ بالعربية، فقال مسائل أو ما بدعت كتاب عمر بن الخطاب أن نعلم العربية^(٦)
- ٧ وسمع عمر رجلاً يتكلم في الطواف بالمرسبة، فأحد بعصده وقال سمع بني لعربية سبلاً^(٧) وعن عطاء قال رأى عمر بن الخطاب رجلاً وهم يتراطلون في الطواف، فعلاهما بدرة، وفار لا أم تكما، اسعيا إلى العربية سبلاً^(٨)
- ٨ روى الدارمي عن مؤرق العجلي قال قال عمر بن الخطاب نعلموا الفرائض والمحسن والسر كما تعلمون بقرآن^(٩) قال أبو بكر الأسدي وحدث

-
- (١) أبو عبد الله مسائل لقرون ٢٣ ط، وأبو بكر الأسدي إيضاح لوقف ١ ٣٥
 - (٢) أبو بكر الأسدي إيضاح لوقف ١ ٣١، وعبد الواحد بن عمر أخبار الحويز ص ٢٤، ولرسدي طبقات الحويز والنعويين ص ١٣
 - (٣) أبو بكر الأسدي إيضاح لوقف ١ ٣٩
 - (٤) لرسدي طبقات الحويز والنعويين ص ١٢، والعتار اشمهد ٩٩ و
 - (٥) أبو بكر الأسدي إيضاح لوقف ١ ٣١، ولأسدي إيضاح ٦١ ظ
 - (٦) من أبي دود المصحف ص ١٤٢، وأبو بكر الأسدي إيضاح لوقف ١ ٤٩
 - (٧) عبد الواحد بن عمر أخبار الحويز ص ٢٥
 - (٨) عطف اشمهد ص ٢٠٥
 - (٩) سنن الدارمي ٢ ٣٤١، وأخرجه أيضاً أبو عبد الله مسائل لقرون ٢٣ ط، وأبو بكر =

يريد من هارون يهد بحديث، فقل له ما الملح؟ قال سحو^(١)

ب هذه مصوص، ومعظمها جاءت في روايات مسددة، لا يمكن أن يعص
بحث عصر عهد، ولا بد من محاولة تكشف عن دلالتها في موضوع شاة
سحو وعدم العربية، وسوف نحور ذلك، بعد أن نورد رواية بادرة رواها
صحابي ثريدة من الحُصَيْب الأَسْلَمِي، وهي توضح ما ورد في المصوص
سابقة

رواية ثريدة من الحُصَيْب الأَسْلَمِي

هي من روايات البادرة العربية التي لم تطبع عليها الباحثون في تاريخ السحو
العربي، وكنت قد عثرت عليها أول مرة في كتاب (المهيد في معرفة متجود)
لأبي لعلاء المعطّر، وقد كان مخطوطاً، ثم في مخطوطة كتاب (الإصاح في
انقرءات) للأندلسي، واضلعت عليها أخيراً في كتاب (الحامع لأحلاف براوي)
مخطب المعددي، وهو مطبوع وقد أخرج الرواية مؤلفوا الكتب الثلاثة كل
بأساده، ونلتقي لأساسه الثلاثة عند محمد بن المصير، ثم تتفق في أسماء
سند وهذا نص الرواية كما رواها المخطب معددي

(أبو يعيم أحمد بن عبد الله الحافظ بأصهار، ما محمد بن علي بن
حيثر، حدثنا حمال بن إسحاق الملحّي، ما محمد بن فضيل، ما العوام بن
حوشب، ما جرح بن أشيم، عن عبيد الله بن بريدة، عن أبيه عن

كبو يومرؤوس، أو كُنا نُؤْمُرُ، أن تعلّم بهار، ثم السّنة، ثم بهرائص، ثم
عربية الحروف الثلاثة من فلما وما الحروف الثلاثة؟ قال الجرّ والرفع
والنصب)^(٢)

= الأسدي، يصاح بوقف ٥ والأصداق (هـ) ص ٢٣٩

(١) يصاح بوقف ١ ١٥، والأصداق ص ٢٤١

(٢) الحامع لأحلاف براوي ٢ ٨٢، ولأندلسي الإصاح ٦٦ ظ، والمعطّر للمهد ص ٢١٠

ويمكن أن تُدرس هذه الرواية من ثلاث نواحٍ من ناحية الإسناد، ومن ناحية
المتن، ومن ناحية تحديد العصر الذي وقع فيه الأمر بالتعلم

١- ناحية الإسناد

نفتي أسند المصدر الثلاثة التي أخرجت الرواية عبد (محمد بن القيس)
وستوقف عنده في تسع رجال السند، وهم

١- يزيد بن حصيب الأسلمي، صاحب رسول الله ﷺ أسلم عام الهجرة،
وقدم بمدينة وسكنها إلى أن مُصِّرت البصرة، فتحوَّ إليها، ثم خرج منها عارداً
إلى حراسان في خلافة عثمان بن عفان، فلم يزل بها حتى مات في مرو في
خلافة يزيد بن معاوية، سنة ٦٢ هـ، وقيل ٦٣ هـ^(١)

٢- عبد الله بن يزيد بن حصيب الأسلمي، قاضي مرو، ولد لثلاث سنين
حلون من خلافة عمر، وتوفي سنة ١١٥ هـ، من ثقاة تابعين، وثقة يحيى بن
معين، وأبو حاتم وأساس^(٢)

٣- أنس بن شبيب^(٣)

٤- العوام بن حوشب، قال ابن سعد، وكان ثقة، مات سنة ١٤٨ هـ ووثقه
يحيى بن معين وغيره^(٤)

وفد جاء (أصرم بن حوشب) مكان (العوام بن حوشب) في رواية الأندلسي

(١) بن سعد الطبقات الكبرى ٨ ٧، والطبراني المعجم الكبير ٢ ١٩، وبن عبد البر
المستدرج ١ ١٨٥

(٢) بن سعد الطبقات الكبرى ٧/٢٢١، وبن أبي حاتم أنس بن حوشب ولعديله ٥ ١٣،
وإلهي ميرزا، لأعدل ٢ ٣٩٦، والسيوطي طبقات الحفاظ ص ٤١

(٣) لم أقف به على ترجمته

(٤) بن سعد الطبقات الكبرى ٧ ٣١١، وبن أبي حاتم أنس بن حوشب والتعديل ٧/٢٢

و بعد وأصرم هذا مشروك لحدث^١

٥ محمد بن لعصيل، سمعه الأندراي محمد بن فضيل العامد وقد ذكر
بن حبان في كتابه «ثقات» محمد بن لعصيل بن عباس بن الجراح سحي
بعد وف وف ك شيخ متف^٢

فرحان الإسناد بعد عليهم الثقة، وإذا أريدت جهات باجرح بن أشيم
سقم سد الرواية بن شاء الله

٢- ناحية المتر

قوله (كنو بؤمرو، أو ك بؤمر) قد انعطيت بعددي (قد أكثر
أهل العلم يحب أن تحمل قول الصحابي (أمر بك) على أنه أمر الله
ورسوله وف فريق منهم يجب توقف في ذلك لأنه لا يؤمن أن يعنى بذلك
أمر الأئمة و علماء كما أنه يعنى بذلك أمر رسول الله ﷺ وانقول الأول نوى
نصوب^٣)

قوله (أن تعين بهوان، ثم السنة، ثم الفرائض) سبق أن ذكرنا الأمر تعين
القرآن والتفقه في الدين أم (الفرائض) فتحتل أمرين لأول حدود الله التي
أمر بها وبهى عنها، وثاني المواريث^٤

أم قوله (ثم العربية) فقد جاءت مفسرة في روبة

فمضمون روبة يدل على اتفاق مع ما جاء في الروايات الأخرى، وهي لا
تختلف في المضمون عن روبة التي ذكرت من قبل وقد فيها عمر بن الخطاب

١) سحي تصدء ص ٢١، وسائي تصدء والمروكين ص ٢٢، وس أبي حاتم

بجرح ولعصيل ٢ ٣٣٦

٢) كتاب ثقات ٩ ١٢٣

٣) كفه ص ٤٢١

٤) بن منظور ص ٩ ٦٦ (فرص)

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (تَعَلَّمُوا، لَعَرَّثُوا وَالدَّحْرُ وَانْسَسْ كَمَا تَعْلَمُونَ الْقُرْآنَ)

٣ تحديد العصر الذي وقع فيه الأمر بالتعلم

د. الأمر بتعلم العربية لم يبرر إلا في خلافة عمر بن الخطاب، كما تنصح ذلك من مجموعته لمصوص بني نقسها في الفقرة الخاصة بتعليم العربية وما كان يريد من الحصص قد أقام بالبصرة طيلة خلافة عمر، وكان كتاب عمر قد جاء إلى أهل البصرة أن تعلموا العربية، فإن من المناسب أن يكون الوقت الذي وقع فيه الأمر بتعلم العربية هو في خلافة عمر، وإن كانت حكمة يريد به قد وقعت في زمن لاحق، وفي مكان آخر

المبحث الثالث

نشأة النحو العربي ودور أبي الأسود الدؤلي فيها نظرة جديدة

إن نشاط النحوي المصنوع الذي وقعنا على جوابه في سمحيت لسان
يمتصبي من الباحث أن يعد النظر في أولية النحو العربي ودور أبي الأسود في
ذلك وهو ما يريد أن يقوم به في هذا المبحث، بعد أن نحاول تحديد
المصطلحات التي تردد ذكرها في النصوص السابقة وهي (النحو، والعربية،
و النحو)

أولاً النحو، والعربية، والنحو

إن تحديد مدلول المصطلحات الثلاثة به علاقة محدد بدء دراسات دعوة
عربية، لأن هذه المصطلحات هي نتج من خلالها لمؤرخون بعداء عن
أولية عدم العربية، لكن تحديد مدلولها يجب أن يُرعى فيه معنى الذي كنت
نجد عليه في عصر الذي قبلت فيه النصوص التي وردت فيها هذه المصطلحات،
لا لمعاني لني كنسبتها في حقبة اللاحقة

١. النحو

أثر هذا المصطلح قدر كبيراً من الحدوث بين العلماء المتقدمين والمعاصرين^(١)
والذي يعكس ما هو ما يحدد دلالة في النصوص التي نقلناها في المبحث
السابق مثل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تعلموا الفرائض والنحو
وسس كما تعلموا الفرائض)، ومثله قول أبي بن كعب رضي الله عنه -
(تعلموا النحو في القرآن كما تعلمونه) وعماء لغة عربية الأوائل كلام في

(١) ينظر أبو بكر الأسدي لأصدد ص ٢٣٨، وس لأثير النهاية ٤ ٢٤١، وس مطو

سب لغت ١٧ ٢٦٣، ويوه فث العرسة ص ٢٤٣

توصيح معنى لكلمة في هذه الصوص وفي غيرها يمكن لإفادة منه في هذا
المحال

هو لأندري عن ابن مقسيم (محمد بن الحسن العطار، سعدي ت ٣٥٤هـ)
أنه قال (الحرف في كلام العرب

١ - يكون الصواب في الإعراب ٢ - ويكون إرانتة عن جهة ٣ - ويكون
التعريض بمعنى لا يظهر في الكلام ٤ - ويكون الطرب والتحريض^(١)

ونقل ابن مطور عن ابن بري (عبد الله بن بري المصري ت ٥٨٢هـ) أن البحر
سنة معان، هي الخطأ في الإعراب، واللغة، والمعاني، والمطنة، والتعريض،
والمعنى أو المعنوي^(٢)

وسحصر تفسير العلماء المتقدمين بكلمة (اللحن) في الصوص السابق في
معين من معاني المذكورة، هما الخطأ في الإعراب، وخطأ في اللغة،
وقد فسر أبو عبيد القاسم بن سلام الكلمة في قول عمر نعلموا اللحن والعرئص
والشئ كما تعلموا القرآن، بالخطأ في كلام وجعل منه رواية أبي العباس
كأن أطوف مع ابن عباس، وهو يعلمني لحن الكلام، وقال (إنما سمأه لحناً
لأنه إذا نثره صواب فقد نثره اللحن)^(٣)

وقال أبو بكر الأبي (وللحن حرف من الأصداد، يقال للخطأ لحن،
وللصواب لحن)^(٤) وقال في معنى الكلمة الواردة في قول أبي بن كعب
(تعلموا اللحن في القرآن)، وقول عمر (تعلموا اللحن والعرئص) فيجوز
أن يكون اللحن الصواب، ويجوز أن يكون الخطأ، لأنه إذا عرّف القارئ الخطأ

(١) لا يصح ٦١ ط

(٢) ساء عرب ١٦ ٢٦٥ لحن

(٣) عرب الحديث ٢ ٢٣٣، وعنه ابن الأثير النهاية ٢٤١، ٤

(٤) لأصداد ص ٢٣٨

عرف بصوب^(١)

وفى بن منظور (والمح الذي هو اللمعة كقول عمر - رضي الله عنه تعلمو
بفرائض والسُّنن واللمح، كما تعلمون القرآن، يريد بلمعه، وحاء في رواية
تعلموا المح في قرآن كما تتعلمونه، يريد تعلموا لعمه تعرف بفرائضها)^(٢)

وكأن يريد بن هارون بواسطي، وهو أحد أئمة الحديث (ب-٢٠٦هـ)، قد
حدث بحديث عمر تعلموا الفرائض والسُّنن واللمح، فقص به ما للمح^٣
فقال اسحو^(٣) وتفسير المح بالحو عند المتقدمين أمر مشتهر حتى إن الرواية
المنقولة عن أبي العالقة قد روت هكذا (كنت أطوف مع ابن عباس بالبيت وهو
يعلمني الحو)^٤ قد الأرهري (والمح اللمعة والحو)^(٥) وتفسير (المح)
بالحو أمرٌ حدث بعد أن تكامل علم الحو واستقرت قواعده، فيما يظهر، وهو
مسي عنى أساس أن علم اسحو صدر يعالج عوارض المح في الكلام العربي

ولا يحرج معنى كلمة (المح) في البصوص القديمة المذكورة عند أحد
أمرس لخطأ في الكلام، أو البصواب فيه وعلى أيٍّ منهما حملنا معنى الكلمة
في ما ورد في روايات المذكورة يدل على نشاط لغوي معتم بامر بحدف
بعلمه، ويعمل العلماء على تعليمه، فهذا عمر بن الخطاب يقول تعلمو
بمح، وهذا عند الله بن عباس يُعلِّم مح الكلام وهذا النشاط، وإن كان يبدو
شعوباً في حملته، يمثل لشأنة الأوبى لعلم الحو العربي والدراسات اللغوية
العربية

(١) لأحد د ص ٢٣٩

(٢) لس بن عرب ١٦ ٢٦٥ مح

(٣) بو بكر لأب ي لأحد د ص ٢٤٠

(٤) معط تمهيد ص ٢٠٨

١٥ ملاء عن بن الأثير نهاية ٤ ٢٤١

٢ العربية

العربية هي لغة العرب^(١) ويمكن أن يكون هذا المعنى هو المقصود في عدد من النصوص التي وردت في المبحث السابق، مثل قول عمر للرحلين اللذين كانا يترابطان في الطواف اتعيا إلى العربية سبيلاً ولكن بكلمة تحتل معنى آخر في مثل قول عمر تعلموا العربية، وهو يحاطب قوماً من العرب، وتحديد هذا المعنى مفيد في توضيح نشأة النحو العربي

وحاء في أكثر المصادر القديمة أن أبو الأسود الدؤلي هو أول من وضع النحو، وقد مر ذلك في المبحث الأول، لكن هناك روايات قديمة وردت فيها كلمة (العربية) مكان كلمة النحو، كما حاء في الرواية المنقولة عن عاصم بن أبي سحود (ب١٢٨هـ) الفاربي المشهور حيث قال (أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي)^(٢) ولا يراد بكلمة (العربية) في هذا القول وما أشبهه اللغة العربية قطعاً، وإنما يراد بها شيء آخر يتعلق بقواعدها أو خصائصها

واختلف الباحثون لمحدثون في دلالة كلمة (العربية) الواردة في قولهم (أول من وضع العربية أبو الأسود)، فذهب بعضهم إلى أن المقصود بها نقاط الإعراب التي استخدمها أبو الأسود في تقييد المصاحف، قال أحمد أمين (وإنني يظهر أنهم يعنون بالعربية هذه العلامات التي تدل على الرفع والنصب والجر والحرم والنصب والنفع والكسر والسكون، والتي استعملها أبو الأسود في المصاحف)^(٣)

وذهب بعضهم إلى أنها تدل على لغة الوادي، ثم صارت تدل على مجموع قواعد اللغة، فقال محمد خير الحلواني (وقد كان الناس يطلقون على لغة الوادي سبي صنع بها لشعر وبنو بها القرآن اسم (العربية)، كما ترى فيما نقل

(١) من منظور لساني لغوي ٢٦٦ عرب

(٢) السير في أخبار السجويين البصريين ص ١٧، والبريدي طعاب سجويين والسجويين ص ٢٢

(٣) صحي الإسلام ٢/ ٢٨٧

عن عمر بن الخطاب (تعلموا العربية، فيها تشب (ثت) اعقل وترند
«مروعة») وبت من السهل أن يكتسب مدلول الكلمة معنى اصطلاحاً بطق
على درسه (لعربية) وما تحويه من طواهر^(١)

وإذا كان نجد في الروايات القديمة ما يؤيد إطلاق كلمة (العربية) على نقط
مصحف، كقول محمد بن سيف الأردني (سألت الحسن عن لمصحف نُقِطُ
«عربية») ^٢ وكقول لست بن سعد (ت ١٦٥هـ) (لا أرى بأساً أن تُنْقَطُ
المصحف «عربية») ^(٣) وإذا كان نجد في تطور استخدام لكلمة ما يؤيد إطلاقها
على دراسة قواعد اللغة العربية، فيقد مثلاً علماء العربية، أي علماء قواعد
لغة العربية فإن التفسير لملائم لكلمة (العربية) الواردة في النصوص القديمة
سي يرجع إلى العقود الأولى من لقرن الأول لهجري هو التفسير الوارد في
رواية ترويه بن الحصيب الأسلمي، وهو ما نحاول توضيحه هنا

حاء في رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه (كانوا يؤمرون، أو كان يؤمر، أن
نعلم «قرا»، ثم السة، ثم الفرائض، ثم العربى بالحروف الثلاثة، قال قبا
وما الحروف الثلاثة؟ قال الحز والرفع والنصب)

وكما قد ناقشنا مضمون هذه الرواية، ويكتفي هنا بالوقوف عند تفسير كلمة
(العربية) بالحروف الثلاثة ويبدو أن المراد بالحروف الثلاثة هي حركات
الإعراب، التي كتبت اسم حركات في وقت متأخر عن زمن الرواية ويؤيد
هذا التفسير ما جاء في آخرها (الحز والرفع والنصب) ويؤيده أيضاً قول ابن
حي (وقد كان متقدمو الحويين يسمون الفتحة لألف صغيرة، ونكسره اسماء
صغيرة، والصمة الواو لصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة) ^٤ وهو
قول يمكن أن يستدل به على أنهم كانوا يسمون الحركات حروفاً

(١) مفصل في تاريخ النحو العربي ١ ١١ ١٢

٢ بن أبي داود مصحف ص ١٢٢

(٣) الدي محكم ص ١٣

٤، سر ص ١٩١ الإعراب ١٩

أما مصطلحات (بحر والرفع والنصب) فإن ورودها في الرواية يشير تسوؤاً عن وقت ظهورها واستخدامها، ويبدو أنها كانت مستخدمة قبل منتصف القرن الأول الهجري. ويؤيد ذلك رواية نقلها الحلبي جاء فيها (وكان أبو الأسود أحد ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه سمع لحناً فقال لأبي الأسود جعل لباس حروف، وأشار له إلى الرفع والنصب والجر)^(١)

إن هذه الروايات كان يُنظر إليها بعين لارباب من قبل الباحثين المحدثين، ونكبي أحد، لأن أن بعضها يُفسَّرُ بعضاً، ويكمل بعضها بعضاً. وأحد أن تفسير عربية بحركات متناوبة مع قوافل لعماء إن أول ما ظهر الاختلاف فيه من كلام العرب كان في حركات الإعراب، وأن هذا التفسير يتلاءم مع السياق الذي وردت فيه الكلمة في الروايات القديمة المنقولة من العقود الأولى بقرن الأول من الهجره

فمن ذلك الرواية التي نقلها البخاري رحمه الله تعالى حوون استباح مصاحف، وجاء فيها أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال للمصاحف الذين كانوا يسحبون المصاحف (إد، احتلتم أنتم وريد بن ثابت في شيء من القرآن فكسوه بسابهم، فإني لم أزل بسابهم) وجاء في روايته (إذا احتلتم في عربيه من عربيه القرن)^(٢)

وكذلك ما جاء في برحمه رز بن حنيس الأسدي تلميذ عبد الله بن مسعود، عن عاصم بن أبي سحود، وهو تلميذ رز أنه قال (كان رز بن حنيس أعرب الناس، وكان عبد الله يسأله عن معرفة)^(٣)

وكان بن عباس يعلم اللحن في رواية أبي العلاء، وقال عمرو بن دينار

(١) مراتب لحويين ص ٢٤

(٢) الجامع الصحيح ٦ ٢٢٤

(٣) ابن سعد لطائف الكرى ٦ ١٠٥، وس فيه المعارف ص ١٨٨، وابن الحري

عدة السهيه ١ ٢٩٤

(ت ١٢٥هـ) (ما رأيت محلياً قط أجمع لكل خير من محسن ابن عباس
 بحلال وبحرام، وتفسير القرآن، والعربية، والشعر، وانطعم)^(١)، وذل عند
 الله من عند الله من عتبه، وهو قديم ابن عباس (كان من عباس قد وب لاس
 محضاً وما رأيت أحداً كان أعلم شعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا
 محضاً ولا بقرينه منه)^(٢)

فكلمة (عربية) في هذه المصووص يُراد بها الإعراب الذي يُستدلُّ عليه
 بحركات ثلاث في آخر الكلمات لعربية، ويكون معنى قول عمر (تعلموا
 العربية) تعلموا الإعراب الذي يفتصي معرفه مواقع الكلمات في الجملة، لتحديد
 نوع حركه سي تنطق في آخر الكلمة، وسبب التأكيد على الإعراب هو أن
 لاجلال ولبحر طهر أولاً في حركات الإعراب في أواخر الكلمات^(٣)، فلفت
 نظر العلماء وأولي الأمر، فشهو، بس إبيه، وأرشدوهم إلى حسنه، وقد عدت
 من تفصيلات ذلك الجهد المبكر في تأسيس علم العربية، ونفيت منه هذه
 سمحات بدالة عليه

وإد صح تفسير كلمه (العربية)، المستعملة في عصر صدر الإسلام، بحركات
 لإعراب خاصة، كما ورد في روية تُريده، ذلك بروايات سي وردت فيها هذه
 بكلمه على شاطئ لغوي يتصل بتركيب الجملة، لأن حركات الإعراب تعبر بتعبير
 مواقع كلمات في الجملة، وعلى المتكلم ملاحظة ذلك حتى يستقيم كلامه
 ويكون صحيحاً وقد يكون حاس كير من هذ النشاط غير مدوّن وهو أمر لا
 يصل من أهمية هذه الحصة من تاريخ علم العربية، لأن تدوين المعرفة، بتعبيره
 أنني تركمت فيها قد سم بعد سنوات قليلة على يد أبي الأسود وتلاميذه

(١) بر الحري عيه سنة ١ ٢٦١

(٢) من سعد لطيفات كبرى ٢ ٣٦٨

(٣) حسي مرات لتحويل ص ٢٣

النحو مصدر الفعل نَحَوَ نَحْوًا بمعنى قَصَدَ، وصار اسماً للعلم الذي يُغنى به قواعد اللغة العربية ويرى بعض الباحثين، محدثين أن هذا المصطلح تأخر ظهوره عن الوقت الذي ظهر فيه مصطلح العربية، ويرى بعضهم أن أبا الأسود ربما لم يكن يعرف اسم النحو نتائج^(١)، ويُقدَّرُ أحرون أنه ظهر في عصر الطائفة التي عاش فيها تلامذته^(٢)

ومهم نكر الأمر من ظهور مصطلح النحو لم يتأخر كثيراً عن الحقيقة التي استخدم فيها مصطلح العربية، ونجد أنه يستخدم مرادفاً له فيقال أحياناً أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي^(٣) أو يقال إن الحسن بن سبويه كان يكره أن يقط المصحف بالنحو^(٤) والعناية المشهورة، تقدمه هي بقط المصاحف بالعربية

وكانت كلمة النحو تستخدم مرادفاً لكلمة الإعراب، فقد ورد في لسان العرب (نحو) عرب الكلام العربي^(٥) وورد فيه (والإعراب الذي هو النحو) إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ^(٦) ثم علب استخدام مصطلح النحو وصار علماً على لمباحث المتعلقة بقواعد اللغة العربية سواء كان ذلك من ناحية المفردات أم التركيب وقد قال ابن حني في تعريف النحو (هو انتحاء سَمَب كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره)^(٧)

(١) أحمد أمين صحى لإسلام ٢٨٧/٢

(٢) محمد الطنطوي نشأ النحو ص ٢٣

(٣) عبد الواحد بن عمر أخبار النحويين ص ٢٠

(٤) بن أبي داود، المصاحف ص ١٤١

(٥) بن منظور لسان العرب ١٨١/٢٠ (نحو)

(٦) مصدر نفسه ٧٦/٢ (عرب)

(٧) انحصانص ١ ٣٥

وعندما نعه عريه لأوائل والباحثين المحدثين كلام في تفسير تسميه هذا
 عنم نحو، ولمتقدمون يربطون بين الدلالة بعويه ومعنى الاصطلاح،
 نقول برححي في سب لتسمية إن أما الأسود (وصح كتاب فيه حُملُ العرب
 وقت بهم أحو، هـ النحو، أي اقصوده، والنحو القصد، شُمي لذلك
 نحواً) أو أن الإمام عبّ رصي الله عه قال لأبي لأسود حين عرّص عنه
 ما وضعه من نواب النحو (ما أحسن هـ النحو الذي قد نحوت، فذلك شُمي
 النحو)^٢

يذهب الباحثون المحدثون مذهباً قريباً من ذلك حين يربطون بين تسمية
 ومعنى الكلمة في أصل اللغة، ويستأنسون بالروايات القديمة التي ورد فيها مثل
 (نح هـ النحو) أو (ما أحسن هـ النحو الذي نحوت)^٣ وأنكر بعضهم الربط
 بين تسميه وهذه الروايات، وعذ ذلك تريد من لاس، ويرى أن أصل هذه
 تسميه (هو أن المؤدين أو المفرئين كانوا يستخدمون كلمة (نحو) بدلوا بها
 على نظريفة العريه في عبارة ما، كأن يقول بعضهم لبعض لعرب نحو في هـ
 كذا، أو نحو لعرب في هذا كذا، أو أن يسأل سائل كيف نحو العرب في
 هـ؟ أو أن يقولوا فلان ينحو في كلامه نحو لعرب)^٤

ولا سي على هذا الاختلاف في أصل التسمية شيء يتعلق بما بحث عنه هـ
 حول تاريخ بدء البحث المعوي العربي، وقد صحّ ما يذهب إليه بعض الباحثين
 من أن مصطلح النحو ظهر بعد مصطلح لعريه^٥، فإن ذلك يعني أن ظهور هـ
 مصطلح لا يقدم إضافة جديدة في الموضوع الذي نحن بصدده

(١) لإصحاح في عمل النحو ص ٨٩

(٢) أو التركت لأساي برهة لألاء ص ١٨، ويظهر من القديم لفهرست ص ٤٥

(٣) حنفي مرتب النحويين ص ٢٣

(٤) حمد أمين صحى لإسلام ٢ ٢٨١

(٥) محمد مصطفى شأه النحو ص ٢٣

ثانياً أبو الأسود الدؤلي وعلاقته بشاة النحو العربي

إن لشاط الدعوي الذي تتبع صورته في المبحث الثاني يمثل بدء الدرس الدعوي عربي، ويمكن أن نلاحظ على ذلك الشاط أنه

١ كان شعوباً في حملته، فلم يدور في كتاب

٢ كان وسعاً شمل الناربين في الأمصار الإسلامية من عرب وغيرهم

٣ كان معظم ذلك الشاط قد تم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويمكن أن نلاحظ هنا (أن السياسة الواسعة الأفق التي امتد بها الحليفه الثاني قامت بفسط لا يُستهان به في سبيل توحيد اللغة، وإنشاء سبيل مشترك بين قبائل البدو جميعاً، كما حففت العربية من الاصمحلل والاحلل)^(١)

٤ كان معظم ذلك الشاط بدور حول حركات الإعراب الذي يمثل أوضح خاصية في العربية، والذي كان أول ما احتل من كلام العرب فأحوخ إلى لتعمم ورواية بريده من لتحصيب تشير إلى ذلك

وبحق يد سنخلص من مجموع الروايات أن شاة النحو أو علم العربية تقرن بدء برول القرون وقرءته، وأن المعرفة اللعوية المظمة كانت تردد كما تقدم لسير، فإما نُقُذ ما قام به أبو الأسود الدؤلي وتلامدته مرحة حديده في تاريخ لدرسات الدعويه بعرضه اشملت فيها من مرحة الرواة الشهية للمادة اللعويه إلى مرحة تدوين ويمكن أن نخلص عمل أبي الأسود الدؤلي في أمرين

لأول تدوين الملاحظات التي استخلصها علماء الطقة لأولى، وهم الصحنة - رضي الله عنهم وقول المؤرحين الأوائل إن أبا الأسود هو أول من وضع لعرضه، أو أول من أسس العربية، يعني في تقديره أنه أول من دوّن الملاحظات لمتعلقه بفواعد اللغة

والآخر احرص علامات الحركات، وهو لمسمى نُقُط أبي الأسود، الذي

(١) يوهن فك العربية ص ١٩

طَبَقَةٌ فِي الْمَصْحَفِ أَوَّلًا، فَانْكَتَبَ الْعَرَبِيَّةَ كَمَا تَقْتَضِي إِلَى عِلَامَاتِ الْحَرَكَاتِ،
وَمَا قَدْ نَهَى فِي هَذَا لِمَحْدَرِ بَعْثٍ بِحَارًا كَبِيرًا اسْتَطَاعَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَنْ يَسْمَعَ
مُتَحَوِّلَ لِفَهْمِ إِلَى عِلَامَاتِ الْحَرَكَاتِ بِمُسَعْمَةِ فِي الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ بِسِيَرَتِهِ

وَكُنْتُ مَصَاهِرَ الْحَرِّ سَيِّدِ رَدَدْتُ فِي عَصْرِ أَبِي الْأَسْوَدِ مِنْ أَهْلِ الْعَوَامِلِ الَّتِي
دَفَعَتْهُ إِلَى الْعَدِيَّةِ بِمَوْصُوعِ تَدْوِينِ الْمُلَاحَظَاتِ الدَّعْوِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ
حَاصِلُهَا الَّتِي كُنْتُ مَوْصُوعِ عَدِيَّةِ بَعْدَهُمْ وَأُوسِي الْأَمْرَ فِي عَصْرِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ،
كَمَا أَنَّ سَيِّدَ سَبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ
مُلَاحَظَاتِهِ فِي هَذَا لِمَحْدَرِ يَبْدُو طَبَعًا، إِذْ تَصَوَّرَ أَنَّ عَدِيَّةَ الْخُلَفَاءِ الْإِشْدِيدِينَ
كُنْتُ مَسْنُومَهُ بِهَذَا الْمَوْصُوعِ، وَأَنَّ الْأَحْدَثَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي آخِرِ عَصْرِ الْخِلَافَةِ
بِإِشْدَادٍ فَدَعْطَتْ عَلَى أَحَدِ الشُّطْرَيْنِ الَّذِي لَمْ يَنْفُطَحْ، وَغَدَّ لِیُوصِلَ
مَسِيرَهُ لِمَصْعَدَةٍ فِي أَوَّلِ فَرْصَةٍ هَدَّاتِ فِيهِ الْأُمُورَ

وَكُنَّ الشُّطْرَيْنِ الْعَرَبِيَّ فَدَّ بَدَأَ فِي الْحِجَارِ، حَاصِلُهَا فِي مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْإِشْدِيدُونَ يُوجِّهُونَ ذَلِكَ الشُّطْرَيْنِ، ثُمَّ انْقَلَبَ مَرْكَزُ ذَلِكَ الشُّطْرَيْنِ
إِلَى الْعَرَبِ سَبِّ عَدَمِيَّ، الْأَوَّلُ اِهْتِمَامُ عَمْرِ بْنِ ابْنِ طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
تَعْبِيَهُمْ أَهْلَ الْعَرَبِ، فَأَرْسَلَ عِلْمَاءَ بَصْرَةَ إِلَى الْكُوفَةِ وَابْصَرَةَ، وَكَانَتْ بِسَائِلِهِ
بَرْدٌ عَنْهُمْ وَبَأْمَرِهِمْ نَعْلَمُ عَرَبِيَّةَ وَفَرَاةَ الْقُرْآنِ بِعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحِيَّ وَالثَّانِي اِهْتِمَامُ
مَرْكَزِ الْخِلَافَةِ إِلَى عَرَبِ فِي آخِرِ عَصْرِ الْخِلَافَةِ الْإِشْدَادِ، وَظَهَرَ طَبَعُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنْ تِلَامِذِهِ بَصْرَةَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيَّ دُوَّ الْمَوَاهِبِ الْمُصْعَدَةِ الَّذِي
وَصَفَهُ بِأَقْوَاتِ بَأْنِهِ (أَحَدُ مَدَائِنِ التَّابِعِينَ، وَابْنُ مَحْدُثِينَ، وَالْفُقَهَاءُ، وَالشُّعْرَاءُ،
وَالْمُرْسَلُونَ، وَالْأَمْرَاءُ، وَالْأَشْرَفُ، وَالْأَهْلَةُ، وَالْحَاصِرِيُّ بِحَوَابِ) (١)

وَوَصَلَ تِلَامِذُهُ أَبِي الْأَسْوَدَ عَمَلَهُمْ فِي نَكْمَلِ مَا دَوَّاهُ أَسَدُهُمْ، (وَكُنَّ عَمْرُ
أَحَدُ دِيْنٍ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ بَغْمِ وَأَحَدُ ذَلِكَ عَنْهُ أَيْضًا مَمْنُونُ الْأَقْرَبِ، وَعَمْسَةُ
ابْنِ، وَبَصْرُ بْنُ عَاصِمِ بَيْتِي، وَغَيْرُهُمْ، ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي

إسحاق انحصر في، فكان أول من نفع النحو، ومدة الفلاس والعلم (١)، ثم وصل ما أَصْلُوهُ من ذلك الثالوث لهم، والآخرون عنهم، فكان لكل واحد منهم من فصل حسب ما سطر من القول، ومدة من الفلاس، وفتق من الجمع، وأوضح من الدلائل، وسر من العدل (٢).

ولا يحصى على القاريء أن القول بأن أبا الأسود هو أول من وضع العربية أو دَوَّن النحو لا يعني أنه دَوَّن هذا العلم بكل تفصيلاته، وإنما وضع أصولاً عامة تتعلق بحركات الإعراب، ومعنى وضعه باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والحرم أنه دَوَّن ملاحظات تشير إلى حالات الرفع والنصب والجر في بحر الكلمات.

ونقل محمد بن سلام الحمصي قصة تَصَوُّرُ لِمَرِيءٍ لِمَقْدَرٍ لَدَيْهِ أُسْهُمٌ بِهِ الْعِلْمُ الْأَوَّلُ لِدَيْنِ أَسْهَوَا، سَحْوُ الْعَرَبِيِّ قَالَ (سَمِعْتُ أَبِي سَأَلَ يُوْسُ عَنْ سِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَعِلْمِهِ، قَالَ هُوَ وَالنَّحْوُ سَوَاءٌ، وَهُوَ الْعَايَةُ قَالَ فَأَبْرَ عِلْمَهُ مِنْ عِلْمِ لِبَاسِ النَّوْمِ؟ قَالَ لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ إِلَّا عِلْمَهُ لَصُحِبَتْ مَهْ (٣).

ولا يحصى عليك أن ابن أبي إسحاق هذا هو عبد الله بن علي كان أول من نفع النحو وسدَّ لفلاس والعلل، وهو تلميذ تلامذة أبي الأسود وكانت وفاته سنة ١١٧هـ ويونس هو بن حبيب أحد شيوخ سيوبه، وكانت وفاته سنة ١٨٢هـ وما ورد في هذه القصة يدل على نمو النحو العربي نموّاً سريعاً في القرن الثاني، وأن بدأت هذه العلم كانت بسيرة، ساءت الشأه العربية بحصة بهد العلم التي بدأت من تعلُّم لكتابة وحروف الأجددة لعربة وقرءة نمران لكريم وبلاوته في عصر السوء وعصر الخلافة براشده، ثم تطوّرت لتركز على الإعراب وصسط حركانه، واشتهت سائر كل ما يتعلق بتركيب الكلام العربي.

(١) محمد بن سلام الحمصي طبقات الشعراء ص ٥

(٢) ابن أبي طبقات النحويين وللعويين ص ١١

(٣) طبقات الشعراء ص ٦

الحاتمة

إن عتبة تأمر الله كاتب حراً من التعبير شامل الذي أحدثه لإسلام في حبه العرب، هم يكن لهم درس لعوي مطم قبل الإسلام، وإما كانوا يعول مصالحة والسلاعة في هدي من ملكتهم الدعوية لبي كدت سمعهم بها سليفه بعويه أصنة وأرب بقرآن بكريم سمعتهم فكر أول كتاب مدون تشهد العربة

ونعدّ جهود بني نديها المسمون لأوائل في محل قراءه انقرا وكما أنه نديها لندرس لعوي العربي، إذ إن قراءه انقرا وتحدث الشكل السائد للعربة لفصحي، وإن كسبه قد نقت الكنة العربية إلى مرحلة الاستخدام توسع لتي سمعها بكميل حوسب بقصر فيها متمثلة بحراع علامات الحركات، ونقط لإعجم التي ميزت من الحروف امتشابهة في الصورة

إن مصدر القديمة نسب نشأة الحو العربي إلى أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) الذي اخرج نظم الحركات بنقاط، بينما تقف أكثر مصدر لحديثه موقف لمتشكك من ذلك، وتكتفي بتأكيد اختراعه لنقط حركات التي استخدمها في صسط مصحف وما ورد في هذه البحث يؤكد ما جاء في المصدر القديمة ونصيف إليه أمرين

لأول أن نشأة الحو العربي ترجع إلى حقبة أقدم من عصر أبي الأسود، تبدأ برون العرب بكرم، وتمثل بالملاحظت التي أدها بعناء حول مكافحة بحر ونعلم عربية في عصر الخلافة الراشدة، خاصة في خلافة عمر بن حطاب الذي أدى عمارة كبيرة بالغة العربية وتعليمها

والآخر أن دور أبي الأسود الدؤلي يركز في نقطتين الأولى بدوس الملاحظت الدعوية التي كان يتداولها المهتمون بأمر سلامة الله ومن ثم قل

المؤرخون أول من وضع العربية أبو الأسود، ونحن نفسر كلمة (وضع) بمعنى
دوّن. والبنقطة الثابته هي نُقْطُ لمصحف الذي لم يختلف في سنته إليه المتقدمون
ولا محدثون

ب ما ورد في البحث يؤكد الشأة العربية الحاصه لعدم النحو العربي،
ويوضح المرحلة الأولى من تاريخ هذا العلم التي وصفها كثير من الباحثين
بالعموم، ندي نقدر أن كثيراً منه قد تبدد بما ورد في هذا البحث، إن شاء الله
عالي

(٢)

تَكُونُ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصْحَى^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

فإن علماء اللغة مُحدثين قد بحثوا في أصل العربية فصحي، وذهب أكثرهم إلى أن لشعر الجاهلي قد كُتِبَ لغة أدنى موحدة، وقالوا: إن العربية الفصحى كانت لغة مشتركة بين عرب قبل الإسلام وبين القرآن الكريم أثر سبب اللغة، وهم لذلك يرفضون الروايات التي تذكر أن الصحابة قالوا: إن القرآن الكريم أثر لغة قريش، لأنهم لاحظوا أن تحقيق المهمة عالت في قراءة القرآن وكس قريش لا يهمل، وتهمل علماء العربية المتقدمين بالتعصب أو المحاماة حين وصفوا لغة قريش بالفصحى مع حلولها من الظواهر الظرفية المعينة

وموقف علماء اللغة المحدثين هذا موقف خطير، إذ فيه تكذيب لصحة تدوين حداث أقوالهم في مصادر حديث الموثقة، وفيه يهمل لعلماء اللغة العربية القدماء بأنهم ناصبو عن لحقائق وأعمالهم العصب عن رؤيتها، فرغم أن لغة قريش هي أفصح اللغات، لأن النبي ﷺ منها، إلى جانب أن هذا الموقف لم يستند إلى حقائق ثابتة، ولا أداة واضحة

وكان ذلك الموقف المتسرع قد لعب نظري من سواب، ومن أحد وفيد م يُشكّلُ بهجة نظر واضحة في لموضوع، ولكني جعلت أوسع روايات وأدرس ظواهر، وأقنيتُ نظر في كتب لقراءات وتفسير واللغة والأدب، حتى فتح الله تعالى عيني ووفقني إلى تشجعه بضمث إليها الفكر وسجتم مع حقائق لتدريج

(١) بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد ٤٨، ١٩٩٥ م

وفواس التصوي للعووي وقد تزيشت مدة طويلة في نشر خلاصه م تنهيب إليه،
حتى عذب على طي الآر أن ذلك صدر يمثل وجهه نظر مكمله في الموضوع،
من سمعيد نشره، مع علمي أن حوات معينة لا تزال بها حاجة إلى استديو
و تعمق، عسي أن نجد من ساحتين ما يوضحها

وه ناسوب الموضوع في إطار خطة تلخص في عدوين المباحث الآتية

المبحث الأول آراء الدارسين في أصل العربية الفصحى

المبحث الثاني برول اقراا ندعة فريش

المبحث الثالث الهمر في للعة العربية

لمبحث رابع عربية الحجر أصل العربية الفصحى

المبحث الخامس الشعر الجاهلي وندعة الفصحى

المبحث السادس علاقة العربية الفصحى بقراءة القرآن ككرم

ويلرمي في هذه المقدمة توحيه الشكر لمهرون بالدعاء إلى أستاذي انكرمين
الدكتور عدان محمد ممدان وادكتور حسام سعد العيممي الأستاذين بمسم اللغة
العربية في كلية لأدب بحامعة بغداد، اللذين تفصلا بقراءة مسودة البحث، وأبدوا
ملاحظات مفيدة حوله، حرهما الله تعالى كل خير والحمد لله الذي أعاني
حتى أنجزت هذا البحث، وأسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة بآفعه، هو
حسب ونعم الوكيل

المبحث الأول

آراء الدارسين في أصل العربية الفصحى

حدث علماء العربية الأوائل عن أفصح لغات، وكنت لعه قرش في مقدمه انقائل لي حصوها بالصفحة، فقال يحيى بن ردد الفراء (ت ٢٠٦هـ) (ك) عرب بخصر الموسم في كل عام، وتصح السب في الجاهلية، وقرش يسمعون لغات العرب، وما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وحدث عنهم من مستشع لغات ومستقبح الألفاظ (

وفـ أبو نصر الغاري (ت ٢٦٠هـ) (ك) قرش أحوذ العرب تنهء لأفصح من الأعط، وأسهبها على اللسان عند نطق، وأحسنها مسموعاً، وأسهب يده عما في نفس والدين عنهم بقلب اللغة العربية وبهم اقتدي، وعندهم أحد اللسان عربي من بن فائل لغت هم فيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم كثر ما أجاد ومعظمه، وعليهم أنكر في عرب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذير، وبعض كنية، وبعض بطائيس، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر فائهم (٢)

وقال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) عن إسماعيل بن أبي عبد الله أنه قال «أجمع عماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، ولعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجائلهم أن قرشاً أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل شؤده جادهم من جميع عرب واصطفاهم، واحداً منهم نبي الرحمة محمد

(١) نقلاً عن السيوطي المهر ١ ٢٢١

(٢) نقلاً عن السيوطي المهر ١ ٢١١، ونص في كتاب الحروف لعماد أبي (ص ١٤٦) مع

خلاف يسير عما نقله السيوطي

وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنها ^(١)، أتتهم الوفود من العرب بحيرُوا من كلامهم وأشعارهم أحسن لديهم وأصمى كلامهم وجميع ما تحيرو من تلك اللغات إلى حذرهم وسلاتهم سي طُغُوا عنها، فصاروا بذلك أفصح العرب ^(٢) ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعة تميم، ولا عجرقة قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي سمعه من أسد وقيس، مثل تلعمون ويعلم، ومثل شعير وبكير ^(٣)؟

وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) وهو يتحدث عن أثر لمخالطة في حروف الألسن * ولهدا كتاب لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها بعدهم عن بلاد أعجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتسبهم من ثقيف وهذيل وجراعة وسي كنانة وعطفا وسي أسد وسي تميم وأما من بعد عنهم من ربيعة وبخم وحدام وعسار وإبد وفصاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحشة، فلم تكن لديهم تامة المنكة بمخالطة الأعاجم، وعلى سنة بعدهم من قريش كان لاحتجاج بلعنهم في الصحة والفساد عند أهل الصبغة العربية ^(٤)؟

وتشرت هذه لصوص في أن لغة قريش هي أفصح لغات العرب، ثم هي شير إلى موطن الفصحى في قبائل العرب، من اندي أحدث عنهم لصوص اللغة واعتمد عليهم في الاحتجاج المعوي، وورد في قوس الفراء وابن فارس أن قريشاً كانوا يحيرو من كلام القبائل الأخرى التي تؤم وفودها مكة لدح أو لتجارة، ويمكن أن نكون هذه ملاحظة الأخيرة مفضولة إذا حملنا ذلك التحير على معنى متأثر غير بمقصود بكلام العرب الذين يحيطون أهل مكة في مناسبات متعددة، فتكرر المخالطة وتنوع ما سمعه أهل مكة من كلام القبائل يمكن أن يحصل متأثر، ولكن مع عدم ذلك التأثير غير محددة ولا هي بيّنة

☆ ☆ ☆

(١) لصاحبي في فقه اللغة ص ٣٣

(٢) مقدمه تاريخ ابن خلدون ١٠٧٢/٢

ونبحث عدد من المنششرين هذا الموضوع وهم يتحدثون عن لغة الشعر
«جاهلي»، وعن لغة «القرآن الكريم»، ويذهب أكثر من طائفة على أبحاثهم التي
ترجمت إلى «عربية» إلى أن هناك لغة أدبية مشتركة تنظم الشعر العربي قبل
الإسلام، ولكنهم كانوا مضطرين في تحديد اللغة التي أول بها القرآن «الكريم»،
وسأعرض عدداً من النصوص التي توصلت وجهة نظرهم

يقول المنشق الألماني نودور بولدكه «وقد سيطرت في تحرير العربية
نفسها، في القرن السادس الميلادي تلك اللغة التي سميها «مرء» (اللغة العربية)
إلى حد بعيد جداً، لأنها أهم لغة تكلم بها العرب مطلقاً، والشعر الذي اردوه
حدث في كل وسط «التحرير» العربية وشمالها، حتى أسفل مصر وما وراء
ذلك، هذا الشعر يستعمل لغة موحدة ويمكن «مرء» أن يفسر أن لغة الشعر
كانت على الأقل بالنسبة لمعظم العرب لغة فيه مصنوعة وأن بعض القبائل
تحدثت لغة القبائل الأخرى»^(١)

ونقول عن علاقة لغة قريش باللغة الأدبية التي نتحدث عنها «وتسميه اللغة
عربية» (اللهجة القرشية) تلك التسمية التي غالباً ما يستعملها الأوروبيون تسمية
خاصة جداً، ولا توجد أدلة لدى أي مؤلف عربي، وقد نتكلم عن اللهجة قريش
في أحوال نادرة لتعبر عن العروق اللغوية الخاصة بمكة وقد اعتمد على
هذه التسمية التي حاربها لخط الرأي الذي تكرر القول به في عصر الحديث بأن
للغة العربية الكلاسيكية هي اللهجة قريش التي لم تُخ لها نكت لمكة إلا بسبب
مروء قراء بها، غير أن يعرف أن طريقة نطق مدون بحجر ليست في كل
مواضع متفقة مع لغة الشعر أما الروايات التي تقول بأن اللهجة قريش هي
أحسن اللهجات العربية كلها فإن بعضها محرج، وفي بعضها مجاملة للحكم
حين يتحدثون من قبله قريش»^(٢)

(١) نصاب سامية ص ٧٤ ٧٥

(٢) نصاب سامية ص ٧٨

وعرض كارل بروكلمان المستشرق الألماني للموضوع على نحو موحى في كتابه «تاريخ الأدب العربي»، و«فقه اللغات سامية»، فقد في الأول «ولا شك في أن لغة الشعر، تقديم هذه لا يمكن أن يكون الرواة والأدباء اخترعوها على أساس كثرة من اللهجات، لندرجه، ولكن هذه اللغة لم تكن تكون لغة حاربه في الاستعمال العام، بل كانت لغة فنية قديمة فوق اللهجات، وإن عدتها جميع اللهجات»^١ وقد في الثاني «ويستخدم كل شعراء هذه البلاد لغة مشتركة، هي لغة شعرنا، مع أنهم ينمون إلى قائل مختلفة وقد كان يعيش إلى جانب اللغة الشعرية في شمالي الجزيرة العربية لهجات القائل كذلك، تلك اللهجات التي لا يعرف عنها إلا شيء الضئيل، عن طريق سحويين متأخرين غير أن يعرف إحدى هذه اللهجات وهي لهجة مكة عن قرب، فهي تكون الأساس الذي نبي عليه انفراد الكريم»^٢

ونقش المستشرق الفرنسي بلاشير الموضوع على نحو أكثر تفصيلاً في كتابه عن (القرآن)، وكتبه في (تاريخ الأدب العربي لعصر الجاهلي)، فأثر في كتابه الأول سؤالاً عن دلالة عبارة انقرية ﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء] حيث قال «فهل كان المقصود بالنسبة لمحمد وأبناء جيله لهجة المحبة لمحكيه في مكة؟ أم كان المقصود لغة شعرية عامية؟»^(٣)، تُسَعَّلُ إلى جانب اللهجات المحكية لمحكيه عند قائل اسدو من شرقي الجزيرة العربية حتى الحجاز؟ إن الإجابة عن هذا السؤال مستحيلة إن كل شيء يؤدي إلى التفكير بأن انقرية لم يُفعل ويُدَوَّر باللهجة الحاصلة بمكة، بل بلغة قريبة من اللغة الشعرية»^(٤)

ويعلل على بلاشير التردد في إعطاء جواب محدد عن القضية في كتابه الثاني،

(١) تاريخ الأدب العربي ١ ٤٢

(٢) فقه اللغات السامية ص ٢٩ ٣٠

(٣) كذا في نص المرحوم وعليه (عمد)

(٤) انقرية برولة، بلوييه، ترجمته، تأثيره، ص ٩٢ ٩٣

مع أنه حصص فصلاً كاملاً لمناقشتها^(١) ستهله بمناقشة لمعطيات التي يمكن أن نَعتمد عليها في دراسة اللغة العربية ولهجاتها، ثم عرّض نظرية علماء المسلمين عن شِوء العربية لمصحى، وناقش في فقرة أخرى تلك النظرية، فقال «يعرّض النظرية الإسلامية الفائلة بتولد العربية لمصحى من اللهجة بمكة باعتبارها عموداً عويّاً عصاً»^(٢)، منها أنها لا يمتد برهاناً على تفوق اللغة القرشية في شأن تحريره فن ظهور القراء، ومنها أن القراء لو ظهر باللهجة قریش خارج الحجر أحدث لاثير الذي أحدثه، حسب رأيه^(٣) وهذه الاعتراضات لا تُشكّل في الواقع عصة حقيقية في وجه النظرية الإسلامية على ما سيتضح من مناقشة موضوع قراء لغة قریش في مبحث لاحق، إن شاء الله تعالى

ويحتّم بلاشير مناقشة موضوع (اللهجة الشعرية وشِوء العربية لمصحى) من وجهة نظره، ويقرر «أن قراء لا يستند على اللهجة المكية بل على لغة شعر الجاهلي»، ولكنه يعرف أنه لا يزال مصدر تلك اللغة الشعرية مجهولاً، وهو يتردد في تحديد أصلها بين أن تكون لهجة محلية تطورت إلى لغة أدبية، وبين أن تكون تركيباً صاعباً بنشأ من أكثر من لهجة، ويقول إنه من لدينا أسباب قوية تجعلنا نعتقد أن تكون تلك اللغة الشعرية هي لغة الوحي الحرفي على محمد ﷺ ويحتّم بلاشير مناقشته بالتأكيد على أثر القراء والحويين في صوغ قواعد العروة المصحى على نحو طمس كثيراً من معالم لهجات القديمة وسكها في ذات موحد^(٤)

ويمكن أن ننحصر وجهة نظر هؤلاء المستشرقين في الموضوع بالنقاط الآتية، مع ملاحظته وجود قوارق خفية بينهم

١ أن لغة الأدب التي يُطم بها شعر الجاهلي لغة فنية مصنوعة غير حرة

(١) هو لفصل الثالث من كتاب تاريخ الأدب العربي (ص ٧٧-٩١)

(٢) تاريخ الأدب العربي ص ٨٥

(٣) مصدر نفسه ص ٨٥-٨٦

(٤) تاريخ الأدب العربي ص ٨٦-٩١

هي الاستعمال اليومي العام، وكانت تعيش إلى جانبها لهجات نقائل بني
تستعملها في شؤون الحياة اليومية

٢ أن اللغة الأدبية لا تستند إلى لغة قرش

٣ أن برول انقرآن تكريم كد مألوفة لأدبيه، لا مدعه قرش

وبركت هذه الأفكار ثاراً وصحة لدى كثير من السحطين المحدثين من العرب
وهم يعدحون لفصحة، ولكن استطاع بعضهم أن يحرر فكره من قيودها ويقترن
من الصورة التي تتصوره تتكون العربية الفصحى، والتي تعتقد أنها أكثر مطابقة
لحديثق لنا.يح وقواين للغة

☆ ☆ ☆

ونافش المؤلفون في تاريخ الأدب العربي وفقه اللغة العربية من العرب هد،
الموضوع أيضاً في العصر الحديث، وكان مصطفى صادق الرافعي من أوائل
الذين صدوا، نُحِث الموضوع في كتابه (تاريخ داب العرب) الذي صدر بحره
الأول منه في القاهرة سنة ١٩١١م وهو يذهب إلى أن اللغة العربية الفصحى مرت
بأدور من التهذيب كان آخرها الدور الذي سادت فيه لغة قرش قبل الإسلام،
وسعتهم برن لغزان فتكونت به الوحدة الدعوية في «عرب»^(١) ورافعي بكر أن
تكون هناك لغة أدبية قبل الإسلام، حيث يقول في كتابه (لمعركة بين القديم
والحديث) «على أن هذه (اللغة الأدبية) وَهْمٌ سحب من أوهام لمستشرقين
فإن اللغة الأدبية لا شأ ولر تستقيم إلا إذا كانت مدونة متدرسة، إذ كتابه قُيْدُ
من تعبير وانسديل، وهي نصٌ في عموم الاحتذاء والمحاكاة، لأنها في مكاب م
هي في كل مكاب غيره»^(٢)

ونادون الدكتور طه حسين بموضوع في أثناء بحثه عن أدلة يُقَوِّي بها نظريته

(١) تاريخ داب العرب ١ ٨١ ٩٠

(٢) لمعركة بين القديم والحديث ص ٣٧١

المردودة في تحول الشعر لجاهلي، وتحدث عن عدد من القصائد التي أثرت حدلاً لدى الدخيلين، ولدي يعسب هذا هو حديثه عن اللغة الفصحى، وهو يرى أنه «من المصور جداً أن يكون لكل قبيلة من القبائل العدسية عنها ولهجاتها ومذهبها في كلام، وأن يظهر اختلاف اللهجات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل أن بقرص القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متفردة، وبكس لا يرى شيئاً من ذلك في الشعر العربي الجاهلي»^(١) ويرى «أن الإسلام قد فرض على العرب جميعاً لغة عامة واحدة هي لغة قرش»^(٢)

وعلى الرغم من ذلك نجد مردهم بعد ذلك، ويعترف بأن لغة قريش كانت قد بدأت بها عوامل سيادة والانتشار قبل الإسلام، حيث قال «فالمسألة إذن هي أن تعلم أسادت لغة قريش ولهجاتها في بلاد العربية وأحصت العرب بسطاطها في الشعر واشتر قبل الإسلام أم بعده؟ أم نحن فنوسط ونقول إنها سادت قبل الإسلام حين عظم شأن قريش وحين أحدثت مكانة تستحق إلى وحدة سياسية مستقلة مفهومة سياسياً، الأحسية التي كانت تتوسط على أطراف بلاد العربية، ولكن سيادة لغة قريش قبل الإسلام لم تكن شيئاً يذكر ولم تكن نتاج حوار الحجاز»^(٣)، وينتهي إلى يقين «لغة قريش إذن هي هذه اللغة العربية الفصحى، فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السيف وإنما يعتمد على سمعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية وكانت هذه الأسواق التي تشر إليها في كتب الأدب، كما كان الحج، وسببه من وسائل سيادة لغة قريش»^(٤) ويلاحظ هنا أن الدكتور طه حسين يجعل سيادة اللغة القرشية في وقت قريب جداً من ظهور الإسلام، حيث استخدم (قبل الإسلام)، وكذلك هو يحصر تلك السيادة في رقعة جغرافية محدودة هي بلاد الحجاز فقط

(١) في لأدب جاهلي ص ٩٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٣

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٥

(٤) المصدر نفسه ص ١١٧

وبعد منتصف هذا القرن ازداد عدد الذين تناولوا الموضوع، ومعظمهم ممن كتب في لغة العربية، وهم جميعاً يذهبون إلى وجود لغة أدبية قبل الإسلام، تُستخدَم في الشعر الجاهلي، ثم برز بها القرآن الكريم، وأكثرهم يرى أن تلك اللغة لا ترتبط بـ لغة قريش أكثر من ارتباطها بـ لغات القبائل الأخرى، وعدد منهم يعرف بوجود شبه كبير بين العربية الفصحى و لغة قريش، لكن مسألة الهمز تجعلهم دائماً يقولون إن العربية الفصحى لا تستند إلى لغة قريش وحدها. ونحن عرض وجهات نظرهم جميعاً على نحو مفصل أمر لا تحتّمه طبيعة هذا البحث، وسوف أكتفي هنا بملخص وجهة نظر رواد البحث اللغوي العربي، وأشير بإيجاز إلى جهود غيرهم

يسمح رأي الدكتور إبراهيم آيس في قوله «لما جاء الإسلام كانت اللغة العربية مردهرة مكتملة تنظم كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتضطلع في أدب يعثر بها أهلها، ويتنافسون في إتقانها وإجادتها» وكانت هذه اللغة الأدبية بمثابة لغة مشتركة بين العرب جميعاً، يتحدثونها أداة التعبير عن أدبهم ويعتبرونها كل الاعتزاز، وبهذا برز القرآن الكريم بها فلم تكن لغة قريش وحدها أو لغة مكة وحدها، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعاً، غير أن بروز القرآن بها قد رادها ردهراً وثبت أركانها ودعائمها»^(١)

وكان الدكتور إبراهيم آيس قد فصل عوامل تكون اللغة الأدبية المشتركة، وبحث في العوامل التي ساعدت على نمو لغة أدبية عربية في بيئة مكة من ديبية واقتصادية قبل الإسلام في كتابه (مستقبل اللغة العربية المشتركة)، ثم قال «وهكذا يرى أن بيئة مكة قد هيئت لها ظروف وقرص بعضها ديني وبعضها اقتصادي واجتماعي مما ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلعت إليه قبائل، وشذت إليه الرحال فروعاً عدة قبل الإسلام، فكان أن نشأت بها لغة مشتركة تأسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة، ولكنها استمدت أيضاً الكثير من صفات اللهجات التي كانت بقدر إليها ثم تمت هذه لغة مع الزمن وتبلورت

(١) اللغة بين القومية والعالمية ص ٢٧٥-٢٧٦

مسائده وأصبح بها كيان مستقل عن كل اللهجات، ثم انتشرت مع نقائش والوفود التي تنظم جميع أنحاء شبه الجزيرة وأصبحت اللغة التي ينظم بها شعراء ويحطون بها الحظوة والتي تُضطَعُ في كل مجال حدي من القلوب، فهي للغة الأدبية المودحية التي كانت محل الإعجاب والتقدير من العرب جميعاً، ولذلك نرى بها قرآن الكريم فلا يمثل القرآن لغة قريش وحده كما يتردد أحياناً في بعض الكتب وروايت، وإنما يمثل اللغة المشتركة بين العرب جميعاً، لغة لأدب من شعر وحضارة وكتابة^(١)

وقد ردّد الدكتور إبراهيم أبيس أنه السانق في مواضع كثيرة من كتبه (في اللهجات العربية)^(٢)، وهو يعترف بأثر لغة قريش الكبير في الفصحى حيث قال «وقد تحدث تلك لغة الأدبية معظم صفاتها من لهجة قريش مع ما استحسنه خاصّة العرب من صفات اللهجات الأخرى»^(٣) ولم ندكّر من العوارق المدعوية لبارزة من الفصحى ولغة قريش سوى موضوع الهمز، حيث قال «وتختلف اللغة لأدبية عن لهجة قريش في القليل من انصاف الصوتة، كتخفيف الهمزة الذي لم تكن شائعة بين الحجازيين ولكنه نُغِذَ أصلاً في اللغة المودحية»^(٤)

ويحدث ندكو. ومصدر عند تنوابع في فصل خاص من كتبه (فصول في فقه العرصة) عن (طرووف يكوون لعربية الفصحى)، وهو يقرر فيه أن لغة المشتركة نشأت وامت وازدهرت قبل الإسلام في مكة، لطرووف ديسة وميانية واقتصاديه^(٥)، ويبيّن، بعد أن شرح تلك الطرووف، صفات تلك العربية الفصحى المشتركة^(٦) والصفة لأولى هي أنها فوق مستوى العامة، أي أنها لم تكن في

(١) مستقر اللغة العربية المشتركة ص ٨ ٩

(٢) ينظر في اللهجات العربية ص ٤٠ و ٤٦ و ١٢٩

(٣) في اللهجات العربية ص ١٥٣، وتنظر ص ١٣٨

(٤) في اللهجات العربية ص ٣٨

(٥) فصول في فقه العرصة ص ١٣ ٦٤، وينظر أيضاً كتابه المدخل إلى علم اللغة ص ١٦٧

(٦) فصول في فقه العربية ص ٦٥ ٧٨

متشابهة جميع العرب، وشدية أن اللغة المشتركة لا تنتمي صفاتها أو عناصرها إلى فئة محله نعيمها، أي أنها ليست لغة قبيلة نعيمها، فلا يحق لنا أن نقول مثلاً، حسب رأيه إن اللغة المشتركة هي لغة فريش، أو نعيم أو غيرهما من قبائل العرب، بل هي مزيج من كل هذا ولكنه يقرر في الوقت نفسه «أن لهجة فريش أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة، فلا مبالغة إذن في إطلاق عبارة (نعم فريش) على اللغة العربية الفصحى»^(١) والصيغة الثالثة أنها لم تكن لغة سليقة لكل العرب، ومعنى السابقة أن المتكلم يتكلم باللغة بغير شعور بها من خصائصها

وتحدث الدكتور محمود فهمي حجازي عن الموضوع في أكثر من كتاب من كتبه، ويتنحصر رأيه في قوله «ونختلف اللغة العربية الفصحى كما نعرفها في شعر نحاهي اختلافات نعيمها عن كل لهجة من اللهجات العربية القديمة، حتى إنه من الصعب عنار لعربية الفصحى امتداداً مباشراً لإحدى هذه اللهجات»^(٢) وقال في موضع آخر «ولهذا فليس من الممكن تصور أن لغة القرون الكريمة تعكس لهجة الحجاز أو أية لهجة أخرى»^(٣)

وهذا عدد من الباحثين يخوض هذا المسعى، وهو يقول بأن العربية الفصحى تكونت من الإسلام، وأنها لا تمثل لغة نعيمها من لغات العرب، مع اعترافهم بأن لغة فريش أسهمت بقسط وافر فيها، لكن مسألة الأهم في العربية الفصحى تقدم لهم دليلاً على عدم انتساب العربية الفصحى إلى لغة معينة من قبائل العرب، منهم الدكتور عبد لصور شاهين^(٤)، والدكتور أحمد نصيف نحاسي^(٥)

(١) المصدر نفسه ص ٦٩

(٢) علم اللغة لعروة ص ٢٣٤، وبظر أيضاً كتابه المدخل إلى علم اللغة ص ٢٤٠ - ٢٤٥.

واللغة العربية عبر القرون ص ٤٠ ٤٣

(٣) علم اللغة لعروة ص ٢٣٧

(٤) في علم اللغة العام ص ٢٢٣ - ٢٢٤

(٥) ملامح من تاريخ اللغة العربية ص ٢٣ و ٥١ و ٦١

ويقول الدكتور عبد الرحيم بعد أن عرض آراء الباحثين في أصل العربية
فصحى «وإن رأيي بعدُ هو ما يحسه موافقاً لطبيعته، يتطور، الدعوي، وهو أن شبه
تحريره «عربية كدت بها تهجات كثيرة مختلفة تنتسب كل منها إلى أصحابها،
وإني حسب هذه التهجات كدت هناك لغة عربية مشتركة تكون على مر الزمن
بطريقة لا سبيل لها، لأن إني سبها، وهذه اللغة المشتركة لا تنتسب إلى أصله
بذاتها لكنها تنتسب إلى لغات جميع»^(١) واطلعت أخيراً على مناقشة الدكتور
تمام حسد بموضوع، وهو يعني أن تكون لغة قرش أصلاً للعربية الفصحى^(٢)

ويجد صدقه فئة من الباحثين قد ذهبت إلى أن لغة قرش هي أصل عربية
فصحى، وأن العرب تكريم بل بها، وأن سيادة الفصحى هي التحرير العربية
كبت قبل الإسلام، ومن هؤلاء الدكتور علي عبد الواحد وفي^(٣)، و الدكتور
حسن عوي^(٤)، والدكتور شوقي صيف^(٥)

وذهب الدكتور صبحي الصالح إني ذلك أيضاً، لكنه أشار قصة الهمز وأشار
إلى أن العربية الفصحى أحدث ذلك من لغة نهم وعُتِل ذلك «أن العرب حين
استصهوا بهجة قرش وجعلوها لغتهم لأدبية المشتركة أثروا فيها مثمما أثروا
بها»^(٦)



(١) تهجات عربية في لغات القرية ص ٤٨، وفيه اللغة في الكتب العربية (له
ص ٢٠، وذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى رأي قوب من هذا، ينظر لغوة
ولهجات ص ٤١)

(٢) نظر تفاصيل في كتابه، لأصول ص ٧٤ ٧٨

(٣) لغة نهم ص ١١٢

(٤) اللغة وسحو ص ٤٤

(٥) تاريخ لأدب عربي (عصر الجاهلي) ص ١٣٤

(٦) دراسات في لغة الله ص ٧٢ ٧٨ وص ١٠٩

بـ راء الباحثين في علاقة العربية الفصحى بلغة قريش تلحصر في ثلاثة اتجاهات

الأول استبعاد استناد العربية الفصحى إلى لغة قريش، وهذا لاتجاه يعيب على آراء المستشرقين

الثاني أن العربية الفصحى استمدت كثيراً من خصائصها من لغة قريش، لكن بعات مسائل الأخرى أسهمت على نحو كبير في تكوّن الفصحى أيضاً، ويعيب هذا الاتجاه على أكثر الباحثين، محدثين من العرب

الثالث أن لغة قريش هي أصل العربية الفصحى، وهو رأي عديم العرب الأوائس ودأي عدد قليل من المحدثين

وتشير آراء الباحثين التي عرضها فصيلاً أخرى محتاجة إلى التحقق، منها

١ وجود لغة أدبية مشتركة قبل الإسلام يستخدمها العرب عامة في الشعر والحطابة ونحو ذلك، مهم كان أصل تلك اللغة

٢ برون، نقرأ تلك اللغة الأدبية وهي برونه بلغة قريش^(١)

وبعد أن عرضنا آراء السابقين وحددنا اتجاهاتها ودلالاتها عليا أن نعطي في المناقشة الآلية إجابات محدده عن القضايا التي أثارها تلك الآراء، وسوف أبدأ بقصه برون القرن، لأن إثبات هذه القضية سوف يمهّد للإجابة عن القضايا الأخرى، إن شاء الله

(١) كان الدكتور جواد علي قد كتب مقالة عن (لهجة لقرون الكرم) في مجلة المجمع العلمي لعراقي، المجلد الثالث الجزء الثاني، سنة ١٩٥٥م، ناقش فيها موضوع اللغة التي ابرز بها القرون، واستعرض ما ورد في تراث العربي عن لموضوع وأشار إلى ما كتبه المستشرقون، وفي رأيه فإن (لغة المثلث لكون رأي عديم عن أمثال هذه الموضوعات بالرجوع إلى الكتابات لأصيه المدونة بمختلف اللهجات) (ص ٢٨٣) ووعد في حر مقاله أن يسمها في العدد الآتي من المجلة ولكني لم أجد لتمة فيه

المبحث الثاني

نزول القرآن بلغة قريش

تقبل المصادر لعربية لهذبة روايت تؤكد أن العرب أنزل لغة قريش، وهذا دأب كثير من الباحثين المحدثين على رفض تلك الروايات، يقول بلاشير «إن العرب لا تستند على اللهجة لمكة بل على لغة أشعر الجاهلي» ويعود الدكتور عبد الرحيم «وثرؤد لكث كثير أيضاً أن العرب أنزل لغة قريش، ومع أن القرآن الكريم بقرائه المتواترة والشدة يباقي هذا الرعم على ما سيظهر خلال هذا البحث فإن النصوص الكثيرة التي يروونها عن (اللغات) التي نزل عليها العرب كفيه لنقص ذلك أيضاً»^(١)

وكان الدكتور إبراهيم السامرائي أكثر الباحثين المحدثين الذين اطلعوا على آرائهم رفضاً بفكرة نزول القرآن بلغة قريش، وأطارد حديث في رده وهو يتحدث عن تاريخ لعربية، وسدع النصوص لمقولة من كناه (تاريخ العربية) يتحدث عن أنه، قال «يكبر معيون بالدراسات القرآنية أن القرآن جاء بلسان قريش وهذه مقولة لا تجد بها مكاناً وصحاً يحققه البحث العلمي»^(٢) وهو «ثم إن هذه الآراء التي فصلت لغة قريش ووصفتها بالمصحى وهي أفصح من سواها تؤدي إلى القول إن القرآن أنزل بلغة قريش

«وإن النظر العلمي لهذه المسألة، واللغوية التاريخية يسعد كل البعد عن هذه الأقوال ولا نسلم أن لغة قريش أفصح اللغات بحلوها من العيوب التي أشدرو

(١) تاريخ لأدب عربي (عصر الجاهلي) ص ٨٧

(٢) نهجاء بعربية في بقرءات لقرآنة ص ٤٣

(٣) تاريخ بعربية ص ٣٩

بها لآسا لم يعرف شيئاً واضحاً عن هذه اللغة في أصواتها ومساها ومعانيها،
وأكثر نظر أنهم سلّموا بذلك لأن الرسول الكريم صلوات الله عليه من
قريش

«ولا تُسَلِّمُ أَنْ قَرِيشٌ أَفْصَحُ الْعَرَبِ

ثُمَّ إِيَّاهُ لَا تُسَلِّمُ أَنْ نَكُونَ لَعَةً قَرِيشٍ أَفْصَحَ اللَّعَاتِ

ولا يستطيع أن يُسَلِّمَ أَنْ الْقَرِيشَ أَوَّلُ بَلَدِهِ قَرِيشٌ فكيف يقول إن القرآن
أَوَّلُ بَلَدِهِ قَرِيشٌ إذا عرفنا أن قَرِيشَ تُسَهِّلُ الهمزة في حين أن بَصَرَ «بصر» قد
احتفظ بالهمزة»^(١)

وقال في موضع آخر من الكتاب «و اهتمام الدعويين باللغات التي وردت في
المصحف ولا تساع في القراءات يشعرنا أن مسألة مجيء البصر القرآني بلسان
قريش شيء لا يستطيع أن يضمن إليه كثيراً وقد أهتم بجمع القرآن أبو بكر
وعمر وعثمان وأيدهم علي بن أبي طالب وكان هؤلاء الأئمة الكبار قد أحسوا
أن المسلمين سيحتفون اختلافاً كبيراً في كتاب الله يوشك أن يؤدي إلى شر عظيم
فعمدوا إلى جمعه وحفظه وقد دأبوا على مصولتهم المشهورة إن كتاب الله أَوَّلُ
بَلَدِ قَرِيشٍ، ودلت ليكون أناساً على حشية أن تتفرق كلمتهم
فيتهو إلى شيع وأحزاب ويبدو أن حرص عمر بن الخطاب على كلام الله
وحرص سائر الخلفاء أبي بكر وعثمان وعلي على الموضوع نفسه جعلهم يشعرون
بهذه القوة فيتعبدوا لألسنة المحلفة المتعددة عن ي القرآن وألاً نجد طرائق في
لتعير سببها إلى كلام الله حفاظاً على وحدة المسلمين وإجماعاً لشعبهم ولقد
ظل هذا ديدن الحاكمين وأولي الأمر في المجتمع الإسلامي دهر طويلاً»^(٢)

ومن أتبع ما ورد في الأقوال السابقة الآن - بالمناقشة، لأن هذا المبحث
معهود مناقشة لقضيه بجمعتها، وأكتفي بالتعليق على استعمال عبارة (وقد دأبوا

(١) المصدر نفسه ص ٢٨-٣٠

(٢) المصدر نفسه ص ٤١-٤٢

عنى ممولهم المشهورة (وعارة (جعلهم يتشئون بهذه المصونة (، وهم
 حلفاء برشدون رضى الله عنهم - وكلا لعاريين يفهم منهما الفاريء
 معاصر يد سم أخصى التقدير أن لحلفاء قد أناسهم حارب وأنهم -
 كاعريق تشئون سبت مصونة اسي يحاوي الدكتور إبراهيم لسامرائي أن شت
 صلاها، واستعمان (سمسكون) في رأي أكثر بعيداً من (يتشئون) لأن
 لأوى تعني استمسك بحبل، والثانية تعني استشئت بساطل

وسوف أعرض الأداة التي تؤكد أن الفراء بكرم تُرب بلعة فريش في
 مجموعتين لأوى النصوص التاريخية، وثمة النصوص المعوية، ولكن من
 ذلك يسعى أن أفهم الفاريء عند عبارة (برول الفراء بلعة فريش) ما الذي تعنيه؟
 وماداً يرد بها؟

ب. لديهم اطلاع على تاريخ فراء يعرفون أن لسي ﷺ تنقّى الفراء من
 حبريل - عنه سلام كما صرححت الآيات بكرمه بذلك^(١)، ودلت عنه
 لأحدث مصونة^(٢)، وليس من شأنها هذا التعرض لذلك بحسب العبي من
 سفي لقراء^(٣)، وبما سدي يعنى هو، متلبغ السوي بنصر الفرائي إلى ساس،
 وهذا يتحدد دلالة عبارته (برول الفراء بلعة فريش)، حيث نفهم منها أن طريقة بطو
 لسي ﷺ لألفاظ الفراء كانت بالطق السائد للعرسة في مكة، وأن ألفاظ انقراء
 داتها كتب مما جرى في استعمان الناس بنقاطين في مكة وما حوفا، وأن كذاته
 قد حرت عني ذلك سطق وسبت الألفاظ

أولاً النصوص التاريخية

يفرر القراء حقيقة ثمة في منهاج برسلات، وهو أن كل رسول إنما يرسل،

(١) قال تعالى ﴿سَرَلْ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [اشعراء]، قال نظري (جميع أبيات ١٩ - ١١)

(٢) راب معلوم برّان بنقران الروح الأمين، وهو حبريل عنه «سلام»

(٣) بر سعد ١ ١٦٤

(٤) سطر سحاري ١ ٤

أي ينزل عليه انوحي الإلهي، بلعته وبعه قومه، وذلك في قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم]، قال الطبري «لسان قومه أي لغة قومه، ما كانت»^(١) ومن ثم جاء القرآن بلسان العربي، وقد يؤكد هذا المعنى في أكثر من ية منها قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ لَئِيلُ رَبِّ الْعَمِيمِ﴾ [سورة الأعراف] ﴿عَلَى قَلْبِكَ يَتَكُونُ مِنَ الْمُسْدِثِ﴾ [سورة الفرقان] ﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء]

وقد وردت بصوص تؤكد برول لقرآن بلغة قريش خاصة، وهي لغة النبي ﷺ ومن ذلك البصوص أن الصحابي عبد الله بن مسعود رصي الله عنه بعث به عمر بن الخطاب - رصي الله عنه في خلافته، إلى الكوفة ليُعلم الناس هناك لفقه وقرأة القرآن^(٢) وما هي إلا أن جاءت الأحبار إلى عمر بأن ابن مسعود يُقرئهم بلسان قومه هذيل، فكتب عمر بن الخطاب إليه هذه الرسالة «أما بعد، فإن الله تعالى أنزل لقرآن بلغة قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئهم بلسان بلغة قريش، ولا تُقرئهم بلغة هذيل»^(٣)

وحرر كناية بمصاحف في خلافة عثمان بن عفان - رصي الله عنه وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية مشهور بفته أصبح كتب الحديث وأوثق كتب التاريخ، وقد جاء فيه أن عثمان أوصى الصحابة الذين كانوا يعملون مع زيد بن ثابت الأنصاري وهم ثلاثة نفر من قريش عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، بالوصية الآتية «وقال عثمان لمرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكسوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا»^(٤) ونقل البخاري رواية أخرى جاء

(١) جامع بيان ١٣، ١٨١

(٢) من محاهد ص ٦٦

(٣) أبو شامة ص ١٠١، وذكر به في سنن أبي داود، لكن محققه قال إنه عبر موجود في نسخة بمداولة من السنن، وبظر أبصاً من حجر ٢٧، ٩

(٤) البخاري ٦، ٢٢٦، وابن أبي دود ص ١٨، وابن سليم ص ٢٧، والذاهي المنفع ص ٥، وبركشي ١، ٢٣٦، وسيوطي الإتقان ١، ١٦٩

فهي ^١ في حنظل اسم وريد بن ثابت في عربية من عربية بقرآن فاكتوه بنسب
قريش^٢

هل لبحث المدقق والدارس المحقق أن يمر بهذه بروية ثم يتساهل بل
يسكر بمصنوعها، ثم يقول إن العصرية هي التي حملت الصحابة على مجيده
قريش لأن الرسول ﷺ مهم؟ إن مثل هذا الموقف لا يقره المسحح عدمي
سديد، فعثمان بن عفان رضي الله عنه - حين قال ذلك وهو حصة
المسلمين وأحد كتّاب الوحي الأوائل، وأحد حفاظ القرآن، فإنه بعد تعرُّع
حصة لم يُعرف عن أحد من أصحابه أنه أنكرها، بل تعود الصحابة على
حفظها في كتبه لقرآن، فجاء مكيون بلغة قريش التي أنزل بها

وهذه فصبه قد تعارض في يظهر مع القول بأن القرآن أنزل بلغة قريش،
وهي ما اشتهر من قول سي ﷺ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف،
وقرأه ما تيسر منه» وهو حديث صحيح مشهور متواتر^٣، ونحن لا نجد تعارضاً
بين القول بكون القرآن بلغة قريش وبين ما جاء في الحديث الشريف، لأن
(الأحرف السبعة) الواردة في الحديث لم يقطع العلماء بأن المقصود بها بكون
القرآن سبع لغات من لغات العرب، والأخبار المنقولة عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنه في تعيين لغات فئات معينة صغفها العلماء لانقطاعها أو بحرج
بقعتها^٤ وقد ورد في عدد من روایات الحديث أن الله تعالى رخص سبعة ﷺ
أن يُقرء بها على سبعة أحرف^٥ فيمكن أن يكون إيراد القرآن بلغة قريش
واقراءه على سبعة أحرف، وقد صرح بذلك بعض روايات لفظة فقد نقل
نو شامة المقدسي عن ابن عباس «أن سبي ﷺ كان يُقرء أسسبعة واحدة،

١ جامع لصحيح ٦ ٢٢٤

٢ يمكن لاطلاع على روایات الحديث عند البخاري ٦ ٢٢٦، ومسلم ٢ ٢٠٢، ونظري

١ ١١ ٢٠، وأبو شامة ص ٦٢ ٦٩

٣١ بصري ١ ٢٩

٤) جمع خصوص تلك الروايات في المصادر الواردة في هامش (٢)

فاشند ذلك عليهم قول حبيب، فقال يا محمد، أقرىء كل قوم بلغتهم»^(١)
ولهذا الموضوع تفصيلات ليس هذا موضع عرضها، وقد تكلمت كتب علوم
القرآن بمناقشتها^(٢)، وأكتفي هنا بما أوردته مما يمكن أن ينهي التعارض الذي
أشرب إليه. وبذلك نطل دلالة الروايات التاريخية على قول القرآن بدعة قرش
وكندة في المصاحف بها قائمة غير منتقصة

ثانياً النصوص اللغوية

إن نصوص لغة أوسع من أن يحيط بها بحث أو أن يصممها كتاب، وإن ندي
أعنه هذا هو الروايات التي جاءت نيل أن ظاهرة لغوية معينة قد وردت في
قرآن الكريم، وكانت تلك الظاهرة من خصائص لغة أهل الحجاز دون غيرهم
من العرب، فإدراك تلك الروايات فيها تصوير حجة تؤكد بكون القرآن بلغة
قرش وقد أمكنني انقاط عدد من تلك الطواهر من كتب اللغة ومعاني القرآن
المقدمة، ويمكن أن نستدل في هذا الجانب دلالة رسم المصاحف القديمة على أن
القرآن بكريم كتب بلغة قرش

أ الظواهر اللغوية إن ما عرفت من تلك الطواهر لا يمكن أن يكون كل ما
هو موجود في كتب التراث العربي حول الموضوع، لأنني لم أستعرض إلا عدد
محدود منها، وفي وقت قصير بساء، ولكن النصوص التي عثرت عنها تؤيد
النصوص التاريخية التي مرت، وهذه أمثلة من تلك الظواهر

١ قال سيبويه وهو يتحدث عن لغة بني تميم وأهل الحجاز في (ما) الامة
«وَأَمَّا بَنُو تَمِيمٍ فَيُجَرُّونَهَا مَحَرًى أَمَّا وَهْلٌ، أَي لَا يُعْمَلُونَهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ
الْقَبَسُ وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَارِ فَيُسْهَوْنَ بِهَا بَلِيسَ إِذَا كَانَ مَعَهُمْ كَمَعَاهُ وَمِثْلُ
ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا هَذَا شِرْكًا﴾ [يوسف] في لغة أهل الحجاز، وهو تميم

(١) مرشد النوحير ص ٩٦ ٩٧

(٢) يمكن الاطلاع على تفصيلات الموضوع والتعرف على مصادره في كتابي محاضرات في

علوم القرآن ص ١٠٢-١٢٨

يرفعونها: لا من عرف كيف هي في المصحف»^(١)

٢ وقد لقراء وهو يُعَلَّقُ على قوله تعالى ﴿مَا أَسْرَعَتْ بِهِ قَبْرِيْنَ﴾ [الصافات]
«وأهل نجد يقولون بمقتير، أهل الحجاز يقولون فتت لرحل، وأهل نجد
يقولون أفتته»^٢

٣ وقد لأحفش وهو يحدث عن قوله تعالى ﴿قُلُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر]
«وَمَنْ سَوِّ تَمِيمٌ يَقُولُونَ (سجل)»^(٣)

٤ وقد أيضاً وهو يتحدث عن قوله تعالى ﴿إِلَى الْكَلْبِ أَيْ تَجِدِي﴾ [الحل]
«عنى لتأبث في لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول هو الحل»^٤

وهناك نصوص أخرى تتقارب فيها لغة أهل الحجاز ولغة أهل نجد، ولكني
أعرض عن ذكرها هنا لأن لحلاف من الدعين فيها لا يظهر أثره في رسم
المصحف مثل ما نجده في نصوص السابقة التي نشير، على قلنها، إلى موافقة
لغة أهل الحجاز، وقبل الحجاز مكة، وأهل مكة هم قريش، لنص قريش
مكريم وقلة النصوص هنا غير مُتَأَثِّت من قصور الاستقراء فقط، بل من إعمال
علماء العربية لمتقدمين نص على لغات قائلين لعرب في كثير من الأحيان
أيضاً

ب الطواهر الكتابية بأيدي الناحيين في تاريخ اللغة العربية وثيقه أصبه
ولكنهم أعفوا لاستفادة منها، وهي رسم المصحف^(٥)، كما يظهر في المصحف

(١) كتاب ١ ٥٧ ٥٩، ونظر انباء ٢ ٤٢ و ١٣٩/٣، والأحفش ١ ١٢٩

(٢) معاني نمر ٢ ٣٩٤

(٣) معاني نمر ٢ ٣٧٩

(٤) معاني نمر ٢ ٣٨٤

(٥) كتب قد سخدمت لطواهر الكنيسة في رسم المصحف للدلالة على أصالة الإعراب في
الله العربية في بحث (طاهرة لإعراب في ضوء رسم المصحف) المنشور في مجله كليه
الشرعية بجامعة بغداد سنة ١٩٨١، لعدد السابع

تقديمه، وكما هو محرز في كتب رسم المصحف وأهمية هذه الوثيقة تكمن في أن طريقه كتابة الكلمات في المصاحف لم يكتف بها الصحابة قد حفظت كما هي في المصاحف القديمة التي بقي كثير منها إلى زمان، وقدّم مؤلفو كتب رسم المصحف وصفاً دقيقاً بها^(١)

وسوف أقصر على دراسة كتابة الهمزة في رسم المصحف، لأن ظاهرة الهمزة في العربية تكاد تكون أهم قضية جعلت المحدثين يترددون في قبول الفكرة الفائلة بأن القرآن نزل بلغة قريش، وأن لغة قريش أصل للعربية المصحف

وأول قضية سعي أن نقرر ما هي أن للعرب في القرن الأول للهجرة خاصة مذهب في كتابة الهمزة الأول كانت دلالة في كل موضع وردت فيه من الكلمة، ومهم كاتب حركتها، وذلك في لغة من بحق الهمزة من العرب وهم أهل نجد خاصة (تميم وقيس وأسد)^(٢) وكان العرب قد ذكر أنه رأى الهمزة مكتوبة بالألف في مصاحف أهل الكوفة القديمة المسوبة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - فرأى كلمة (شيأ ويستهرأون) قد كتبت الهمزة فيها بالألف^(٣)

والمذهب الثاني في رسم الهمزة أن تكتب ألقاً في أول الكلمة فقط، ثم يرسم في المواضع الأخرى بحرف لذي قول إليه في لغة من يسهلها، وهم أهل الحجاز، ندين يقولون (راس وبيرو وشوم)^(٤)

وبعد هذا يمكن أن نطرح إلى رسم المصحف في صورته القديمة لسعر عني طريقه كتبه الهمزة فيه، وعلى القارئ أن يتذكر أن صورة الكتابة في المصاحف القديمة كانت محدودة من العلامات لكتابة كلها، فلا نقط ولا حركات ولا همزة

(١) يمكن لاطلاع على تفصيلات وفيه حول هذا الموضوع في الفصل الثالث من كتابي (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية)

(٢) ينظر سبويه ٥٤١/٣ ٥٥٦، وابن جني ١ ٤٦

(٣) ينظر معدي نهران ٢ ٢٢٠ و ١٣٦/٣

(٤) ينظر العرب ٢ ١٣٤، وابن السراج ص ١١٧، وابن جني ١ ٤٦

قطع ولا وصل ولا أي شيء آخر من لعلامات الكتابية التي عرفها أو استخدمها
في كتابها اليوم

حاء في كتب رسم المصحف أن الهمزة المتوسطة قد رُسِمَتْ في المصحف
قديمه هـ أو واو أو أَلِف، بحسب ما تَوَوَّن إليه في التحصيف، وتُقَدَّم به هذه
الأمثلة الدَّيْب، وبيز، وسبب، والحاجبة، وَيُسَيِّك، وسَقْرِيك وغيرها
ويُوفَكُون، ومومسون، والموتون، ولهود، وشول، ويُولف، وأبوكم،
وأبوكم، وغيرها، وأَلَسْ، والصَّان، ويأكُل وصان، وغيرها ' ' إن هذه
الكلمات بين أن لدين تولوا مسح المصحف كانوا لا يحققون همزة، وبما
يكنون حرف، معناه لدي يحذف في بطل الكلمة

وكان عدد من علماء السلف - رحمهم الله - قد لاحظوا أن كثرة الهمزة في
المصحف قد حرت على مذهب مَنْ يسهلها، فقد قال أبو عمرو الداني
(ت ٤٤٤ هـ) «والهمزة قد تُصَوِّرُ على المدهيين من لتحقيق والتسهيل، دلالة
على قسوتها واستعمالها فيها، إلا أن أكثر رسم ورد على التحصيف، والسبب
في ذلك كونه لغة الدين ولوا مسح المصحف زمن عثمان، رحمه الله، وهم
قرش فلدت ورد أكثر الهمز على التسهيل، إذ هو المُستقرُّ في طبعهم
والحدري على المستهم»^(١)

ومن خلال اندس السيوطي (ت ٩١١ هـ) عن أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)
تعبيراً كتبه لهمزة التي تقع في أول الكلمة بالألف مطبقاً، سواء فُتحت أم
كُسرت أم ضُمَّت، وهو «قال أبو حيان وإنما لم يُحافظ بها إلى حركتها لأن
الهمزة إذا كانت أولاً فهي متدأة، والمتدأة لا تُسهَّلُ والكتاب سواء لحظ في
الأكثر على حسب تسهيلها لوجهين

أحدهما أن التسهيل لغة أهل البحر، واللغة بحارية هي «مصحى، فكان

(١) سطر الداني المقنع ص ٥٩-٦٢، وابن وثيق ص ٧١ ٧٥

(٢) محكم ص ١٥١

الكتبت على نعتهم أولى

ولثاني أنه خط المصحف، فكان الساء عليه أولى^(١)

وبدا تحقق أن المصحف القديمة التي كتبها الصحابة قد كتبت على تسهيل الهمزة فإن ليد من النصوص ما يؤكد أن تسهيل الهمزة هو الحاري على ألسنة الناس في الحجاز وهو اندي على قراءة قراء مدون الحجاز الأوائل قال أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) «أهل الحجاز وأهل مكة والمدينة لا يسمون^(٢) نعي لا يسمون وقال ابن الحري (ت ٨٣٣هـ) «ولمّا كان الهمز أثقل الحروف نطقاً، وألغاه محرجاً، تنوع العرب في تحفيفه بأنواع تحفيف، كانقل واحد ويش بين والإدغام، وغير ذلك وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تحفيفاً، ولذلك أكثر ما يرد تحفيفه من طرقهم، كان كثير من روايه ابن قلع، وكسح من رواية ورش وغيره، وكأبي جعفر من أكثر رواياته، ولا سيما رواية العمري عن أصحابه عنه، فإنه لم يحقق همزه وصلّاً، وكان محيصة قريء أهل مكة مع بن كثير وبعده، وكأبي عمرو بن العلاء، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز، وكذلك عاصم من رواية الأعشى عن أبي بكر من حيث أن روايته ترجع إلى ابن مسعود^(٣)»

إن طريقه كتبه الهمزة في المصحف القديمة، ومذهب القراء في مكة والمدينة، ونحو أهل الحجاز عامة للهمزة، كلها تؤكد أن القرآن الكريم قد أنزل لغة قريش، وكتب بها أيضاً ولعل بعض القراء يتساءلون هل يقول إن العربية تصحى اليوم بحري على تحقيق الهمزة، وأن قراءت القرآن الكريم اليوم بحري على ذلك أيضاً، فكيف حصل هذا وكيف يستقيم القول بكون القرآن لغة قريش؟ وهذا الذي قد يقع في نفس بعض القراء له ما يفسره من تاريخ العربية وتاريخ القراءات القرآنية، وهو ما سخصص له المسحح الآتي بكامله، لأن هذه القضية

(١) جمع انهماع ٢ ٢٣٣

(٢) مفعلاً عن الأرمزي ١٥ ٦٩١، وبقوله عنه بن مطور ١ ١٤

(٣) النشر ١ ٤٢٨

كنت أكثر لقضايا تأثيراً على معالجة موضوع تاريخ العربية معصحي

ب. لخصوص انتريجة واللغوية التي عرصها في هذا البحث تؤدي إلى
النتيجة هي وصعده عنواناً للمبحث، وهي برول انقرون بلعة قريش، ولكن ثمة
قصه في التراث العربي يمكن أن نعتصر هذه النتيجة، وهي أن عدد من العلماء
ألف في (نعت القرآن)^(١)، وأوردوا في تلك الكتب عدداً من الكلمات التي
نسب إلى قبائل شتى من العرب، وتفسير لهذه الظاهرة، على الرغم من قلة
معلومات عن تلك الكتب، أن ما ورد في القرآن من الألفاظ ونسب بعض
العلماء إلى قبائل معينة من العرب إنما هو من المشترك بين لغة قريش ولغة تلك
القبائل لأن نعت العرب ما هي في الواقع إلا لهجات متفرعة عن أصل واحد،
شبهه بها أكثر من الاختلاف

وإذا كانت بعض الروايات ورد فيها أن كلمات في القرآن جاءت من العرب
عرب، وأن من وثق تلك الروايات حملها على أنها من المشترك المستعمل في
العربية وغيرها من لغات الأمم الأخرى^(٢)، فإنَّ حتم ما قيل إنه مدعة قبيلة معينة
من قبائل عرب على أنه من المشترك المستعمل في لغة قريش وتلك لقليلة أظهر
وأبهر، وهذه لفظة تحتاج إلى بحث لا يحتمل، المقام، ولعل ما ذكرته هنا
كاف في توجيه هذا الاعتراض على نحو لا يتنافى مع الحقيقة التي وردت في
هذا البحث

(١) نظر عن كتب المؤلفات أحمد علم الدين الجدي ص ١٠١

(٢) يطر الطبري ١ ٨٠، وأحوالني ص ٥٣

المبحث الثالث

الهمز في اللغة العربية

الهمز في اللغة، العنبر والصَّعْطُ، وفي الاصطلاح هو الطق بالهمزة محفقة، كأن تقول رأس، وشراً، وشؤم وسُمِّي الهمز في الكلام همزاً لأنه يُصْعَطُ، و بهمة أحد الحروف التي يتألف منها كلام العرب ويقال همزت الحرف وبهمز^(١)

وتستخدم كلمة (النثر) مرادفة لكلمة (الهمز)، وسُمِّي الهمز في الكلام سرّ لعلوّه على سائر الكلام، والسرة الهمزة^(٢)، وكانت كلمة (السر) وما أُشتقَّ منها أكثر دورانياً على ألسنة أساس في القريش الأولين بعد الهجرة، على ما ينصح من انصوص لمقولة من تلك الحقبة، لكن الذي استقر في الاستعمال بعد ذلك هو كلمة الهمز ومشتقها

وكانت دراسة الهمزة، من حيث نطقها وكتابتها، ومذهب العرب والقراء فيها، قد استثرت بحهود كبيرة من العلماء، قديماً وحديثاً، ولست أقصد في هذا لمبحث دراسة كل ذلك، بل سأقتصر على تتبع طهرة الهمز في لغات العرب والقراءات القرآنية حتى نقف على تاريخ هذه الظاهرة وتطورها، ونضعها في مكانها لصحيح من تاريخ العربية الفصحى، فإن الدخيل المحدثين يذهبون إلى أن ظاهره بهمز كانت تمثل مطهراً من مظاهر العربية الفصحى قبل الإسلام، وأن القرآن بول بالهمز، ومن ثمّ رفضوا رواية بول القرآن بدعة قريش، لأن قريشاً لا بهمز ولا بهمز، وأعتقد أن ما ذهبوا إليه قد بُني على أصل غير صحيح، على ما أرجو

(١) نظر الجوهري ٢ ٨٨٩ (همز)، وابن منظور ٢٩٣/٧ (همز)

(٢) من دريد ١ ٢٧٧، وابن منظور ٣٩/٧ (همز)

أن يتصح في هذا المبحث

تتفق أقوال علماء العربية لأوتن على أن أهل الحجار كانوا سُتَهْثُوثَ الهمزة، وأن سي نميم، وهم من نجد، كانوا يحققون الهمزة، ويردد الدارسون في هذا معجم قور أبي بن الأنصاري (ت ٢١٥هـ) «أهل الحجار وهُذُلٌ وأهل مكة وحده لا يسرون وقف عليها عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، فقال ما حد من قول نميم لا بالسر، وهم أصحاب لرس، وأهل الحجار إذا اضطروا سروا»^(١)

واختلف لُحْثُوثٌ محدثون في تفسير عذرة (وأهل الحجار إذا اضطروا سروا) فمنهم من يرى أن ليس لهذا الاضطراب معنى سوى أنهم يهملون حين ملجأون إلى نوعة سمودحية^(٢)، ومنهم من يعلل ذلك تفسيراً ممكناً لكنه يعطي تفسيراً آخر وهو أن يكون مقصود بالاضطرار تحقيق الهمزة التي توجد في أول الكلمة^(٣)، ومنهم من حمده على اضطراب شاعر حين يبدل من لحرف همزة إقامة لدور شعري^(٤)

ومهم بكن معنى تلك العذرة فإن هناك خصوصاً أخرى تؤكد ما جاء في قول أبي بن الأنصاري، فهذا سيويه يعقد بأن للهمز في الكتاب، بُفْصَلُ فيه مد من العرب في تحقيق الهمزة وتحفيفها، ويحده يصر على أن سي نميم يحققون همزة، وأهل الحجار يسهونها^(٥) وكان في نهايته «وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجار من أهل تحقيق يحققون سيء وبريئة، وذلك قليل رديء»^(٦) وهذا أمر لا يفصل الفعدة التي ذكرها لأن بلاد الحجار واسعة وتصمم شتات مختلفة، ولا يُسعد أن يوجد فيها من يحقق الهمزة

(١) لأزهري ١٥ ٦٩١، وابن منظور ١ ١٤

(٢) إبراهيم الأسدي في النبهات لعمه ص ٧٩

(٣) مصابغة عبد القوي قصص في لغة العرب ص ٦٨

(٤) أحمد عيسى السبيعي ص ٢٤٤

(٥) ينظر كتاب ٥٤١/٣ ٥٥٦

(٦) كتاب ٥٥٥/٣

وقول أبي ريد الأنصاري الساسي، مع ما نقله عن عيسى بن عمر يُظهرُ مذهب العرب في نطق الهمزة في رملها، وهو القرن الثاني الهجري، ويحتاج الباحث صدرة الهمز في العربية إلى معرفة الحالة في القرن الأول، وما قبله إن أمكن ذلك، لأن امتزاجاً لغوياً كبيراً قد وقع بين لغات العرب بعد ظهور الإسلام واشتد به وحروب العرب في الفتوح وإقامتهم في الأمصار، وكان ذلك الامتزح قد ترك آثاره، لا سيما في موضوع الهمز، ولدينا نصوص يمكن أن تساعد في تتبع هذه الظاهرة في العربية

وهناك رواية عن عبد الله بن عمر (ت ٧٤هـ) رضى الله عنه في إسناده ضعف ولكن دلالتها تتوافق مع ما تدل عليه النصوص الأخرى، قال بن جرير «وأما الحديث الذي أورده، بن عدي وغيره عن طريق موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر قال (ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا لعنه، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم)^(١)، فقال أبو شامة الحافظ هو حديث لا يحتج بمثله لضعف إسناده فإن موسى بن عبيدة هذا هو لريدي، وهو عبد أئمة الحديث ضعيف^(٢)، ونحن لا نرد قول الأئمة في ضعف الحديث، نكر إدراكه كانت عدته (موسى بن عبيدة) فقط، فإن قول بن سعد فيه «ثقة، وليس بحجة»^(٣) يحذف من ضعف الحديث، ثم إنه يمكن تفسير البدعة هنا على أساس أن أهل الحجاز كانوا لا يحققون الهمزة في قراءتهم وكلامهم، وحين استعاروا ذلك من قراءة غيرهم كان شيئاً جديداً لديهم

وإذا كان ما جاء في الرواية السابقة صحيحاً فإن ذلك يدل على أن أهل الحجاز كانوا يسهون الهمزة في القرن الأول، وبدأت تظهر فيهم بوادر تحقيق،

-
- (١) الأزهري ٢١٥، ١٥، وابن مطور ٣٩/٧ وذكر نحوه الباء الدماطي، وقال أخرجهم ابن حاكم وصححه، وقال عنه أبو عبيد أنكر عدونه عن الفصحي (إنحاف فصحاء لشرب ص ٥٨)، ويظهر أيضاً السيوطي الإنشاد ١، ٢٧٧
- (٢) أسير ١، ٤٢٨، ويظهر السيوطي الإنشاد ١، ٢٧٧
- (٣) نقلاً عن ميراث الاعتدال بلدي ٣١٣/٤، لأنني لم أجد النص في طبعات ابن سعد

نكر رويات لأخرى تؤكد أن أهل الحجار لم يتحلوا عن مذهبهم في تسهيل
 الهمزة سهوة، فهذا الإمام منك بن أس (ت ١٧٩هـ) وفيه المدينة لأكر «سئل
 عن اسم في قراءة القرآن في صلاه، فأبكر ذلك وكرهه كرهة شديدة، وأبكر
 رفع الصوت به»^١ وفتح الحلقمة المهدئي سنة ١٦٠هـ^٢، وكان معه عبي من
 حمرة بكستاني (ت ١٨٩هـ)، قال بمؤرخون «ومما حخ المهدئي قدم الكستاني
 يصلي بدمدسه، وهمر، فأبكر أهل المدينة عليه، وقالوا سر في مسجد سور
 لله ﷺ بمراس»^٣

وإذا تعمق الدارس في تتبع القراءات بقرآنية في الحجار وجد أن ظاهرة تسهيل
 بهمرة كانت عنه عليها، لا سيما في قراءة بقرء الأول لئلا لدس أدركوا لقرون
 لأول بهجري نكه يحد أبصاً أن تحقيق الهمزة أحدا بطعى على تسهيلها بعد
 ذلك، وهناك عوامل وظروف أدت إلى ذلك، يمكن أن نجعلها في عدلين
 لأول لاحتير في براءة، والثاني الدراسات اللغوية

أولاً الاحتمار في القراءة

يبدو بصوص تؤكد ما ذكرناه من علنة طاهره التسهيل على نطق أهل الحجار
 بهمرة، في قراءة القرآن وغيره، ولكن تقدم السس جعل تحقيق الهمزة بظهر في
 قرآنهم في عرب الثاني خاصة، ونقلاً من قبل قور بن الحوري «وكانت قرش
 وأهل الحجار أكثرهم به بصفاً وبذلك أكثر ما يرد بصفه من طرقهم»^٤

عربي بجامع لأحكام القرآن ١/ ١٠

(٢) ب ببح حصه ٢/ ٦٧٠

(٣) بن منظور لسان العرب ٧/ ٤١ (ببر) وروحدت في كتاب الحروف لآبي الحسين المرابي
 رونة عن لأعمش عن إبراهيم أن علفاً عليه لسلام قال (برل حرمس عليه لسلام علفي
 سي ﷺ بالهمر عندك همراً) (ص ٢٩)، وإبراهيم الحنفي بن بلق علفاً وحاء في
 كتاب أبصاً (ص ١٢٩) عن أبي عبد برحمس لسلمي أن علفاً عنه لسلام كان بهمر
 ويدع رأي يسهل

(٤) بشر ١/ ٤٢٨، ولسو يرد لصل كاملاً في ص ٧٦

ودراسة ظاهرة تسهيل الهمزة في القراءات القرآنية قاطبة يحتاج إلى مجال أوسع من هذا لمكان، نكتفي ساقف عند الظاهرة في قراءتين من قراءات قراء أهل المدينة، الأولى قراءة أبي جعفر يزيد بن الملقاع (ت ١٣٠هـ) وقراءة تلميذه نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩هـ).

أما أبو جعفر فإنه كان يُسهِّلُ الهمزة، في أكثر رواياته، قال ابن الجوزي «ولا سمى رواية عمر بن أبي حمزة عنه، فإنه لم يحقق همزة وصلًا»^(١) وكان أبو جعفر في رواية غير العمر بن أبي حمزة إذا التقت همزتان من كمنين يحقق الأولى ويحذف الثانية، واوًا أو ياء أو ألفًا بحسب الحركات المصاحفة لهما^(٢) وكان يحذف كل همزة ساكنة، وكذلك المفتوحة بعد ضم أو كسر، وكذلك المضمومة بعد كسرة، والمكسورة وبعدها ياء، وغير ذلك على تفصيل نكفئت به كتب بقراءات^(٣)

أما نافع فإن أكثر من روى عنه ترك الهمزة في القراءة هو ورش (عشرون بن سعد المصري ت ١٩٧هـ)، ولكنه لم يتعد تسهيل إحدى الهمزتين المحتتمتين من كمنين، وكذلك تسهيل الهمزة المفردة الساكنة، والمتحركة إذا كانت في موضع ياء من الفعل حين تنوسط بتقديم شيء عليها^(٤)

ويتضح للدارس مرور ظاهرة الهمزة في قراءه نافع، بينما كان العاصم على قراءه أبي جعفر لتسهيل، كذلك تكرر الظاهران في قراءة غيرهما على نحو متفوت، وهو ما حمل الباحثين في تاريخ ظاهرة الهمزة والمؤرخين للعربية على القول بأن «نقرا» لم يرل نذرة أهل الحجاز ما دام بعض قراء المدينة يحقق لهمزة، وكذلك في روايات من قراءة أهل مكة

(١) انشر ١ ٤٢٨

(٢) ينظر ابن الجوزي بحير السبيل ص ٥٤-٥١، والباقى ص ٥٤

(٣) ينظر المصدران السابقان ص ٥٩ ٦٠، وص ٥٥ ٥٦

(٤) ينظر ابن محاهد ص ١٣٠، ولداوي التيسير ص ٣٣ ٣٥

ويمكن تفسير وجود الهمز في قرءة عدد من قراء الحجاز على أساس أن هذه الظاهرة ليست قديمة في قراءتهم، وإنما اقتبسوها من قرءة غيرهم من قراء الأمصار الأخرى، عن طريق الاحتسار، وهو ظاهرة عمل عنها كثير من المدرسين محدثين، وهي تعني أن القاريء يختار من مجموع ما قرأ به على شيوحه قراءه يلتزم بها ويعتمدها لسان ويرويها تلامذته عنه^(١)، فإذا كان ترك الهمز عالماً على قراءة أبي جعفر فإن ذلك مُتَأَثِّرٌ من تقدمه وأخذه عن كبار قراء بصحة وغيرهم، فقد قرأ على عبد الله بن عباس وأبي هريرة، وبذكر ابن جرير أنه صلى بعد الله بن عمر (ت ٧٤هـ)، وأنه أقرأ ابن عباس قبل وقعة لخره سنة ٦٣هـ^(٢)، فقراءته حجازية حاصلة، إن صحب العدة

أما تلميذه نافع بن عبد الرحمن فإنه عاش بعده أربعين سنة، وأحد القراء عنه وعن غيره، ونقل عنه بن مجاهد أنه قال «قرأت على سبعين من التابعين»^(٣) وكان أشهر أساتذته هي القراءة هؤلاء، أحسنه عبد الرحمن بن هرم لأعرج (ت ١١٧هـ)، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠هـ)، وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ) ومسلم بن حذاف بهدلي (ت بعد ١١٠هـ وقيل ١٣٠هـ)، ويريد بن رومان (ت بعد ١٣٠هـ)، وقال نافع «أدركت هؤلاء الخمسة وغيرهم فنصرت إلي ما اجتمع عليه اثنان منهم فأحدثته، وما شذَّ فيه وحدث تركته، حتى ألَّفْتُ هذه القراء»^(٤)، وكان لظاهرة الاحتسار أثرها العميق في امتزاج قراءات الأمصار، فدخلت عناصر من قراء الكوفة والبصرة في قراءه أهل المدينة، وعكس ذلك حصل أيضاً، وفي هدي هذه الحصة يحب فهم قول نافع «تركته من قرءة أبي جعفر سبعين حرفاً»^(٥)

(١) ينظر عن الاحتسار كتابي محاضرات في علوم القرآن ص ١٣٥

(٢) بن جرير عدي النهدي ٢ ٣٨٢

(٣) سبعة ص ٩٢

(٤) المصطلح نفسه

(٥) إلهي معرفة القراء ١ ٩١

ونكي يتصح أثر الاحتيال في ظاهرة الهمر في قراءة أهل المدينة بقل هذا
 الحر الذي روه ابن محاهد عن عيسى بن مينا، المصنف في دور (ب ٢٢٠هـ)، وهو
 نلمس دفع، أنه قد ذكر أهل المدينة لا يهملون حتى همر أن حدث،
 همرو مستهزئون، و«شهرية»^(١) وابن حدث هذا هو مسلم بن حدث
 الهدي أحد شيوخ دفع الحمسة المشهورين^(٢)، وهذا يحتمل أن يفسر له
 لاختلاف في علم الهمر على قراءة دفع بعد أن كان أعالي على فراءه أهل
 المدينة التسهل على نحو ما يظهر في قراءة أبي جعفر

وهل أبو بكر الأسدي عن حلف بن هشام البغدادي (ت ٢٢٩هـ) أنه قال
 «فريش لا تهمر، لس الهمر من عتقها، وإسا هموت بقراء نعة غير فريش من
 العرب»^(٣)، وهذه الرواية تؤكد ما جاء في معرض سائق، لكن يجب ألا نفهم
 منها أن همر لا أصل له في القراءة الصائفة المقولة عن أصحاب النبي ﷺ فقد
 سبق في البحث لإشارة إلى رخصة الأحرف السبعة في فراءه، وهذا أبو
 العبدية الرضاخي يقول «قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجل، فختلفوا في
 اللغة، فرضي قراءتهم كنهم، فكانوا تسم أعرب القوم»^(٤)، وهو مضم كما
 عدم هم أهل الحقيقين، وقد قال ابن قتيبة «كان من تيسر الله تعالى أن أمر به
 ﷺ أن يقرأ كل قوم بعتهم وما حوت عليه عدتهم»^(٥)، انتمي بهم،
 والفرشي لا يهمر^(٦)

ولعل ما جاء في هذا معرض قد أوضح أثر الاحتيال في القراءة على مرور
 ظاهرة الهمر في فراءه أهل المدينة، وفي اعتقادي أنه يمكن تتبع الظاهرة في فراءه
 أهل مكة في ضوء هذا المسح أيضاً، والأمر يحتاج إلى أكثر مما يسمح به

(١) كتاب سبعة ص ٦١، ويظر ابن جرير عاية لنهايه ٢ ٢٩٧

(٢) برحمته عنه ابن جرير عاية لنهايه ٢ ٢٩٧

(٣) يصح توقف ولائد ١ ٣٩٢

(٤) انصاري ١ ١٩، وأبو شامة ص ١٣٠

(٥) تأويل مشكل لقرن ص ٣٩

المقام، بكر دلالة ما عرصه صارت وصحة، وهي تفسر طاهرة وحوود انهمر في قراءه أهل بحجر وهم أهل التسهيل، تلك الطاهرة التي أوهمت كثيراً من الباحثين المحدثين، بل وبعض العلماء الكبار السابقين، فهذا أبو بكر السافلاي يقول «ومعنى قول عثمان أنه برل نسان هذا يحي من قرش، أي معظمه وأكثره برل بلعتها، وهم تهم حجة فطعة على أن القرآن بأسره برل بلعة قریش، بل ثبت أن فيه همراً، وقریش لا تهمر»^(١) وهذا من عند ابن يقول «قوله من قرش برل بلعة قریش، معناه عندي في الأعداء، لأن لغة غير قریش موحوده في جميع انقرا من تحقق الهمرة ونحوها، وقریش لا تهمر»^(٢)

ثانياً الدراسات اللغوية

كذلك الدراسات الدعوية قد تمت وتوسعت في البصرة والكوفة في القرن الثاني الهجري، وكنت بها وجهة دت أثر في طهره الهمر في «عربة»، ولعل تلك الوجهة قد تأثرت بالعدادات بطقية بعرب السارين فيهما أو بدين أحد عنهم العلماء بصوص لغة في اسودي، فالدين عنهم بقل أكثر نسان العرب هم فيس وبسم وأسدي^(٣)، وكنت هذه لقنائل قد نزل عدد كبير من أفرادها في عراق، مع أعداد أخرى من محلف القنائل لعربة^(٤)، قال الأردني «فأما ربعة وبسم وأسدي فكانوا بالعراق، وكانت دارهم عراقية»^(٥) وكان هؤلاء من أشهر من كان بحقق همرة من العرب، فشع ذلك في عراق لأن «أهل الأمصار بما يتكلمون على لغة سائلة فيهم من العرب»^(٦)

(١) بكر لأصب ص ٣٨٥

(٢) صلاً عن برركشي ١ ٢٨٤

(٣) بظر بك في ص ١٤١، ولسبوطي المهر ١ ٢١١

(٤) بظر عن قنائل الدارة في البصرة صالح أحمد العبي ص ٥١ و ٣١٧ وفي الكوفة

محمد حسن البصري ص ٤١ ٤٥

(٥) بريح فوح لشم ص ١٦ و ٢١٨، وبظر إبراهيم أبيس، في اللهجات العربية ص ٦٠

(٦) لاحظ ١ ١٨

ويبدو أن الصراع الدعوي الذي تمحصر عن احتلاط العرب في مدبر لهم
لجديدة في العراق قد انتهى في موضوع الهمزة إلى عللة التحقيق في لغة العلم
والخطبة والمواقف الحادة على الأقل، ولعل الدعويين وحدو أن تحقيق الهمزة
أكثر مأساة للقياس ووضع لقواعد من التحفيف دي الأشكال لمتعددة، وكان
ذلك عاملاً في ترسيخ الانحياز نحو التحقيق

ومن المصوص التي تؤكد ذلك ما رواه ابن سلام عن ماطرة جرت بين
عبد الله بن أبي إسحاق الحصرمي البصري (ت ١١٧هـ)، وبين أبي عمرو بن
الغلاء (ت ١٥٤هـ)، قال «وكان ابن أبي إسحاق أشد تحريداً للقياس، وكان أبو
عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها، وكان بلال بن أبي بردة جمع بينهما
بالنصرة وهو يومئذ والٍ عليها، ولأه حاد بن عبد الله القسري، ومن هشام بن
عبد الملك قال أبو عمرو فعلى ابن أبي إسحاق بالهمز، فطرت فيه
بعد ذلك وراعت فيه»^(١)، ونقل الرحاجي القصة على هذا النحو «وقال أبو
عمرو ما نظري أحد قط إلا علته وقطعته، إلا أن ابن أبي إسحاق فإنه باصري في
مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعي، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما
كانت دونه»^(٢)

وهذه النقصه ذات دلالة لا تحصى على «نقري»، فأبو عمرو كان من قبيلة نعيم
أصلاً، لكنه أقام مدة في مكة والمدينة وقرأ القرآن هناك^(٣)، وظهر أثر ذلك في
فراءته، فإنه كان إذا أدرج القراءة أو قرأ في الصلاة لم يهمل كل همزة ساكنة^(٤)
ومن ثم لم تستقم فواص الهمز عنده في أول الأمر، لكنه بعد ذلك انماظرة
عنى بالموضوع حتى بلغ العاية القصوى في صطه

وكانت علماء العربية جهود واصله في ترسيخ شيوع ظاهرة الهمز، التي كانت

(١) طبقات لشعرى ص ٦، ونقل ذلك الأزهري ١ ٨

(٢) محاسن العلماء ص ٢٤٣

(٣) ابن حجرى عايه لنهايه ١ ٢٨٨ ٢٨٩

(٤) ابن معاهد ص ١٣١

دارره على السنة النازين في العراق من العرب، فهذا عند الله من أبي إسحاق
 الحصري ندي دطر نا عمرو بن العلاء قد تكلم في لهمر حتى عمل فيه كتاب
 مما أملاه^(١)، وألف بعده عدد من علماء البصرة في هذا الموضوع، فكل من
 محمد بن المستر لمقبب قُطْرُب (ت ٢٠٦هـ)، وعبد الملك بن قريب
 الأصمعي (ت ٢١٧هـ) كتاب في الهمر^(٢)، وألف أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)
 كتاب، لأول كتاب الهمر، والثاني كتاب تحف الهمر^(٣) وقد نُشر منهما
 كتاب الهمر، لذي قسمه أبو زيد على ثلاثين مائاً، وعالج فيه حوالي ٣٠٠ كلمة
 تحوي على الهمر في جميع تصاريهها^(٤)

وينرجح لدي أن مسب التأليف في هذا الموضوع أن بعض الناس ممن ليس
 من بعن الهمر كان يحظى في نطق الكلمات المهمة، فأرد العلماء أن يسو ما
 يهمر وما لا يهمر، فكان ذلك عاملاً في توجه الأنظار نحو الهمر باعتباره ظاهرة
 نعت عن درجة عدية من الفصاحة وللدكتور رمضان عبد التواب تعليق آخر
 بقضية حيث قال «ولعل السب في ظهور مثل هذا النوع من التأليف هو أن
 الناس لم يكونوا يهتمون في كلامهم العامي في حياتهم اليومية، فإذا أرادوا
 محاكاة النعة الفصحى في مواقف الجد حدث خلط كبير في همر ما لا يستحق
 الهمر^(٥) وهذا لتعليق مسي على وجود لغة أدبية مشتركة قبل شأه الدراسات
 اللغوية في العراق، من قبل ظهور لإسلام، والذي يظهر لي أن السب الحقيقي
 هو أن طهره الهمر قد بررت في نعة الدقائق البعريية في العراق، واعسى بها
 علماء وصارت نعت من مميزات الفصاحة، وأدى ذلك تدريجياً أن تنتشر في بلاد
 حجاز في قراءه بقرآن وفي مواقف الكلام العجاة، وصارت نعت ذلك من

(١) حلي ص ١٢

(٢) من اسد ص ٥٨ و ٦١، والنمطي ٢٢٠/٣ و ٢٠٢/٢

(٣) من اسد ص ٦٠، والنمطي ٣٥ ٢

(٤) ينظر رمضان عبد التواب فصول في فقه العرب ص ٢٢٣

(٥) لمصدر نفسه

ومما يدر على تأثر أهل الحجاز في ظهور تحقيق الهمزة في قراءتهم وكلامهم سطق غيرهم من العرب ما قاله أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) عن كسبة صط الهمزات في مصحف أهل المدينة، فقد روى أن مصحف المدينة بمدينة كانت بهمزات فيها تنطق بالنون الأصغر دلالة على تحقيقها، «حلاف» بقراءة أئمتهم، ومذهب سلفهم، عني أنهم أخذوا ذلك عن غيرهم، وأنهم استعوا في ذلك أهل انصره، إذ كانوا مستدثين بالنقطة والسائقين إليه»^(١)



فتحقيق الهمزة إذن كان صفة تميز تُطق قبائل معينة من العرب قبل الإسلام، لا سيما في بلاد نجد، وكان تسهيلها عدلاً على أهل الحجاز، وحاء الإسلام، وبرز بقرآن بلغة قریش حاصه، فتلاه رسول الله ﷺ عني أصحابه بالتسهيل، وكتبه أصحابه على ذلك النحو أيضاً، حسب ما برّح لدي من تعرض السابق في هذا البحث كما قرأه ناس من العرب بالتحقيق على أساس ما جاء في المرحصه لتي تصممها قونه ﷺ «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُتِرِلَ عَلَى سَعَةِ أَحْرَفٍ وَاقْرَأُوا مَا تيسر منه»

ومصت سواب كثيرة وأهل الحجاز يقرأون بالتسهيل، ولا يعرفون بتحقيق في كلامهم، حتى نشأت دراسات الدعوية في العراق متأثرة سطق العرب السارلين في أمصوده وبقراءة فرائه الدبس بعد في قراءتهم بتحقيق الهمزة، فصار التحقيق عموماً بمصاحف، وأحد قراء الحجاز يفتسون قراءة التحقيق من قراءة غيرهم حتى كد السهيل يرون من قراءتهم، وهذا هو تفسير لوحود همز في قراءة أهل الحجاز، وندك ستتقيم لقول سرون القرآن الكريم بلغة قریش



المبحث الرابع

عربية الحجار أصل العربية الفصحى

تُقسَّم بلاد العرب في الجزيرة العربية على خمسة أقسام، نهممة، والحجار، ونجد، والعروص، واليمن وهناك تفصيلات في تحديد هذه الأقسام في كتب الحمر من القدماء، ويكفي هنا أن يذكر أنهم غير مختلفين في أن اليمن يطق على جنوب الجزيرة العربية، والعروص على شريقها، ونهممة على ما حاذى البحر الأحمر، ونجد على وسط الجزيرة حتى أطراف العراق والشام، والحجار المصطفة لفصه بين نجد ونهممة، ويمتد خلالها حل السرة مقبلاً من بلاد اليمن حتى يبلع أطراف بلاد شام، وأشهر مدن الحجار مكة والمدينة (يثرب) و«طائف»^(١)

ثم «إن لله سارك وتعالى بعث نبيه ﷺ والعرب مشاؤون في المحال والمقامات، مسايون في كثير من الألفاظ واللغات، ولكن عَمارة لغة ذلك بها ألسنتهم، وفحوى قد جرت عليها عادتهم»^(٢) أما أهل اليمن فإن لغتهم كانت متميزة عن لغة غيرهم من العرب، قال أبو عمرو بن العلاء «ما لسان حمير وأقاصي اليمن نلسان ولا عربيتهم بعريتاه»^(٣) وأما غيرهم من العرب فإن الاختلاف اللعوي بينهم أقل من ذلك ويؤكد السحئون المحدثون ذلك حين يقولون إن العربية تنقسم على قسمين، الأول العربية الجنوبية وهي لغة أهل اليمن القديمة التي تُعرف عند اللعويين بعرب ناللة الحميرية، والثاني العربية

(١) سطر الهمداني ص ٨٥، وصفي الدين البغدادي ص ٢٨٣، ٣٨٠، ٩٣٤، ١٥٣٨،

١٤٨٣

(٢) أبو شامة ص ١٢٨

(٣) بن سلام ص ٤٥

شمسه، وهي لغة وسط الجزيرة العربية وشماليها^(١)

ويذهب معظم الباحثين والمحدثين إلى أن العرب قبل الإسلام كانت لهم لغة أدبية موحدة، يقولون بها الشعر وثقون بها الخطب، ولكل قبيلة أو حي أو مدينة لهجتها الخاصة التي تُستعمل في شؤون الحياة اليومية، على نحو ما مضى في المبحث الأول من هذا البحث، ولكن عدداً من الملاحظات جعلني أتردد في قبول هذه الصورة للغة العربية آنذاك، ويخسرُ بين ما قاله علماء اللغة في تعريف اللغة الأدبية وعوامل تكوينها، وفي تعريف اللهجة وعلاقتها باللغة الأدبية، ليكون ذلك أمراً يوضح التطور، تدرجياً للغة العربية الفصحى

إذا كان صحيحاً قول علماء اللغة إنه لا يتكلم شعبان بصورة واحدة^(٢)، فإنه كذلك صحيح أن مجموعة من الأفراد يتكلمون بصورة متقاربة جداً، بحيث يمكن العاصي عن الفروق الدقيقة في نطقهم، وتشكل عدد من جماعات لغوية تشترك مع عدد من الجماعات اللغوية الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية التي تسمح أن يتم التفاهم بين أفراد هذه الجماعات وطريقة كل جماعة من هذه الجماعات في النطق تسمى لهجة، ويتكوّن من مجموعات تلك اللهجات لغة معينة فاللهجة إذن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئة بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات وتلك البيئة الشاملة، التي تتألف من عدة لهجات هي التي صيغ على تسميتها بلغة فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص^(٣)

(١) سطر، مصاص عند انوار قصود في فقه العربية ص ٢٧-٢٨

(٢) فديرس ص ٢٩٦، وينظر ماريو دي ص ٢٩

(٣) إبراهيم أنيس في اللهجات العربية ص ١٦

ويقرر علماء اللغة أن لجماعة اللعوية الواحدة تفرص على أن تستخدم شكلاً
لغة يرتفع عن «حصائص اللهجية المحلية للتعبير عن الفكر والأدب، ومظهر
اتصال الأحرى بين أفراد الجماعة اللعوية، وذلك الشكل هو ما يسمونه لغة
المشتركة، واللغة المشتركة هي الصورة اللعوية المثالية التي تفرص نفسها على
جميع الأفراد في المجموعة اللعوية الواحدة»^(١)

وتقوم اللغات المشتركة دائماً على أساس لغة موجودة، تتخذ لغة مشتركة من
جانب أفراد وجماعات تختلف لديهم صور التكلم، والظروف الدرجية هي التي
تفسر لنا نعلب هذه اللغة التي اتحدت أساساً، وهي التي نعلل انتشارها في جميع
مناطق التكلم المحلي، فهي دائماً لغة وسطى، تقوم بين لغات أولئك الذين
ينكلمونها جميعاً أما عومر قيام هذه اللغات المشتركة فتروح إلى التعرف
الساسى أو الدينى أو الاقتصادى، أو الأدبى أو الاجتماعى^(٢) وتقدم العربية
المصحى اليوم مثلاً واصحاً لغة المشتركة، فبما سمع مئات اللهجات المحلية
في لأقطار العربية نجد العربية المصحى تستخدم على نحو موحد لتعبر عن
قصايا عومر وثقافة والمجالات العامة الأحرى

ويذهب الباحثون المحدثون إلى أن العربية المصحى تروح في شأها إلى عصر
ما قبل الإسلام، بعد أن توفرت عومر التعرف لغة قرش فساد أنحاء لحريره
العربية، وافسدت طواهر لعونة كثيرة من لغات لقائل الأحرى، وحرحت عن
كوبها لغة خاصة بأهل مكة، نتصبح لغة لأدب والمحافل لكل الناطقين بالعربية
آنذاك، ومن ثم نزل بها القرآن الكريم وقد سبق بيد ذلك في المسحت الأول

والمسحت في المسحت الأول أيضاً إلى رأي المحدثين في صفات العربية
المصحى المشتركة وهي ١ أنها فوق مستوى لعامة، ولا يتقها إلا الخاصة من
عرب ٢- وأنها لم تكرر ذات طابع محلي، فهي لا تشمي إلى لهجة بعينها

(١) سطر إبراهيم أيس مسنفل اللغة العربية المشتركة ص٢، وعد لصو شاهين
ص١٦٩، ورمضان عبد التواب المدخل إلى علم اللغة ص١٦٥

(٢) سطر فديس ص٣٢٨، ورمضان عبد التواب المدخل إلى علم اللغة ص١٦٦ ١٦٧

٣ وأنها لم تكن لغة سبقة لكل العرب، خاصة لإعرب، بل للغة محذرة
مهم

* * *

وقد ترحح لديّ أ. العربية الفصحى، التي ستعتمد بها يوم في الكتابة وخطابه
ويحو دس، لا ترجع بحصائصها المعروفة إلى عصر يسبق الإسلام، كما أنها
تمتّ نسب قوي إلى لغة فريش التي نزل بها القرآن الكريم، على ما يثبت في
المنحوت شبي، وأن العامل الحاسم في شوء الفصحى ونشأتها كل هذه الحقب
التاريخية المتعددة هو القرب الكريم وما أدى إليه من شوء الدولة الإسلامية التي
اتحدت بلغة العربيه مع دين وحضارة

وندي من ملاحظات والأسباب ما جعلني أقدم هذا البصير بترجيع العربية
الفصحى، وهي تتلخص في

أولاً الحجاب اللغوي

أ. بمأمل في منهج علماء العربية المتقدمين في وضع «هو» عدد بعده حجباً من
أي إشبهه وصحة. بل يظن مشترك للعربية متميز عن بطو الفدائل، بل يمتس أب
الفعدة سبي عندهم على النطق العابت عند العرب للظاهرة، مع ترجيح بطو
أهل حجة، من بسوب الظواهر المتقابلة في الشيوخ عُرِصَتْ كلها، مع الصر
على لجماعة التي ستعمر كل طاهره

وهذا منهج كد قد وضع أماسه شيخ المدرسة البصرية أبو عمرو بن علاء
(ت ١٥٤هـ) وهو أسد حليل بن أحمد، فقد قال عند لمدت بن نوفل
«سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء أحزني عمًا وصغت ممًا سميتُ عيسه،
أيدحرُ فيها كلام عرب كه؟ فقال لا، فقلت كيف تصنع فيما حانفتُ فيه

(١) إبراهيم آيس، مسهل لغة العربية لمشركة ص ٩، ورمصد. عبد نواب قصور في

فقه العربية ص ٦٥

العرب وهم حجة^٢ و أعمل على لأكثر، وأسمي ما حاصلي بعد^{١١}

ونقرر محدثون أن الاختلاف بين لهجات بلغة لواحدة يكاد يحصر في نطق
لأصوات وما يتعلق بذلك من صواهر، أما اختلافات السبب الصرفية أو نحوية
فهي أقل^{١٢}، وإذا رجعت إلى عبارة علماء العربية المتقدمين في وصف لظواهر
الصوتية لا نجد ما يشير إلى صفات لغوية معينة نسب إلى الفصحى بل نجدهم
يقولون في لهجر استخفف لغة قرش وأكثر أهل الحجاز والتحقيق لغة نهم
وقيس^٣ ويقولون في الإمامة بها لغة بني تميم والفصح لغة أهل الحجاز^٤
والمحدثون هم الذين قلوا إن تحقيق نهمرة وترك الإمامة من خصائص
الفصحى ويمكن تتبع ظواهر كثيرة من هذا القبيل

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أن أكثر انظواهر بلعوية بني غنم من
خصائص الفصحى يرجع إلى لغة أهل الحجاز، ما عدا انهمر بني بيت عوامل
شوعه في الفصحى بعد الإسلام، وهو في الأصل من خصائص لغة بني تميم
وأهل نجد، ولا يسع المجال لعرض كل ظواهر المنصوص عليها، ونكتفي الآن
بعض الأمثلة^٥

١ - ما فيه مشبهة بيسر، نُسعمل في الفصحى على نحو ما نُسعملها أهل
الحجاز^٦

٢ - فتح أوائل الأفعال، المصارعة لغة أهل الحجاز، وهو المستعمل في

(١) لريدي ص ٣٩، واسيوطي المرمر ١ ١٨٤

(٢) برهيم أنيس في نهجيات العربية ١٧

(٣) بن يعش ٩ ١٠٧

(٤) المصدر نفسه ٩ ٥٤

(٥) بنظر أنصاف عاب فاضل المطيبي ص ٥٥

(٦) سنونه ١ ٥٧ و ٢٢ و ١٤٦

الفصحى، بسما لعة جميع العرب ما عداهم انكسر^(١)

٣ سو تميم يقولون إحدى عشرة، بكسر الشين، وأهل الحجاز يقولون إحدى عشرة تنسكيها، وهو المستعمل في الفصحى^(٢)

٤ أهل الحجاز يكسرون (أمس) في كل موضع، وسو تميم يضمونه في الرفع، ويكسرونه في نصب وانجر، والفصحى على الأول^(٣)

٥ سو تميم يكسرون أول صيغة (فعليل) وأهل الحجاز يفتحونها، وهو الفباس وعديه الفصحى^(٤)

٦ سو تميم يقولون في الوقف هُذِه، بإسكان الهاء، فإذا وصلوا قالوا هدي ولانه وأهل الحجاز وغيرهم من قيس ألرموها، لهاء في الوقف وغيره^(٥)

وقد تدور هذه الأمثلة شيئاً بسيراً بجانب سعة اللة وتنوع أساليبها، ونكها على فلتها تحمل دلالة بية واضحة على مقدار أثر لعة قريش في الفصحى ولا سعي أن نسي أن اللهجات العربية قد تعرضت بعد الإسلام لأكبر احتلاط لعوي عرفه التاريخ، وقد أدى ذلك إلى أن تتداخل لظواهر الدعوية بحيث لا يعدم الباحث ظاهره تقف بعكس ما تدل عليه الظواهر الأخرى

ونحتم بحديث عن هذ الحجاب بالإشارة إلى أن علماء العربية حين يتحدثون عن لعة أهل الحجاز فإنهم يصفونها بما تدل على مرلتها في مجال الاعتداد بها في وضع لقواعد، فسيبويه يقول «والحجارية هي اللة الأولى القُذَمَى»^(٦)

(١) المصدر نفسه ١١٠/٤

(٢) المصدر نفسه ٥٥٧/٣، والأحش ٩٨/١

(٣) سيبويه ٢٨٣/٣

(٤) المصدر نفسه ١٠٧/٣ ١٠٨

(٥) المصدر نفسه ٤ ١٨٢

(٦) المصدر نفسه ٢٧٧/٣

وأبو حيان، الأندلسي يقول «واللغة الحجازية هي الفصحى»^(١) وهذا لا يتعارض مع ما تقرر من قبل من أن معظم من يُقَلَّ عنه لسان العرب هم قيس وتميم وأسد^(٢)، ودلت لأن علماء عربية في العراق كان أكثر اتصالهم بهؤلاء، فأحدوا عنهم ما كان موافقاً لما ورد في القرآن الكريم المكتوب بلغة قريش وصموه إليه، وعدُّوا ما حاله لغات ذويها في الكتب، رادت في ثراء العربية في الألفاظ والأساليب

ثانياً الجانب التاريخي

بشواهد دعويه تاريخية تؤكد أن وجود لغة أدبية مشتركة قبل الإسلام أمر مشكوك فيه ومن تلك الشواهد برول القرآن بلغة قريش، فقد تأكد ذلك بما يشه النص، وأنه أمر تسهيل، لهمزة وكُتبت في المصاحف كذلك، وظلت قراءة التسهيل مشهورة في الحجاز في القرن الأول، فإذا كان هذا صحيحاً فإنه يعني عدم وجود لغة أدبية مشتركة للعرب قبل الإسلام، فلو كانت موجودة لبرل بها العرب، وكان لهم أول حصائص تلك لغة

ورد أعم الدارس لخطر في عومل التوحيد الدعوي في الحرية العربية بين لقننل العرب قبل الاسم لوحدها ليست من لقوة بحيث تؤدي إلى فرص لغة واحدة من لغات القبائل على غيرها، والدارسون يدكرون لغة قريش، سكان مكة، على أنها تهيأت لها فرص لسيادة قبل الإسلام لعومل دينية واقتصادية ولكي لا أصور أن حضور بعض العرب في موسم الحج أو لتقاءهم في الأسواق التجارية التي كانت تصاحبها استعراضات أدبية يمكن أن تؤدي إلى سادة لغة قرش بحيث يصير لغة أدبية مشتركة للعرب جميعاً، وذلك لأنه مع قلة الكفاية سرعان ما يمحو السيد ما يعبق بالذاكرة من ظواهر الطوق القرشي، ولم يستعد الراعي عن تحقيقه حين قال «فإن اللغة، الأدبية لا تنشأ ولن تستقيم إلا

(١) بفلأ عن السيوطي همع الهوامع ٢٢٣/٢

(٢) ينظر لماربي ص ١٤٦، والسيوطي لمرمر ٢١١/١

د كتب مكتوبة مدونة من مدرسة، إذ الكتابة قيّد من التعبير والتدليل، وهي نص في عموم لاحتداه والمحاكاة، لأنها في مكان ما هي في كل مكان غيره^{١١}

ويظهر من رويته نقلها الرُّتَبدي أن لغة موحدة لم تكن قد استقرت نغذ حتى منتصف عرب الثاني الهجري، وهي تحكي محاوراة علمية بين عيسى بن عمر الشامي (بـ ١٤٩هـ) وأبي عمرو بن العلاء (تـ ١٥٤هـ) وكلاهما من علماء مصر، قال يحيى بن المبارك بريدني «حاشا عيسى بن عمر الشامي وبحر عند أبي عمرو بن العلاء إني أبي عمرو وقال يا أبا عمرو، ما شيء يدعي أنك بحير؟ قال وما هو؟ قال يدعي أنك بحير (لسن بطيب لا المسك) بالرفع، قال فقال أبو عمرو بفت يا أبا عمرو، وأذبح الدس، لسن في الأرض حذري إلا وهو يصيب، وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع»

ثم أمر أبو عمرو بن العلاء يحيى وحلفاً الأحمر أن يذهبا إلى أبي المهدي - وهو من فصحاء أهل الحجاز، وكان بالصرة وأمرهما أن يلتقيا بالرفع، فقال «ليس هد من لحي ولا لخر قومي»، وأن يذهب إني المنتجع التميمي ويلقاه نصب فأني إلا بالرفع^(٢)

ويذهب الباحثون المحدثون إلى أن اللغة الأدبية المشتركة قبل الإسلام لم تكن لغة واحدة بل كانت كثيرة من العرب، على نحو ما مر في كلامهم، وهذه الفصاة لا تتناسب مع ما كان عليه العرب قبل الإسلام وفي القرن الأول خاصة من قوة صدك الدعوية التي كانت تُشعُفهم في أحرار الأوقات، فبعد العربي يرتجر في ساحه بمعركة أو يرتجل القصيدة في المحافل أو يلقي الحظوة لدية بمؤثرة في حصومة أو مناساة، وكل ذلك يحصل من غير استعداد، ويأتي في أسلوب قوي مؤثر سيع، فهل يحصل كل هذا لو كانت اللغة التي يعبر بها لغة مصنوعة؟ إني

(١) معركة بين عديم والحديد ص ٢٧١

(٢) طبقات اللعوين والحقوين ص ٤٣ ٤٤

أُسْنَعِدْ ذَلِكَ، وَأَعْتَقِدْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ يُعَرِّبُ نَبْعَهُ الَّتِي شَأْنُ عَيْنِهَا فِي سَهْ
وَبَيْنَ قَوْمِهِ، وَهَذَا يَفْهَمُ تَمَكُّنَهُمْ مِنَ الْقَوْلِ، وَسَلَامَةُ مَسْطَفِهِمْ مِنَ اللَّحَنِ

وَبِذَا كَانَتْ لِدَلَالَتِهِ تَشِيرُ إِلَى أَنَّ لِعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى الْمَشْتَرَكَةَ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَحُودٌ
وَأَصَحَّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهَا لَا شَكَّ قَدْ تَمَحَّصَتْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ عَنْ لُغَةِ أَهْلِ
الْحِجَازِ، وَقَرِشٍ حَاصِصَةٍ فِي ظِلِّ عَامِيَيْنِ سُرُورِ الْقُرْآنِ بِهَا، وَالصَّرَاحِ الدَّعْوِي الَّذِي
أُعْطِيَ دَبْثُ، وَانْتَهَى سَيَادَةُ نَبْعَةِ الْحِجَازِيَّةِ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ أَثَرَهُ عَيْنِهَا، تَنْصَحُ
لُغَةَ الْأَدَبِيَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ غَيْرِ الْمَتَّبَعَةِ لِلْحَدِيثِ، إِلَّا أَنْ يُعْطَى رَافِعٌ مُعَيَّنٌ سَيَادَةُ
لُغَةِ الْحِجَازِيَّةِ وَلَكِنْ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ بَدْءَ ذَلِكَ كَانَ مُقْتَرَباً سُرُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَبَشَرِ الْإِسْلَامِ، وَمُنْذُ بَعْدَ ذَلِكَ قُرُوباً قَبْلَ أَنْ تَسْكُنَ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصْحَى شَكْلَهَا
مُسْتَقَرّاً، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ انْتِهَاءُ عَصْرِ الْإِحْتِجَاجِ الدَّعْوِي دَرِيحاً مُحْتَمِلاً
لَاكْتِمَالِ تِلْكَ السَّيَادَةِ الَّتِي حَمَلَتْ فِي طَبَقَتِهَا عَصْرَ لُغَوِيَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ لُغَاتِ عَرَبِ
أُخْرَى حَاصِصَةٍ فِي لُجَانِ نَصُوتِي وَالْمَعْرُودَاتِ وَيَهْوِلُ الْمَشْرِقُ الْأَلْمَانِي يُوْهَانَ
فَتَّحٌ عَنْ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقُرُونِ الْارْبَعِ وَهَكَذَا صَارَتْ لِعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى، فِي
أَوَائِلِ الْقُرُونِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ / الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ، لُغَةٌ لِدَكْتَانِهِ قَطْعَتْ حَمِيعَ أَشْوَاطِ
نَمُوهِهَا وَتَكْوِينِهَا، وَلَمْ تَعُدْ قَائِلَةً بِرَبْدِهِ مِنَ النَّمُوِّ الْحَيِّ فَقَدْ عَدَتْ نَبْعَةً قَدِيمَةً
مُودَحَةً، وَتَعَلَّبَتْ إِشْعَاعَ الْجَمَالِ الْعَلِيِّ فِي قَوَائِمِهَا عَلَى الْعَاقَةِ الْحَشِيشَةِ وَالْعَرَاءِ
الْمُسْتَكْرَهَةِ فِي لَهْجَاتِ بَدْوِ الْمَعَاصِرِينَ^(١)

(١) نَعْرِضُهُ ص ١٦١

المبحث الخامس

الشعر الجاهلي واللغة الفصحى

هناك عقدة كبرى تقف في وجه الصورة التي رسمناها لتكوّن العربية الفصحى، وهي الشعر الجاهلي، الذي جاء في لغة أدبية موحدة في شكلها العام وكانت هذه اللغة الموحدة أكثر دليل على وجود اللغة العربية المشتركة من الإسلام لدى الباحثين المحدثين، وهي التي حملهم على رفض المفكره القائلة برول لقرآن بلغة فريش، ودعتهم إلى القول بروله تلك اللغة

وهذه قصة لا تحبو من تعقيد، ونحن لا نريد أن نحوص فيها على نحو مفصل هنا، وما سنعرضه هنا لا يمثل فكرة متكاملة، لكنه محاولة لفهم طبيعة اللغة الجاهلي، وهي محاولة بعيدة كل البعد عما ذهب إليه طه حسين في نظريته القائلة بأسرار الشعر الجاهلي وتتلخص هذه المحاولة في أن الشاعر الجاهلي كان يقول فصائده بلغة التي ينطقها قومه، وأن تلك اللغة لم تكن بعيدة عن أفهام السامعين من خارج قبيلته، ولتتبعني بنظم لغة قومه والهجاري بنظم بلغة قومه، وهكذا، ويظل القدر المشترك من خصائص لغة بين تلك اللغات هو العمل المساعد على تفهم ذلك الشعر من أفراد مختلفي الانتماءات لفئة والإقليم

وفي أثناء رحلتي لشعر العربي من العصر الجاهلي إلى عصر التدوين في القرن الثاني تعرضت على ألسنة الرواة إلى تعبيرات من المحتمل أنها أدت إلى تنقية ذلك الشعر من الطواهر اللغوية المحلية، وكان القالب الشعري الممثل بالورث وانقافية نحوي ذلك شعر من الأصمحلان بكنه في الوقت نفسه لا يبع من دحور التعبير المستعمد أو المعوي في حريبات البيت الشعري

واحتفاء اثار لحصائص اللغوية المحددة من الشعر الجاهلي لم يكن تدقاً،
 فهناك نفايا منها تظهر في عدة مجالات، وتدل تلك النفايا على أن لغة الشعر
 لجاهلي لم تكن موحدة، أي أن لغة أدبية موحدة لم تكن موحدة أو بارزة في
 ذلك عصر، وهذه القضية قد تحتاج إلى كثير من الدلائل حتى يمكن أن تُقْلَ
 على أنها حقيقة مسلمة، ولكي وأن أستعرض مراحل تكون العربية العصرية العصرية
 وحدث أن من لغات التي تقف دون التسليم بالنتيجة التي انتهت إليها لغة
 الشعر الجاهلي، ومن ثم اتجهت إلى هذا الميدان ونحتمت لدي عدة ملاحظات
 يمكن أن يُعتمد عليها في إزالة هذه العقدة، وتتلخص تلك لملاحظات بالأمور
 الآتية

١ ملاحظات النحويين

تحدث النحاة في حالات كثيرة عن روايات للنصوص الشعرية مسددة إلى
 قائل معينة تحذف رواية غيرها، وفي الكتاب لسيويه أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة،
 من أوصحها دلالة كلامه في أحد أبواب الاستثناء، وهو قوله^(١)

«هذا باب يُختار فيه البصُّ لأنَّ الآخرَ ليس من نوع الأول وهو لغة أهل
 الحجاز، وذاك قومك ما فيها أحدٌ إلاَّ حماراً، حاوروا به على معنى ولكنَّ
 حماراً، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه، فحمل على
 معنى ولكنَّ، وعمل فيه ما فعله كغمل العشرين في الدرهم

وأما سو تميم فيقولون لا أحدٌ فيها إلاَّ حماراً، أرادوا ليس فيها إلاَّ حماراً،
 ونكه ذكر أحدٌ تأكيداً لأن يُعلم أن ليس فيها آدميٌّ، ثم أبدل فكأنه قال ليس
 فيها إلاَّ حماراً وعلى هذا أنشدت سو تميم قول الناعة الديلمي

لَا أَوَارِيَّ لَأَيْسَ مَ أَئِشْهَا وَأَسْؤِيَّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ لُجْدَ

(١) لكتاب ٢ ٣١٩ ٣٢٣، وهناك أمثلة في الكتاب، بظر ٤٧، ٤٩ و ٧٢ و ٨٢ و ٢٥٩

٤٠١، ٢ و ١٦٧ و ١٨٦ و ١٨٢/٣ و ٤٦٨

وأهل الحجر يصنون ومثل ذلك قوله

ولده ليس بها أيسر إلا ليعايسر ولا العيسر
جمعها أيسها، وإن شئت كان نوحه الذي قرئ في الحمار أول مرة، وهو
في كلا المعيين إذا لم يصب بدر

ومن ذلك في مصدر ما له عليه سلطان، لا أنكلف ليس من
سلطان، وكذلك لا أنه ينكلف، هو ممرنة ينكلف، وإما يحيى هذا على
معنى ولكن ومثل ذلك قوله عز وجل ذكره ﴿ مَا لَهُمْ يَدُ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ ﴾ [الباء ١٥٧]، ومثله ﴿ وَلَدُ شَا تُعْرِقُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقْدُونَ ﴾ [الأنعام ١٥٧]، ومثل ذلك قول السبعة

حلفت بميم عردي مشويّة ولا علم إلا خسر ظر صاحب
وأما هو تميم ويرفعون هذا كله، يجعلون الظن عنهم، وحسن نظر علمه،
والتكلف سطره، وهم يشدون بيت اس الأيهم التعلبي رفعا
ليس سي وييس فيس عثا غير طعر الكلى وصر برف
جعلوا ذلك لعتاب

وأهل البحر يصنون على انفسير بني دكر

وستخلص من هذا النص أمران، الأول أن القاعدة النحوية اعتمدت على
صور من اللفظية، فتقاس بطور أهل الحجر ونطق بني تميم، ولا مكان شيء
منه العربية فصحي أو اللغة الأدبية المشتركة والثاني تعدد رواية نصوص
الشعرية تبعاً للانتماء المحلي الراوي النص، وهذا يعني أن لنصوص الشعرية كانت
تعرض للتعبير حتى تناسب السليقة الدعوية للراوي ويمكن أن تكون هذه
الظاهرة قد أحضرت بعضاً من الخصائص الدعوية المحلية التي كانت في الشعر
الجاهلي

وحدث في كتاب «معاني القرآن» للمراء الطاهرة نفسها في مواضع كثيرة،
 منها قوله وهو يتحدث عن إعراب (كل) في قوله تعالى ﴿وَكُلُّ يَدِ الْمَرْمَةِ طَائِفَةٌ
 فِي عِقْبِهِ﴾ [الاسراء ١٣]

«وفد الآخر

قد عرفت أم حيار تدعي علي دسأ كله لم أضمع
 فعاً، وأشد فيه بعض بني أسد بصاة»^(١)

ومن ذلك قوله «أشدني بعض بني عقيب

وحتى رأيت أحسن المعين يسا فساكنة لا يقرب شراً فاروق
 يشد رفعا وحرماً وفد لآخر

لو كنت يد جئت حاولت رؤيتنا أو حشاً ماشياً لا يقرب العرس
 رفعا وحرماً^(٢) يريه المعين بقرب، ويعرف

ومنه أيضاً قوله «أشدني بعضهم

ي سداً م أب مس سداً موطاً لأعقاب رخب الدرع
 أشدبه بعض بني سليم (موطاً) نارفع، وأشدبه الكسائي (موطاً)
 لأحضر»^(٣)

٢ نعت صور الرواية

من اللافت للنظر في الكتب التي تهتم برواية شعر القدم، والجاهلي منه

(١) معاني القرآن ١ ٢٤٢

(٢) المصدر نفسه ٢ ٢٨٣

(٣) المصدر نفسه ٢ ٣٧٥، ونظر أمثلة أخرى ١ ١٠٥ و ١٦٩ و ٢٠٤، و ٢ ٢٦ و ٣٤٨

وعند لأحضر أيضاً ١ ٦٤ و ١٤٥ و ١٥٧ و ٢٨٠ و ٢ ٣٤١

خاصة، بخلاف رويته أبيات كثيرة من القصيدة الواحدة، في حركه إعرابية أو يدر حرف أو كلمه أو أكثر وقمت بمحاولة أولية في تسع روايه بعض قصائد لشعر الجاهلي المشهوره، فوجدت أن قصيدة السبعة التي مطلعها (يدارميّة بالعلياء فليسد) قد تعددت روايه ثمانية وعشرين بيتاً من أبياتها لسبعة حمسن بيتاً، وذلك في كتاب (شرح القصائد التسع المشهورات) للبحاس^(١) ووجدت أن قصيدة لبيد التي مطلعها (عنت الديار محلّها فمقامها) قد تعددت روايه سبعة وثلاثين بيتاً من أبياتها التسعة ولثمانين، في الكتاب نفسه^(٢) واستعرضت كتاب (نوادير) لأبي زيد ووجدت فيه عشرات الأمثلة على الاختلاف في رواية الشعر

نقدم^(٣)

وبعد اسرورية الشهية للشعر القديم قبل عصر التدوين في القرن الثاني الهجري كتب السبب الأكبر في تلك الاختلافات^(٤) وكان ابن هشام (عبد الله بن يوسف ت ٧٦١هـ) قد قرأ في كتابه شرح الشواهد فكانت العرب يُشيدُ بعضهم شعر بعض، وكلُّ يتكلم على مقتضى محبته التي فطر عليها، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات^(٥) وقال مصطفى صادق الرافعي «فإن العرب إنما كانوا يحفظون ويتأقنون، وهم قوم، كما قيل، أناجيلهم في صدورهم، فلم

(١) قصيدة من ص (٧٧٦ ٧٣٣) ولأبيات هي (٢ ٣ ٤ ٨ ١١ ١٢ - ١٤ ١٦ ١٨ - ٢٠ - ٢٢ ٢٨ ٣٠ ٣٢ ٣٣ - ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ - ٣٨ ٤١ ٤٢ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠)

(٢) لفصيدة من ص (٤٥٠ ٣٥٩) ولأبيات هي (٥ - ٦ ٩ ١٢ ١٤ - ١٧ - ١٨ ١٩ ٢١ ٢٦ - ٢٨ ٣٢ ٣٥ ٣٩ - ٤١ ٤٢ ٤٤ ٤٥ ٤٦ - ٤٨ ٥١ ٥٢ ٥٤ ٦٠ ٦١ ٦٣ ٦٤ ٧١ - ٧٤ - ٧٦ ٧٨ ٨٠ ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ ٨٦ ٨٩)

(٣) نطرح مثله ذلك في كتاب النوادر ص (٤ ٩ ١٤ - ٢٩ - ٣٥ ٣٦ ٤٠ ٤٥ - ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٥٠ ٦٢ ٦٧ ٧٠ ٧٥ - ٨١ ٨٦ ١١٧ ١٢٥ ١٥٣)

(٤) لم يثبت تدوين الشعر الجاهلي على نحو واسع قبل عصر التدوين (ينظر ناصر الدين الأسد ص ١٠٨ ١٣٣)

(٥) مثلاً عن لسوطي الممر ٢٦١/١، وذكره نحوه العدد ١٧/١

يكتسبوا، ولم يُدوّنوا، ومع الحفظ السيئ قبيله وكثيره، فإذا سبي أحدهم بكلمه في بيت من الشعر وضع غيرها في مكانها ليفهمه، إذ لا بد أن يرويه أو بمثل به، ثم يكون غيره لم يسر فيروي الشعر على أصله، فتجتمع روايتان، فإذا كانوا ثلاثة فتلك ثلاث روايات كل منها بلفظ غير الأخرى^(١)

ويمكن أن يستخلص من ذلك أن الشعر الجاهلي قد تعرض في أثناء الرواية لشعبيه لبعض التعبير، ولا أستبعد أن يكون ذلك التعبير قد أحصى بعض الظواهر اللغوية المعجزة، ولا نسي أن كثيراً من مظاهر الاختلاف بين لغات العرب كان في ظواهر صوتية قد تحفيها نظم الكتابة العرصة، وأن تلك الظواهر يمكن أن تعبر في لفظ من غير أن يحل ذلك بالورن الشعري

٣- وجود بقايا لظواهر لهجية في الشعر الجاهلي

كتب الدكتور هاشم الطعان رسالته في موضوع (الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل ولغة الموحدة)^(٢)، وتحدث في الفصل الخامس عن (الأدب الجاهلي ولهجات) تنوع فيه السمات اللهجية في بمدح للشعر الجاهلي من الحجاز (شعر هذيل) ومن نجد (شعر نميم) ومن اليمن (مدح متعددة)^(٣)، وانتهى من ذلك إلى استنتاجات بعضها في الفصل السادس من الرسالة وبهما هما نقل تصوره عن لغة الشعر الجاهلي، مع ملاحظة أنه كان متأثراً بالرأي السائد القائل بوحود لغة أدبية مشتركة أو عربية فصحي في العصر الجاهلي، يقول: «ومن كل ما تقدم يستطيع الباحث أن يحرم أن الصورة اللغوية الحقيقية للأدب الجاهلي كانت كما يلي

١. شاع شاعر في قبيله، فيظم الشعر، ويخضع الحطيط ويطلق المثل، فكل ذلك بلهجة القبيله نفسها، لتي لا تعد كثير عن لهجات لغات المجاورة

(١) معركة بين القديم والجديد ص ٣٣٦، ويظر أيضاً توزيع أدب العرب (ه) ١/ ٣٨٨

(٢) طبع في مطبعة دار الحرية بغداد سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

(٣) أدب الجاهلي بين لهجات القبائل و اللغة الموحدة ص ١٦٥ ٢٣٢

ولا عن لغة الأدب العامة بما تقدم من صالة الفروق بين اللهجات

٢ شيع شعر الشعراء ويُرْوَى ويُشَدُّ في المواسم والأسواق والحج والأسفار

٣ يكون الروية أحياناً من غير قبيلة الأديب فروي أدبه إم باللهجة أي باللهجة الروية أو باللهجة الأدبية التي كانت سمو بطراد

٤ وحين يشيع شعر لشاعر ويصبح مشهوراً ويحد نفسه أهلاً لإشاد شعره خارج نطاق قبيلته في المواسم والأسواق حيث كانت تُصْرَبُ القسب للمُحْكَمِينَ كان لشاعر يسمو بلعنه عن الصداق باللهجة الصيقة ويحاول أن يطمع بدءاً باللهجة الأدبية التي كانت مستمرة في التوسع والعنى على حسب اللهجات نفسها (١)

وهذه النتيجة التي انتهى إليها الباحث تلتقي مع ما تتصوره للغة لشعر الجاهلي إلا ما ورد في النقطة الرابعة، فإن ما ذكره من أن الشاعر بعد أن يشتهر يحدو أن يطمع باللهجة الأدبية أمرٌ لا يحد ما يشير إليه على نحو واضح

وبعد هذا عرض الموجز فإن لغة الشعر الجاهلي لم تعد تشكل عقبة تحول في نظري دون قبول الفكرة التي انتهى إليها، البحث في الصفحات السابقة، ومع ذلك فإني مقتنع بأن لغة الشعر الجاهلي تحتل مريداً من التدقيق والتأمل، وقد تساعد نتيجته البحث في إعادة قراءة ودراسة الشعر الجاهلي على نحو جديد

(١) المصير نفسه ٢٤١ ٢٤٣

المبحث السادس

علاقة العربية الفصحى بقراءة القرآن الكريم

إن لقرآن الكريم هو كتاب العروة الأول، يتحد الأدباء والخطباء والمتحدثون بلأعته وفصاحته مثلاً يحتذونه، وقد يبدو عيون هذا البحث لذلك غريباً لأول وهلة، إذ كيف يصح لبحث عن العلاقة بين العربية الفصحى وقراءة القرآن في الوقت الذي يمثل فيه القرآن لمودح الأعيان للعربية الفصحى؟ لكن البحث في تطوهر الصوتية التي تُمرُّ العروة الفصحى وموارستها بالظواهر الصوتية التي تبدو في القراءات العروية يجعلنا نكتشف أن هناك تماثلاً قد يصل إلى حد انطبق بين لعربية الفصحى وقراءة عاصم في تلك الظواهر، وهذه لقضية هي لني يريد أن وصحها في هذا البحث

والمعروف اليوم أن قراءة عاصم بن أبي سحود الكوفي (ت ١٢٧هـ) هي لقراءة السائدة في معظم البلدان الإسلامية، عدا المغرب وبعض أنحاء إفريقيا، ولاحظ شكل وصح الشانه الكبير بين الفصحى وقراءة عاصم في طهرني تحقيق الهمة وبرك لإمالة، فكيف تحقق هذا وفي أي وقت؟ وهل كان انتشار قراءة عاصم قد أسهم في انترم الفصحى بذلك أو كان تمرُّ الفصحى بذلك سبباً في انتشار قراءة عاصم؟ هذا ما سوف أحاول تتبعه في هذا البحث، المعروف على عمل آخر ربما أسهم في تكون العربية الفصحى، وللكشف عن أصل هذا تشانه في تطوهر الصوتية التي أشرت إليها ولتحديد جوب التأثير والتأثير في ذلك

أولاً قراءة عاصم

قراءة القرآن سنة يأخذها الآخر عن الأول^(١)، وقد تعلم بصحة رضى الله عنهم قراءة القرآن من رسول الله ﷺ وتلقى التابعون القرآن عن الصحابة وعلّموا منهم قراءته، فشأت طائفة من العلماء بالقرآن في الأمصار الإسلامية أخذوا عنهم من الصحابة، وحلّهم تلامذتهم من تابعي التابعين، الذين ظهر فيهم علماء تجردوا للقراءة واشتدت بها عنايتهم، حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم، خاصة في الأمصار الخمسة مكة والمدينة والكوفة والبصرة ولشام^(٢)، ومن أشهرهم القراء السبعة الذين عدّ ابن محاهد قراءتهم أصحّ القراء وأشهرها، وهم نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمره، وإكسائي، وأبو عمرو بن العلاء، وابن عامر^(٣)

وبرجع قراءة عاصم التي يقرأ بها أكثر المسلمين اليوم إلى قراءة أهل الكوفة، وقد يعجب في توضيح تاريخ القراءة فيها ما قاله ابن محاهد، رحمه الله «وأما أهل الكوفة فكانت يعتد على المتقدمين من أهلها قراءة عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - لأنه هو الذي نعت به إليهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يعلمهم، فأحدث عنه قراءته قبل أن يجمع عثمان رضى الله تعالى عنه الناس على حرف واحد، ثم لم تزل في صحابته من بعده يأخذها الناس عنهم فلم تزل قراءه عبد الله بالكوفة لا يعرف الناس غيرها، وأول من أقرأ بالكوفة القراءة التي جمع عثمان رضى الله تعالى عنه - الناس عليها أبو عبد الرحمن السلمي، وسمه عبد الله بن حبيب، فجلس في المسجد الأعظم ونصب نفسه لتعليم الناس القرآن، ولم يزل يُقرئ بها أربعين سنة وكان أحد قراءه من عثمان وعمر بن عبد الله بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأنس بن كعب رضى الله تعالى عنهم وكان يقول قرأت على أمير المؤمنين

(١) ابن محاهد ص ٥١

(٢) عجم لدين السجوي ٢ ٤٢٤ ٤٣١

(٣) ابن محاهد ص ٨٧

عليّ رضي الله تعالى عنه - القرآن كثيراً، وأمسكت عليه المصحف فقرأ عليّ، وأقرأت الحسن والحسين - رضي الله تعالى عنهما - حتى قرأ عليّ القرآن، وكان يدرسان على أمير المؤمنين عليّ - رضي الله تعالى عنه - فربما أحد عليّ الحرف بعد الحرف فلما مات أبو عبد الرحمن رحمه الله تعالى حلقة في موضعه أبو بكر عاصم بن أبي النجود^(١)

وكان عاصم قد قرأ على رزّ بن حنّيش، أحد أشهر تلامذة عبد الله بن مسعود في الكوفة، وقرأ أصبغ على أبي عمرو سعد بن يأس الشيباني، إضافة إلى أبي عبد الرحمن السلمي^(٢)

وأحد القراءة عن عاصم ثمانية وأربعون من لأئمة العلماء^(٣)، وذكر منهم ابن الحرري أكثر من ثلاثين^(٤) لكن أشهر من روى عنه القراءة اثنان هما أبو بكر بن عاشر، وحفص بن سليمان، وانتشرت قراءة عاصم من رواية حفص خاصة

ثانياً ظواهر صوتية مشتركة

لاحظ للعويون القدماء أن تحقيق الهمزة من خصائص لغة قبائل تميم وليس وأن تسهيلها من خصائص لغة أهل لحجار عامة وقريش خاصة^(٥) وهذا أمر سقت لإشارة إليه على نحو مفصل، لكن الذي يريد أن يقرره هنا هو أن تحقيق الهمزة صدر نُعدُّ من خصائص العربية الفصحى^(٦)، ويقاب ذلك انترام بتحقيق الهمزة في قراءة عاصم في جميع أحوالها، سواء كانت مفردة أم مقربة بهمزة أخرى^(٧)

(١) لمصدر نفسه ص ٦٦ ٦٩

(٢) ابن الحرري عانة لنهاية ١ ٢٩٤ و ٣٠٣

(٣) عم بندين السجدي ٢، ٤٦٥

(٤) عانة لنهاية ١ ٣٤٧، وينظر ابن مجاهد ص ٩٧

(٥) سيوبه ٣/ ٥٤١، والأزهري ١٥/ ٦٩١، وابن يعيش ٩ ١٠٧

(٦) إبراهيم أنيس في اللهجات العربية ص ٧٨، ونعام حساك ص ٧٥

(٧) ابن مجاهد ص ١٣٠ و ١٣٥ و ١٣٨، والحلي ص ٥ ٦

أما الإمالة، وهي نطق بالألف مَنحَوًّا بها نحو لاء قليلاً أو كثيراً، فبها كانت لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، ويقال لها الفتح وهو لغة أهل الحجاز^(١)، وتباين القراء في الأحكام بالإمالة في القراءة على نحو قصصه كتب لقراءت، لكن عاصماً كان العال على قراءته بفتح، فلم يَرَوْ عنه حفص الإمالة إلا في حرف واحد، هو قوه تعالى ﴿تَحَرَّجَهَا﴾ [هود]^(٢)، والإمالة متروكة في العربية الفصحى اليوم، إذ يحرص المتحدثون بها على النصح دائماً

إن برور ظهري بتحقيق الهمزة وترك الإمالة في قراءة عاصم يرجع في طبي إلى عدد مصادر قراءة عاصم، فإن قراءته جمعت بين قراءه أهل المدينة وقراءة أهل الكوفة، ومن خلال ظاهرة الاختيار في القراءة، التي أشرنا إليها من قبل، تفكر عاصم من تأليف حروف قراءته، على هذا النحو الذي جاء متوفهاً مع حصائص ما صدر يعرف فيما بعد بالعربية الفصحى، التي استمدت أكثر حصائصها من لغة أهل الحجاز

وقد نظر طائفة أن عاصماً حين حار حروف قراءته كانت العربية الفصحى هي مثال يدي نسخ على موه، لكن هذا يقتضي وجود الفصحى في حياء عاصم الذي توفي في الكوفة سنة ١٢٧هـ، وهو أمر غير مؤكد الوحد، على نحو ما تنس في «مباحث سائقة»

ولدينا مثال يؤكد ما ذهب إليه وهو التاء، همرتين في كلمة واحدة أو كلمير، قال سيبويه «وعدم أن الهمرتين إذا التما وكانت كل واحدة منهما من كلمة فإن أهل التحقيق يُحَقِّقُون إحدىهما ويستقلون بحقيقتهما لما ذكرت ذلك، كما استقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس من كلام العرب أن تنقي همرتين فُحَقِّقَ»^(٣) وقال «واعلم أن الهمرتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بُدٌّ من

(١) ينظر سيبويه ٤، ١١٨، وأدبي الموضح ورفه ٢، ١٢، وابن يعيش ٩، ٥٤

(٢) من الحزري بشر ٢، ٤١

(٣) لكتاب ٣/ ٥٤٨

إن كلام سيويه احتوى في حدود ١٨٠هـ، ويؤيده النحويون الذين حووا من بعده^(٢) بدن على أنه لا يحور عند النحاة اجتماع همرتين في كلمة أو كلمتين فيحقق، ولا بد من تحريف أحدهما على الأقل، ولو كان عاصم نسخ على صورته لعربية أبي رسمها النحاة بما وجدناه يحقق بهمرتين سواء كان في كلمة أم في كلمتين^(٣)، وإما كان عاصم يستهدي بترواية عن شيوخه، ويسرشد بمصاحته ومعرفة سمه بالعربية، ولا تفهم من هذا الكلام أن عاصم كان يحنهد برأيه في احتبار وجوه قراءته، وإما بقصد أنه حين كان يحتار ما يقرأ به ويعلمه، مما رواه عن شيوخه، كان يتوحي الأكثر فصحة واطراداً في العربية

وهذه لملاحظة تثير سؤالاً هو هل يعني ذلك أن قراءة عاصم أسهمت في تكوّن العربية الفصحى من بعض الوجوه، خاصة أن حصائصها قد تبلورت قبل عصر النحاة بكمال؟ إن تحرير الإحانة على هذا السؤال تحاج إلى كثير من التشع والوقوف على مراحل تطور القراءات ومعرفة تفصيلات قد لا يتوفر منها في وقت نحصره في الفلن

ومع معرفتي أن الطواهر بحرنية نتي أشرت إلى بعضها لا يمكن تعميمها سهوه إلا أن لحدث المدفون لا يجد نذراً من الوقوف عندها واستخلاص دلالتها، عسى أن تكون أساساً يمكن البناء عليه، وأحد أن من المقصد أن أحسم هذا بحث بحملة حقائق تدرجيه تتعلق بانتشار قراءة عاصم لعلها تساعد يوماً في الإحانة على السؤال بحاص بالعلاقة بين العربية الفصحى وقراءة القرآن الكريم من حيث الأساثر والأساثير

(١) الكتاب ٥٥٢/٣

(٢) انظر مثلاً ابن جني ٩ ١١٦

(٣) من صحاحه ص ١٣٨، ونحوي ص ١

ثالثاً انتشار قراءة عاصم وأثر ذلك في العربية المصححى

كان يقرن الثاني عصر مشاهير القراء الذين اقتدى الناس بهم في القراءة، في زمانهم وفي العصور اللاحقة، ومن بينهم القراء السبعة الذين جمع ابن مجاهد قراءتهم في كتاب السبعة، واتفق المسلمون على صحة قراءتهم وتواترها، وبسبب كان علماء القراءة يحرصون على رواية القراءات السبع وغيرها كان جمهور الناس يكسبون بصط قراءة واحدة يتنوع بها كتاب الله تعالى، وأدى ذلك خلال القرون المتلاحقة إلى انتشار بعض القراءات وانحسار بعضها حتى صارت لا تُعرف إلا من الكتب ولا يصطها إلا المتخصصون بدراسة القراءات وروايتها

وتسود اليوم قراءة عاصم من رواية تلميذه حمص في أكثر بلاد المسلمين ونُصِّطُ بها المصاحف المطبوعة، عدا بلاد المغرب فإن قراءة نافع هي السائدة هناك، وهذه الحالة ليست وليدة عصرنا، وإنما هي قديمة مصت عليها قرون ولا يزال يحتفظ ببعض شواهد التطور الذي أدى إلى هذه الحالة، معرضها مع علم بوجود فجوات تاريخية قد يتمكن الباحثون يوماً من إتمامها

ذكر عَلم الدين السجّاي أن صاحب بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي أبي القراءة أحب إليك؟ فقال قراءه نافع قلت فإن لم نوحده؟ قال قراءة عاصم^(١)، وكانت وفاة الإمام أحمد بن حنبل سنة ٢٤١هـ

وقال مكى بن أبى طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) «قراءتُه مختارةٌ عند مَنْ رأيت من الشيوخ، معذمةٌ على غيرها، لفصح عاصم، ولصحة سدها، وثقة بأقنها»^(٢)، وهذه ثلاثة أسباب ذكرها مكى يحسن الوقوف عندها

أما فصحة عاصم فهذا أمر يصح عليه تلامذته ومعاصروه، فقد قال تلميذه أبو

(١) حبان لعراء ٤٦٤/٢، وحاء مثله في مسائل الإمام أحمد من رواية إسحاق بن إبراهيم لساموري ١٠٠، وذكر ابن حجر في القصة عن أبيه عبد الله (عناية النهي به ٣٤٨ ١)

(٢) البصرة ص ٢١٩

نكر بن عياش «كان عاصم نحويًا فصيحًا»^(١)، وقال حشر بن صالح «ما رأيت
أحدًا كان أفصح من عاصم بن أبي الجود، إذا تكلم كاد يدخله الحلاء»^(٢)
وقال بن محاهد «كان عاصم متقدمًا في زمانه مشهوراً بالصحة معروفاً
بالإتقان»^(٣)

وأم صحة سند قراءته فذلك لأن عاصمًا كان قريب العهد من عصر الصحابة،
وهو معدود في التابعين^(٤) لكن شيوخه في القراءة كانوا من كبار التابعين،
وأشهرهم أبو عبد الرحمن السلمي، وروى عن حيش، اللذين أحدا قراءتهما عن
علماء الصحابة بالقراءة ليس بينهما وبينهم أحد، وهم عثمان بن عفان،
وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وريد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود،
رصي الله عنهم^(٥)

وأم ثقة بقلة قراءة عاصم، فقد قال علم الدين السخاوي «وروى عنه انقراء
ثمان وأربعون من الأئمة والعلماء»^(٦) ليس من هدف البحث هنا تتبع أحاديثهم،
ولكن يكفي الوقوف على خبر اثنين منهم، وهما أشهر رواة قراءة عاصم أبو
نكر شعبة بن عياش وأبو عمر حفص بن سليمان الأزدي الترمذي، حيث تعتمد
كتب القراءات عليهم في ذكر قراءة عاصم

أم أبو نكر شعبة فإنه كان لا يكاد يُمكنُ من نفسه من أراد أحد قراءة عاصم
منه^(٧)، كما أنه قطع الإقراء قبل موته سنة ١٩٣ هـ سبع سنين، وقيل بأكثر^(٨)،

(١) لدهبي معرفة له ٧٥/١

(٢) بن محاهد ص ٧١

(٣) بمصدر نفسه ص ٧٠

(٤) مكّي، انصروه ص ٢٢٠

(٥) لدهبي السير ص ١٨

(٦) حمل انقراء ٢ ٤٦٥

(٧) ابن محاهد ص ٧١

(٨) ابن حجر عدي النهاية ٣٢٦/١

ولعل هذا هو السر في انتشار قراءة عاصم من رواية حفص بن علي كان متفرعاً
مقراً، سيما كان أبو بكر مشتغلاً برواية الأحاديث إلى جانب القراءة، ومن ثم
قد يحكى بن معين هو أصح قراءة من أبي بكر وأبو بكر أو ثبوته، يعني في
الحدث^١

وكان حفص بن عاصم، ابن زوجته، وكان يروى عنه في دار واحدة، فقرأ
عنه عمران مراراً، حتى صار أصح من روى القراءة عن عاصم^(٢)، ولم يثبت
حفص أن عذر الكوفة أقدم في بغداد وذكر الحطيب العدادي أنه كان يروى في
مكة شرقاً من بغداد في محله سماه سوقاً بصر، وأنه لو رأته بقرت
عنه به عندهما^(٣)، فقرأ بها، وجاور مكة فقرأ بها أيضاً^(٤) وذكر أبو
بكر الأندلسي أن الفصل بن يحيى أقام بمكة محاوراً حتى أحد القراء عن
أبي عمر حفص بن سليمان^(٥)، ولا نعلم مقدار مكث حفص في بغداد ولا
محاورته في مكة، ولكن نعلم أنه أقرأ بقرآن فيهما، وأنه توفي سنة ١٨٠هـ أو
بعده^٦

وعلى فصح عاصم، وعلو إسمه قراءته، وصح تلامذته وشاططهم في تعميم
قراءته كتب السب في انتشار قراءته كما ذكر مكي بن أبي طالب، وليس من
السير لقول إن قراءة عاصم سادت في بلدان المشرق الإسلامي في قرن معص،
ولكن ندباً روياً وأقول توصلح لنا حساً من هذه القصيدة الكبيرة، من ذلك أن
الحطيب العدادي ذكر أحمد بن سهل الأثباتي المتوفى سنة ٣٠٧هـ، وقال عنه
«وهو أحد القراء بمحودين، فقرأ على عيسى بن إصباح، روايته عن حفص بن

(١) لدهي ميرزا لأعداد ١ ٥٥٨

(٢) حطيب العدادي ٨ ١٨٦

(٣) مصدر نفسه

(٤) بن الحري عده نهاية ١ ١١٣

(٥) إصباح الوصف ولاندا ١ ١١٣

(٦) لدهي معرفة القراء ١ ١١٦، وبن الحري غاية النهاية ١ ٢٥٥

سند من حرف عاصم بن أبي الجود، واشتهر بهذه القراءة^(١)

وتمضي قرون حتى يصادف قول أبي حنن الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) الذي ينص فيه على أن قراءة دفع هي التي يشأ عليها أهل المغرب وأن قراءة عاصم هي لقراءة التي يشأ عليها أهل لعراق^(٢) وهذا دليل تاريخي قاطع بانتشار قراءة عاصم في العراق كله في القرن الثامن الهجري

وبلتفي مصر آخر من القرن الثاني عشر الهجري يدل على انتشار قراءة عاصم إلى مناطق حارح العراق، فهذا محمد المرعشي المتوفى سنة ١١٥٠هـ، يقول «ولمأخوذ به في ديارنا قرءه عاصم، ورواية حفص عنه»^(٣) وهو يعني بلدته مَرْعَش، وهي مدينة بين الشام وبلاد الروم^(٤)، وهي اليوم تابعة لتركيا تقع حوينا

ولا أشك في أن البحث يمكن أن يؤدي إلى تحديد أكثر لمرحل انتشار قراءة عاصم، ويمكن أن يستند في ذلك إلى الأقوال الصريحة مثل قول أبي حيان ومحمد المرعشي، ويمكن أن يستفيد أيضاً من ملاحظة المؤلفات المستقنة في قراءة عاصم، فليس مصادفة أن نجد محمد بن أحمد السلمي (ت ٣٥٥هـ) مثلاً يؤلف كتاب (مقدمة عاصم) من القرن الرابع الهجري، مع علماء آخرين كتبوا مقدمات في قراءات غيره من القراء، كذلك هناك وسيلة أخرى هي تتبع المصاحف المخطوطة والتدقيق في القراءة التي صُيِّطَتْ بها، فلا أشك أننا سوف نستطيع أن نقول إن مصاحف قرن ما قد صُيِّطَتْ كلها بقراءة عاصم، أي إن الناس في ذلك القرن كانوا يقرؤون بقراءة عاصم، في السند الذي كُتِبَتْ فيه تلك لمصاحف، وهذه قضية لا يملك الآن ما يساعد على البدء بها، ولكن به

ساحين إليها

(١) تاريخ بغداد ٤ ١٨٥

(٢) البحر المحيط ١ ١١

(٣) جهد المقل ورواه ٦٥ و

(٤) صهي تليس، العدد دي ١٢٥٩/٣

وحلاصه لمور في هذ الأمر أن قراءة عاصم انتشرت في الأمصار الإسلامية في وقت مبكر، وسادت في كثير من لنداء لا سيما في العراق وما حوله من بلاد لمشرق الإسلامي منذ القرن الثامن الهجري على الأقل، وأن ذلك قد ساعد على ترسيخ حصائص العربية الفصحى التي يلتقي في كثير منها بقراءه عاصم، فمما لا شك فيه أن تعلم المسلمين قراءة عاصم منذ الصغر وقراءتهم انقرآن به بعد ذلك أمر يؤدي إلى أن تأخذ العربية الفصحى على ألسه المتكلمين بها شكلاً يماثل ما اعتادوا عليه في قراءة انقرآن الذي هو المثل الأعلى للفصاحة وسلاعة

وقد يكون سيحة التي انتهى إليها هذ البحث في كشف عن العلاقة بين العربية الفصحى وقراءة القرآن الكريم متواضعة، ولكي أحد العذر في أن هذ ميدان لم يُطرق من قبل وأنه واسع غير محدد المعالم، وحسبي أبي قد حظوت بالبحث في هذ الميدان خطوات أدعو الله تعالى أن يكون صحيحة ونافعة

خاتمة

إنَّ أهم القضايا التي عالجها البحث قصبتان، الأولى تحديد اللغة التي أُرِل بها القرآن الكريم، والثانية تحديد ظروف تكوُّن العربية الفصحى والأساس للعوي لدي استندت إليه، واقتضى بحث تلك القصبتين استعراض جهود العلماء في تحديد أصل العربية الفصحى، وبحث ظاهرة الهمز هي العربية، ولغة الشعر لجاهلي، وقراءة عاصم وعلاقتها بالفصحى، ولعل أهم نتائج البحث هي

١ لم تكن هناك لغة أدبية مشتركة تنتظم كل أنحاء الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان الناس يتكلمون بلغاتهم العربية التي نشأوا عليها، ويحققون التواصل بينهم بالمدر للعوي المشترك بين تلك اللغات، وهو عبر قليل

٢ كان لشاعر الجاهلي يظم بلغة قومه (قبيلته) التي نشأ عليها، ويتناول الرواة ذلك الشعر، وقد يتعرض لبعض التعبير على ألسنة الرواة من القائل الأخرى

٣ حين نُعت سيدنا محمد ﷺ أُرِل عليه القرآن بلسان قومه وهم قريش سكان مكة المكرمة، وتلاه رسول الله ﷺ على الناس تلك اللغة، وكُتِب بها أيضاً، تكن قراءته في زمن السورة كانت تستجيب لتدوين لغات العرب، حيث جاءت رحصة الأحرف السبعة المشهورة

٤ حصل امزاج كبير بين لغات القبائل العربية بعد الإسلام، لكن اللغة كانت لغة قريش التي مَكَرَّ لها وساعدها القرآن الكريم الذي أُرِل بها وكُتِب على لفظها

٥ اعتمد علماء اللغة العربية على لغة قريش بالدرجة الأولى في وضع لقواعد، لكن الامتزاج للعوي ترك آثاره، فاختلفت بعض خصائص اللغة

البحارية (لغة قرش) تتحل محلها حصائص لعوية من لغات القبائل العربية الأخرى، مثل طهارة «بهمر التي أقتبس من لغة بني تميم وأهل نجد، وصارت هذه الفواعل نموذجاً يُحتذى، وبذلك تميزت ملامح العربية الفصحى

٦ إن العامل الحاسم في ظهور العربية الفصحى والتمكين بها هو القرآن، فكما كان للقرآن أثره الكبير في حياة العرب كان له أثره في لغتهم، ولا يزال هو العامل الأول في حياتها وديمومتها، «فهذه العربية الفصحى، التي سمرت حية، أربعة عشر قرناً، والتي تستمر في حياتها إلى ما شاء الله تسمد من ارتباطها بالقرآن الكريم عنصر لحياة»^(١)

٧ يمكن القول إن العربية الفصحى قد ستقرت حصائصها اللغوية حين انصبت عصور الاحتجاج للعوي، في حدود القرن الرابع الهجري

٨ هناك قضية لها علاقه محتملة بخصائص العربية الفصحى واستقرارها وهي تشار قراءه عاصم بن أبي السجود الكوفي (ت ١٢٧هـ) برواية تلميذه أبي عمر حفص بن سليمان الأسدي (ت ١٨٠هـ)، في أكثر بلدان العالم الإسلامي منذ عده قرون، فإن استعراضاً سريعاً للخصائص اللغوية لقراءة عاصم وموارثها بالخصائص التي تميز العربية الفصحى يكشف عن تشبه كبير يحمل على الاعتقاد بأن قراءة عاصم قد أسهمت من عصر الوحوة في ترسيخ العربية الفصحى

٩ إذا صح ما انتهى إليه البحث من أن العربية الفصحى تستند إلى اللغة البحارية في كثير من خصائصها فإن ذلك يقتضي إعادة قراءة النصوص اللغوية القديمة في ضوء هذه الحقيقة، ومراجعة القواعد النحوية المنوثة، والحوث للعوية الحديثة في ضوء ذلك أيضاً

١٠ إن ما سطرته في صفحات هذا البحث يمثل خطوطاً عريضة لمعالجة موضوع البحث، ومع قساعتي بأن ما قدمته فيه قد أدى على نحو واضح وغير مكلف إلى النتائج السابقة فإني أعترف بأهمية تعميق جوانب متعددة فيه،

(١) رمضان عبد الوات انطور اللعوي ص٩

وحسبي أبي نعت أقطار ومهتمين بتاريخ اللغة العربية إلى القصيدة وفسرت طواهر
بعويه كانت تبدو متناقضة مع حقائق تربية ثالثة، والله أعلم بالصواب وإليه
المرجع والامان، هو حسنا ونعم الوكيل

☆ ☆ ☆

٢ (٣)

ظاهرة الإعراب^(١)

في ضوء رسم المصحف

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أرسل القرآن بلسان عربي مبين،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحباته أجمعين، وبعد

فإن لإعراب في أصل الوصف مصدر أغرب الرجلُ إعراباً، إذا أُناب عتاً في
نفسه^(٢) وفي اصطلاح النحاة هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ^(٣) قال ابن حني
ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيداً أنه وشكر سعيداً أنه، علمت برفع أحدهما
ونصب الآخر الفاعل من المفعول^(٤) وإنما سُمِّيَ الإعراب إعراباً لنسبه
وإيضاحه^(٥)

وقد تحدث متأخرو النحاة عن حقيقة الإعراب، فذهب جماعة منهم إلى أنه
فقط، وذهب آخرون إلى أنه معنى قال ابن يعيش «واعلم أنهم قد اختلفوا في
الإعراب ما هو؟ فذهب جماعة من المحققين إلى أنه معنى، قالوا وذلك
اختلاف أواخر لكم لاختلاف العوامل في أولها، نحو هذا ريدٌ، ورأيت ريداً،
ومررت بريدٍ، والاختلاف معنى لا محالة»

«ودذهب قوم من المتأخرين إلى أنه نفس الحركات، وهو رأي من درسيه،

(١) بحث مشور في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد العدد السابع ١٤٠١ هـ (١٩٨١م)

(٢) من انخشاف المربحل ص ٣٤، وابن منظور لسان العرب، مادة (عرب)

(٣) ابن حني لخصائص ١، ٣٥، وابن منظور لسان العرب، مادة (عرب)

(٤) ابن حني لخصائص ١، ٣٥

(٥) ابن منظور لسان العرب، مادة (عرب)

والإعراب عندهم لفظ لا معنى، فهو عبارة عن كل حركة أو سكون يطرأ على
حر الكلمة في اللفظ، بخلاف عمله، ويطلق بعبارة^(١)

ومهما يكن من أمر فإن الإعراب يتعلق بحركات أو حر الكلمات وما ينوب
عنها، التي تتغير بغير موقع نكبة في الجملة، ولو تأملت مثلاً كلمات سورة
الفتح ﴿يَسِّرْ لَنَا الْوَيْلَ الْوَيْلَ الْوَيْلَ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿إِنَّا كُنَّا عَبْدُكَ وَإِنَّا كُنَّا
نَسْتَعِينُ﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفتح ١-٦] لاحظت أن لحركات
في حر الكلمات تنوع بين الصمه والفتحة والكسرة، ويوحدت أن بعض
الكلمات جاءت بصورة دون أخرى مثل (العالمين) نالياء، ولم تكن (العالمون)
بالواو، وكذلك (الصالحين) بالياء، وليس (الصالحون) بالواو، فلك الحركات وهذه
الحروف هي التي يسميها نحاة بحركات الإعراب وحروف الإعراب، ويتحدد
نوعها بحسب موقع النكبة في الجملة، أو بتغير آخر بحسب العوامل الداخلة
عنها

وظاهره لإعراب من أهم خصائص العربية، لبي أعطت نطقها جرساً منميراً،
لا يكون الكلام بدونه عربياً ميباً، وقد لاحظ هذه الظاهرة وأدرك دورها في اللغة
علماء عربية لأوائل، فعنوا بها، وصنطوا قواعدها، وألّفوا في ذلك الكتب،
مسندين إلى النصوص العربية الأصيلة، متمثلة بالقرآن الكريم، والحدث
الشريف، وشعر العرب ومثور كلامها

وقد عبرت قرون وأجيال وهي تعد الإعراب من أهم ما يحرص عليه نطقو
العربية، ويعنى به درسو قواعدها، وهم لا يتصورون عربية بدون إعراب

وحين شغبت دراسات الدعوية العربية من حديد في هذا لقرن بعد فترة من
ركود، ازداد اتصال المستشرقين باللغة العربية، ودرسوا كتب النحو، وترجموا

(١) شرح المفصل ١، ٧٢، وانظر الأشموي شرح لألفية ١/٥٣

بعضها إلى لعانهم، وكتبوا في تاريخ العربية وقواعدها كتباً وأبحاثاً كثيرة، وكان
بعض تلك الكتب والأبحاث يتسم بالجدية والبطورة العلمية، وكان بعضها على
غير ذلك، لا يحلو من عرص غير علمي، على الرغم مما يُضفي عليه من مسحة
البحث العلمي الأصل

وكانت دعوى أن طاهره الإعراب لم تكن ظاهرة لغوية أصيلة، وإنما هي من
تلفيق وخنزاع علماء النحو إحدى ثمار ذلك الاتصال، فإن أصول هذه الدعوى
تتد إلى كتابات بعض المستشرقين، أمثال (كارل فوللر) و(بول كاه) اللذين
شككا في أصالة الإعراب، حين بحثا في العربية الفصحى وتأريخها، وكان
جهودهما نصب في إطار الدعوة إلى استخدام اللهجات العربية العامية مكان
العربية الفصحى، والتمهيد لتلك الدعوة بكل وسيلة، مثل رمي الفصحى
بالمحمود، ومثل القول بعدم أصالة الإعراب^(١)

وقد كان ذلك الرأي اعرب في الإعراب من «ضعف والهوان ما جعل
لمستشرقين أنفسهم يكرهه ويردون عليه»^(٢)

وكادت تلك الدعوى تؤول إلى السيد، كما زالت دعوة استخدام العاميات،
لولا أن بعضاً من رواد البحث اللغوي العربي الحديث قد أعاد بحث قضية
الإعراب من جديد، على نحو لا يسعد عن الإطار السابق، إن لم يكن أشد حصرًا
من حيث النتائج، بعض النظر عن التوايا لني تقف وراء ذلك البحث^(٣)

(١) نظر رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية ص ٣٣٣-٣٣٤، ونفوسة زكريا سعيد
تاريخ الدعوة إلى العامية ص ٢٤ ٢٥

(٢) انظر صبحي الصالح دراسات في فقه اللغة ص ١٢٢، ورمضان عبد التواب فصول في
فقه العربية ص ٣٣٦ ٣٣٨

(٣) يقول الدكتور إبراهيم أنس في بحثه عن الإعراب (من أسرار العربية ص ٢١١) «ولسا
هذا يهدف إلى التعبير أو التحوير في تلك الأصول الإعرابية، كذلك لا يرمي بالبحث في
شأة الإعراب إلى استنساخ حجة دراسية لها، يسر من أمرها على المعتمدين السابقين،
من كل لذي يعيب هذا هو البحث العملي في شأة هذا الإعراب، وتصيب العرب بعماء» =

وكان الدكتور إبراهيم أيس قد بحث في كتابه (من أسرار اللغة) جملة قصص تتعلق باللغة العربية بحثاً «مؤسساً» على أحدث النظريات التي اهتدى إليها المحدثون في الدراسات اللغوية»^(١)، كما يقول في مقدمة الكتاب، مستمداً من دراسات المستشرقين للغات السامية، ودراسات «عربيين للغاتهم الحديثة والقديمة، وكنت (ظاهرة الإعراب) أحد الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب

وصح ما توقعه المؤلف في مقدمة الكتاب، وهو قوله «وعد بصيق عصر الناس في مصر ما جاء في هذا الكتاب، ويتكروا له، ولا سيما الفصل الخاص بقصة إعراب»^(٢) فقد صاق صدر اللغويين في مصر وحارجه بذلك لفصل فعلاً، لأنهم لم يحدوا فيه ما يسوع تلك الحملة بظلمة على علماء عربية، ولم يحدوا فيه ما يؤكد رعم المؤلف من أن الإعراب قصة محلفة وقد كُتبت أحدث في مصر ما حاول المؤلف إثباته في (قصة الإعراب)، واتضح للناس أن أقول بعدم أصالة إعراب في العربية دعوى لا دليل عليها، ولا تنص مع أصول البحث لعلمي الجاد

وسم تعد قصة الإعراب في اللغة العربية بحاجة إلى مزيد سان في نظر اسحث العلمي الأصيل بعد ما كُتبت من أحدث في تأكيد أصالته، لولا أن رسم المصحف يمكن أن يقدم دليلاً أكيداً على أصالة الإعراب لا يقل في ميران السحث العلمي عن كل ما قدمه تلك الأبحاث، مما يبرر إعادة عرض بموضوع والحدث عنه من جديد

وكانت فكرة هذا البحث إحدى نتائج دراسة عن رسم المصحف، قدمتها إلى

= منه، ولصوره التي كان عليها في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، بين الفصحاء من أصحاب اللغة وعلى الرغم من هذا أقول فإن نتائج بحث الدكتور أيس التي حفظ لها يمكن أن نستخدم وسيله في هدم العربية المصحى

(١) من أسرار اللغة ص ٤

(٢) المصدر نفسه ص ٥

كلية دار العلوم^١، أثارت في نفسي فكرة الاستفادة من بعض ظواهر لرسم في تأكيد أصالة ظاهرة الإعراب، ولكن ذلك لم يتجاوز الإشارة لموجزة في خاتمة بحث^(٢) وقد طلت تلك الفكرة عاتقة في الدهر، والاهتمام بها يرداد من حين إلى آخر حتى تبلورت في شكل موضوع يمكن أن يعالج قضية من أهم قضايا اللغة العربية، وهي قضية الإعراب

ومن أجل أن يقف القارئ على خلاصة الموضوع عند علماء العربية لمتقدمين والدعويين المحدثين، ويصل ذلك بما يمكن أن يقدمه هذا البحث جعلت الموضوع في فصول

لفصل لأول ظاهرة الإعراب عند علماء العربية والدعويين المحدثين، وفيه مسحتان

الأول موقف علماء العربية

الثاني موقف الدعويين المحدثين

لفصل الثاني ظاهرة الإعراب في ضوء رسم المصحف

وفي ثلاثة مباحث

الأول تاريخ رسم المصحف وأهميته في دراسة ظاهرة الإعراب

الثاني دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحروف

ثالث دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحركات

(١) كان ذلك لبحث بعنوان (الرسم لمصحفي دراسة لغوية تاريخية)، وقدم إلى قسم (علم اللغة) بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، للحصول على شهادة الماجستير، وذلك في سنة ١٩٧٦، وقد طبع طبعين ١٩٨٢ و ٢٠٠٤ في دار عماد الأردن

(٢) نظر الرسم المصحفي ص ٥٨٢

الفصل الأول

ظاهرة الإعراب

عند علماء العربية واللغويين المحدثين

المبحث الأول

موقف علماء العربية

علماء العربية المتقدمون مجمعون على أن لإعراب أصيل في لغة العربة، هم يذُر في حلد واحد منهم التسؤل حول الإعراب من هذه الناحية، كيف وهم الذين سمعوا العرب يتكلمون على سجيتهم وطبعهم بلغة معربة، حين كانوا يخرجون إلى الساحة فيلتقون بالأعراب ويأحدون عنهم اللغة، ويدونونها في كتبهم^(١)

وكان علماء العربية قد احتضوا بعد ذلك في تعليل ظاهرة الإعراب، فمنهم من رأى أن حركات الإعراب دوالٌ على المعاني الدعوية، بها يتمير الفاعل من مفعول، والمضاف من المفعول إلح، وهو مذهب جمهور النحويين والدعويين ومنهم من رأى أن هذه الحركات تدخل الكلام تحميلاً على السات من انطق بكلمات ساكنة، وتوصلاً إلى إدراج الكلام، وهو مذهب قطرب وحده

(١) انظر أمثلة لذلك عند الحميد الشلقاني رواية اللغة ص ٦٩-٨٨ و ١٦٥-١٧٢

أم مذهب الجمهور فقد ذكره عبد الله بن مسلم بن قسرة، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وهو يتحدث عما امتارت به لغة العرب، فقال «ولها الإعراب لدي جمعه الله شيئاً بكلامها، وحلية لطامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين لمتكافئ، والمعيش المحتلفين، كالفاعل والمفعول، لا تُفَرَّقُ بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا الإعراب، ولو أن قنلاً قال هذا قاتلٌ أحي، بالتسوية، وقال آخر هذا قاتلٌ أحي بالإضافة لدلّ بالتسوية على أنه لم يقله، ودلّ حذف السوين على أنه قد قتله أهما ترى الإعراب كيف فَرَّقَ بين هذين المعنيين»^(١)

وتحدث عن هذا المذهب، وفصل الكلام فيه، أبو القاسم الرُّخَّاحِيُّ، المتوفى سنة ٣٣٧هـ، في كتابه «الإيضاح في علل النحو»، ومما قاله في ذلك «إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة، ومصروفة، إلها، ولم تكن في صورها وأ نسبتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، فجعلت حركات الإعراب فيها سبباً عن هذه المعاني، فقلوا صرّت زيدٌ عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، ونصب عمرو على أن الفعل واقع به وقلوا صرّت زيدٌ، بتعبير أول، الفعل ورفع زيد على أن الفعل ما لم يُسمَّ فعله، وأن المفعول قد مات ماته وقلوا هذا علامة زيد، فدلوا بحذف زيد على إصفه العلامة به وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم ويهدمو الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني هذا قول جميع الحويين إلا قُطْرُباً، فإنه عاب عليهم هذا لاعتلال»^(٢)

وذكر أبو الحسين أحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥هـ هذا المعنى في أكثر من موضع من كتابه «الصحاح في فقه اللغة»، ومما قاله في ذلك^(٣) «من

(١) تأويل مشكل النمر ص ١٤

(٢) لإيضاح ص ٦٩-٧١، ونظر السيوطي الأشباه والنظائر ١، ٧٨، ٧٩

(٣) لصاحي ص ٧٦، ونظر ص ٥٥ ونظر السيوطي كلام ابن فارس في كتابه المرمر =

العلوم الجلييلة التي احتضنت بها العرب .. الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرفُ الخبرُ الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيزَ فاعلٌ من مفعول، ولا مضافٌ من مفعول، ولا تَعَجُّتُ من استفهام، ولا صدرٌ من مصدر، ولا نعتٌ من تأكيد»

وفان اس فارس أيضاً^(١) «فأما الإعراب فيه تُمَيِّزُ المعاني ويوقفُ على أعراس المتكلمين وذلك أب قثلاً لو قال (ما أحسن ريد) غير معرب، أو (صرت عمرو ريد) غير معرب لم يوقف على مراده فإذا قال (ما أحسن ريداً) أو (ما أحسن ريداً) أو (ما أحسن ريداً) أنا أن دل الإعراب عن المعنى الذي أرده ويلعب في ذلك ما ليس لغيره، فهم يفرقون بالحركات وغيروها بين المعاني»

أما محمد بن المستنير الملقب بقطرب، المتوفى سنة ٢٠٦هـ، فإنه قد انفراد برأيه في تفسير طاهرة الإعراب، ولم يتابعه عليه أحد من اللغويين والنحويين المتقدمين، فيما أعدم، ولم يطلع الدارسون على رأي قطرب إلا من خلال ما بهه أبو بقسم لرحاحي في كتاب «الإبصار» فقد قال، بعد أن ذكر رأي جمهور النحويين في كون الحركات الإعرابية دوال على المعاني^(٢) «هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً، فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال، وقال سم يُعرف الكلام بدلاله على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض، لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في إعراب محلقة في المعاني، وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني، فمما اتفق إعرابه واحتلف معناه قولك إن ريداً أحوك، ولعل ريداً أحوك، وكأن ريداً أحوك، اتفق إعرابه واحتلف معناه، ومما احتلف إعرابه واتفق معناه قولك ما ريداً قائماً، وما ريداً قائماً، احتلف إعرابه واتفق معناه، ومثله ما رأيته مد يومين، ومد يومين ولا مال عندك، ولا مال عندك وما في الدار أحدٌ إلا ريداً، وما في الدار أحدٌ إلا ريداً ومثله إن القوم كلهم داهبون، وإن

= ١ ٣٢٧ ٣٢٩

(١) النصاحي ص ٣٠٩

(٢) الإبصار ص ٧٠ ٧١، وانظر اسيوطي الأسماء والنظائر ٧٩/١

يقوم كلهم داهبون ومثله ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران] وإن الأمر كله لله) فُرىء بالوجهين جميعاً^(١) ومثله ليس ريدٌ نجسان ولا نجس، ولا نجلاً ومثل هذا كثير جداً، مما اتفق إعرابه واحتلف معناه، ومما اختلف إعرابه واتفق معناه قال: فلو كان الإعراب إما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوحظ أن يكون لكل معنى، عرت بدل عليه ولا يرول برواله

«قال قطرب وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يدرمه اسكون لوقوف، فلو جعلوا وصيه دلسكون أيضاً لكان يدرمه الإسكان في الوقف وتوصل، وكانوا يُنطنون عن الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان، يعتدل الكلام، ألا تراهم سوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم في اجتماع الساكنين يُنطنون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجبون، وتذهب المهنة في كلامهم، فجعلوا لحركة عقب الإسكان

«قبل به فهلاً لرموا حركة واحدة، لأنها مُجرئة لهم، إذ كان العرص إما هو حركة تعتقب سكوناً؟ فقال لو فعلوا ذلك لصيقوا على أنفسهم، فأرادوا الاتباع في الحركات وألا يحطروا على امتكلم الكلام إلا بحركة واحدة»

«هد مذهب قطرب واحتججه وقال المحاللون له رداً عليه لو كان كما رعم بحار حصص الفاعل مرة، ورفع أخرى ونصه، وحاز نصب المصنف إليه، لأن القصد في هذا إما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام، وأي حركة أتى بها لمتكلم أجزأته فهو محير في ذلك وهذا فساد للكلام، وحروح عن أوصاع العرب وحكمة نظام كلامهم»

ودكر أبو البقاء العسكري، المتوفى سنة ٦١٦هـ، مذهبي علماء العرسة في دلالة

(١) قرأ أبو عمرو بن العلاء (كله لله) برفع اللام، والباقيون نصبها (انظر الديلمي التيسير

الحركات الإعرابية، فقد^(١) «الإعراب دخل الكلام ليهرق بين المعدي من الفاعلية والمفعولية والإضافة ونحو ذلك، قال قطرب، واسمه محمد بن مستير سم يدحه لعله، وإنما دخل تحضفاً على «سار»

وقد ورد في (انكتاب) لسيويه رأيٌ لتحليل بن أحمد في حركات ستة الكلمة، فقد ذكر سيويه في آخر بابي (حروف الروائد) و(حروف البدل) هذه العبارة «ورغم تحليل أن الفتحة والكسرة والصمة روائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به والباء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، والفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والصمة من الواو فكل واحدة شيء مما ذكرت لك»^(٢)

وكلام تحليل هـ لا يتعلق فيما أرجح - بحركات أواخر الكلمات، وإنما هو عن حركات سية الكلمة، والفتحات مثلاً في (كُتِبَ) روائد على بناء الكلمة الذي هو في رأي تحليل لحروف الثلاثة (ك ت ب)، كما أن الألف في (كانت) رائدة على بناء الكلمة وكذلك الصمة والكسرة في (كُتِبَ) روائد، كما تراد الواو في مثل (مكتوب) و(ياء في مثل (كريم)

ولدي شعبي أحمل كلام التحليل على هذا الوجه، دون الحركات الإعرابية كما يذهب بعض لمحدثين^(٣)، هو أن سيويه ذكره بعد أن يحدث عن الحروف لروائد في ستة الكلمة العربية، وأردف كلامه بقول التحليل، ليشير إلى أنه يحلل حركات ستة الكلمة روائد أيضاً مثل الحروف الروائد، لا سيما أن الفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والصمة من الواو، وهي من حروف الزيادة

على أن ذلك لا يسمع من أن يكون قطرب قد استعد من رأي التحليل في حركات سية الكلمة، وأنهر «يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به»، خاصة أن

(١) مسائل خلافية في النحو ص ٩٥

(٢) لكتاب ٤ ٢٤١ ٢٤٢

(٣) نظر إبراهيم أبيس من أسرار اللغة ص ٢٣٧، ومحمد الأطاكي الوجيز في لغة اللغة

ص ٢٩٦، ودود صده أبحاث في اللغة العربية ص ٩٨

قطرًا استشهد بطريقة ساء الكلمة العربية على متحرك وساكن، ومحرك وساكن، سأكيد وجهة نظره في أن حركات الإعراب تلحق أواخر الكلمات لتسهيل عملية اسطق، حتى لا تُطَيء المتكلم أو يتعثر بسبب تتابع الحروف الساكنة

ولعل القارىء يدرك نوصوح أن قطرًا لم يكن في رأيه يتحدث عن أصله الإعراب أو عدمها، وإنما هو يتحدث عن تفسير للطاهرة وتعليلها، فدم يشك قطر في أن الإعراب جزء من نظم العربية، ولم يدَّع أن لنحويين هم الذين اخترعوه، كما يحاول بعض اللعويين المعاصرين أن يسب ذلك لقطر، تدعيمًا لرأيه لمكر العرب في الإعراب.

وينصح مما تقدم أن أحدًا من علماء العربية لم يشك في أصله الإعراب، أو أنه جزء من نظام العربية، والسبب في ذلك طاهر، وهو أن علماء العربية، خاصة متقدمين منهم، سمعوا لعرب «يُحْصَرُ يتكلمون هذه اللغة معربةً قبل أن يُدَوِّنُوا نصوصها وَيُفَعِّلُوا قواعدها ولم يكن علماء العربية من البلادة أو العمه بحيث تحفى عليهم معالم هذه الظاهرة

والحركات الإعرابية إذن جزء من نظام اللغة العربية، وعصر حوهرى فيها، لم يحذف في ذلك علماء العربية، ولكنهم على عادتهم في البحث عن لعل حثفوا في سبب اندي جعل العرب يُلْحَقُونَ هذه الحركات في أواخر الكلم، ويُحذفون بينها بحسب مواقعها في الجمل، أو عبارة أخرى احتلفوا في لوظيفة اللعوية التي تؤديها الحركات الإعرابية، فذهب أكثرهم إلى أن حركات الإعراب دوار على المعنى النحوية، وذهب قطر وحده إلى أنها تدخل الكلام لتسهيل عملية اسطق، وسوء ترجح هذا القول أو ذلك فإن هذا لاختلاف في تعليل الظاهرة لا يعي أنداء الشك في وجودها

ويسعي أن تُفَرَّق شكل واضح بين القول بأصالة الإعراب وأنه جزء من نظم اللغة العربية وبين الاختلاف في تعليل وجود الحركات الإعرابية في أواخر الكلمات وتغيرها بحسب العوامل، فإن بعض البحوث التي كُتِبَتْ حول الإعراب

خلط بين هاتين القصصيتين، مما يؤدي إلى اللبس في عرض الحقائق، واختلاف
علماء العربية في تعليل مجيء الحركات الإعرابية لا يعني أدنى أن هذه الحركات
ليست أصلية في كلام العرب - في رأيهم - وإنما هو تعليل لاحق لتأريخ وجود
ظاهرة، فيترجح لدى بعض العلماء غير ما يترجح لدى الآخرين، ولا يمدح
ذلك في أصالة الإعراب، مثلاً لا يعني الاختلاف في تعليل أي ظاهرة لغوية
شك في وجوده.

وقد نقل أبو القاسم الزجاجي كلمة عن الحليل بن أحمد، تُعبر عما نحن
نصده، قال: "وذكر بعض شيوخنا أن الحليل بن أحمد، رحمه الله، مثل عن
نعل أني يغتزل بها في البحر، فقيل له: عن العرب أحدثها أم اخترعتها من
نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيته وطباعها، وعرفوا مواقع كلامها،
وقام في عقولها علمه، وإن لم ينقل عنها، واعتللت أن بما عندي أنه علة لما
عليه به، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس، وإن نكن هناك عنه به
فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً مُحكمة الساء، عجيبة نظم ولأقسام،
وقد صحت عنده حكمة نبيه، بالخبر لصادق أو بالراهب الوصحة والصحح
اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا
هكذا لعل كذا وكذا، ونسب كذا وكذا فجاء أن يكون الحكم النابي بدار
فعل ذلك لعل لتي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وحائر أن يكون معه لغير ذلك
سنة فإن سح لغيري علة لما علمته من البحر هو أليق مما ذكرته بالمعلول
فلبأت به «

المبحث الثاني

موقف اللغويين المحدثين

شجعت دراسات اللغوية العربية من حديد مد أواخر القرن الماضي، بعد طُبع كثير من الكتب العربية القديمة، وسارت الحركة اللغوية ستهدي بما كتبه علماء السلف في علوم العربية، وفتح الاتصال ساح المستشرقين العلمي، سواء بالاطلاع على ما برحم من أبحاثهم أم بالرحلة إلى أوروبا للدراسة في معاهدهم وقراءه أبحاثهم بلعنها الأصلية آفاقاً جديدة من البحث اللغوي، كانت تتعاون من لرحمة و لاقناس ل مباشر لآراء المستشرقين، وبين الاستفادة مما توصلوا إليه من نتائج عدمية صحيحة في أبحاثهم لغوية

وكان بعض مستشرقين قد تشكك في أصله لإعراب في اللغة العربية، كما ذكرنا في أول هذا البحث، وبمعكس هذا التشكك على أبحاث بعض اللغويين العرب المحدثين، فكان منهم من دافع عن أصالة الإعراب، وأورد الأدلة لتأريحية وبعوية تي تؤكد على أنه جزء من نظم العربية، ومظهر من أهم مظاهره، وفي مقدمة هؤلاء الدكتور عدي عبد الواحد وافي في كتابه "لغة اللغة" (١)

وكان من اللغويين العرب المحدثين من أعجبه بركة اسحبب و لاقتان محدثة النظريات، فسي ذلك رأي المسكر في الإعراب، وراح يتصيد الشوارد والشواد من تأريخ العربية الواسع ل يظهر محاولته في صورة بحث انعمي، المستند على لأدلة والشواهد، وكان حامل لواء هذه الطائفة، وربما بمفرد في ميدانها، هو الدكتور إبراهيم أبيس، الذي جعل من الإعراب قصة مصطعة، ورواية محتلفة،

(١) انظر منه اسمه ص ٢١٠-٢١٦

وسبب إلى لحنويين من علماء العربية أكبر حادثة تروير في التاريخ اللعوي، وهم
منها براء

وكانت محاولة الدكتور إبراهيم أنيس في تأكيد رأي بعض المستشرقين في
ظاهرة الإعراب سبباً في ظهور أبحاث كثيرة في دراسة هذا الموضوع، ولكن
معظم الذين كتبوا عن الإعراب كانت وجهتهم عكس وجهته، بل إن معظمهم
سعى إلى نقص الأدلة التي سب عليها رأيه الموهوم^(١)

ويستهل الدكتور إبراهيم أنيس بحثه في كتابه «من أسرار اللغة» بقوله «قصة
الإعراب ما أروعها قصة» لقد استمدت حيوطها من طوهر لعويه متأثرة بين فائل
الحريرة بعربية، ثم حنكت وتتم نسخها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول
الهجري، أو أوائل الثاني، على يد قوم من صنّاع الكلام، شاؤ وعاشوا معظم
حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح
الإعراب حصاً مبيعاً، امتنع حتى على الكتاب والمحطباء والشعراء من فصحاء
العربية، وشق افتتاحه إلا على قوم سُموا فيما بعد بالحناة^(٢)

ويتحدث عن نمو نفوذ الحناء على مرور الأيام، ثم يقول «وبرى من كل هذا
أن الحناء حين ستمرت لهم قواعدهم الإعرابية فرضوها على الفصحاء من
لعرب، وفرضوها على الفحول من الشعراء، ثم فرضوها في آخر الأمر على
أصحاب انقراءات، فمن أين أتى لهم كل هذا السلطان؟ لا بدري، إلا أن يقول

(١) حل أشهر من درس الموضوع من المحدثين هم علي عبد الواحد فقه اللغة ص ٢١٠
٢١٦ وإبراهيم مصطفى إحياء النحو ص ٢٢ ١١٣ ومهدي المحرومي مدرسة الكوفة
ص ٣٤٣ ٢٥٩ وصحفي النصالح دراسات في فقه اللغة ص ١١٧ ١٤٠ وإبراهيم
السامرائي فقه اللغة المقارن ص ١١٧ ١٢٤ ومحمد الأنطاكي الوجيز في فقه اللغة
ص ٢٩٥ - ٣١٣ وفؤاد تروير في أصول اللغة والنحو ص ١٧٧ ١٩٣ ودود عبده
أبحاث في اللغة العربية ص ٩٧ - ١٢٩ وحليل يحيى نامي دراسات في اللغة لعربية
ص ١٥ ٢٥ ورمضان عبد لتواب فصول في فقه العربية ص ٣٢٧ ٣٥١

(٢) من أسرار اللغة ص ١٩٨

إن تلك بقواعد لإعرابية دعم وجود أسس لها في لغة العرب، فد سقها السحة
سيفاً حديثاً فيه من قياسهم وسكارهم قذراً غير قليل، وإن تلك الأصول
لإعرابية قد مدت لباس في صورة علم جديد أو اختراع حديث، من أنقها مهم
باب الخطوة عند أولئك لنقاد لغة أصحاب بحو، وارتفع نفسه عن مستوى
لعامة إلى مستوى الخاصة من الناس، وهكذا أصبح الإعراب شعار العصر أيام
الرشيد ولأمم، وفي تلك لعصور الإسلامية الراهرة، ومرب الأيام على تلك
الأصول الإعرابية ورداد رسوخاً، وأصحت تحل من نفوس المتعلمين مكان
التقديس والعبادة»^(١)

ويتساءل في المبحث الثاني من الموضوع (هل للإعراب أثر ناكية؟) ويقول
«بدأنا اسحت باستعراض اللغات السامية، لهذا نطفر فيها بأثر واضح لظاهره
لإعراب، فلم نثر في السريانية على شيء، ثم لم نثر في العبرية، لا على عدد
من الكلمات التي ستهي تلك الهاء التي تدل على لاتجاه أما الأرمية ولا
إعراب فيها ولا أثر للإعراب»^(٢) ولكنه في بحثه عن آثار الإعراب البقية في
اللغات سامية لم يعرض للإعراب في الأكديّة وحثية ولأوجاريتية، مع أن
هذه لغات ثلاث من أهم للغات السامية في موضوع الإعراب»^(٣)

ويعد أن يوارن بين الإعراب في العربية وبين ما يشبه الإعراب في اللاتينية
يقول «وقد اتجهت في تفسير طاهره الإعراب إلى رأي جديد له ما يدعمه من
نصوص اللغة ومن روايات قديمه، ولا يمس هذا رأي جوهر اللغة في قليل أو
كثير، فلا يحتل به المعاني، ولا تتغير الصبغ والأساليب، ولكنه يفسر لك تلك
لظاهرة تفسيراً عميقاً مؤسساً على المطريات الصوتية المحدثه، ومسحماً مع ما

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٩

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٢

(٣) نطر إبراهيم لسامرائي هذه اللغة للمعارن ص ١١٨-١١٩، ورمضان على سواب

فصول في هذه العربية ص ٢٢٩ ٣٣

نراه في اللهجات العربية الحديثة التي ليست إلا تطوراً للهجات القديمة^(١)

وتتلخص نظرية الدكتور إبراهيم أبيس الحديثة حول الإعراب في لآبي^(٢)

١ ليس لحركة الإعرابية مدلول، فلا تدل الحركات الإعرابية على فعلية أو مفعولية أو إصافه أو غير ذلك

٢ هذه الحركات لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير العال بوصول الكلمات بعضها بعض، بمعنى أنها حركات لتلخص من التقاء الساكنين، عند وصل الكلام، وأن معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد من هذه الحركات، وبما من موقع كل من الفاعل والمفعول في الجملة العربية

٣ هناك عاملان مدخلا في تحديد حركة التلخص من التقاء الساكنين، أولهما إثارة بعض الحروف لحركة معينة، كإثارة حروف الخلق للفتحة مثلاً، وثانيهما الميل إلى نجس الحركات المتجاورة

٤ سمع السامع لقدماء هذه الحركات، فأخطأوا تفسيرها، حين عدوها علامات على الفاعلية والمفعولية وغيرها، في حين أنها لا تعدو أن تكون حركات وصل بين الكلمات

٥ وحين اعتقد السامع أنها حركات إعرابية، حركوا أواخر الكلمات التي لا دعي إلى تحريكها، لتطرد قواعدهم، فقالوا مثلاً (الرجل قائم) بصم اللام من (الرجل) وكان يكفي أن يقرأ (لرجل قائم) بتسكين اللام، إذ لا توجد ضرورة بدعو إلى تحريكها

٦ الحالات التي ليس فيها ما يدعو إلى تحريك الآخر جاءت في النثر والشعر على السواء، ولا يؤثر ذلك على وزن الشعر من الناحية الدوفية، وإن كان مخالف ما يشترطه العروضيون في بعض الأحيان

(١) من أسرار اللغة ص ٢١٩

(٢) انظر رمضان عبد الوهاب قصود في فهم العربية ص ٢٣٠ ٣٣٢

٦ أم المُعْرَظُ بالحروف فكانت إحدى صوره تحصى قبيلة معينة، والصور الأخرى تحصى قذائل أخرى، ولكن الحاجة جمعوا كل هذه الصور، وحصوا كل صورة منها بحالة إعرابية معينة، فهو يفترض مثلاً أن هناك قذائل عربية كانت تنطق المشى بالياء في جميع الحالات، ثم تطورت هذه الياء فصارت ألفاً عند بعض القذائل في جميع الحالات، ولم يفهم النحويون سر الموصوع، وجمعوا بين الصورتين، وحصوا الأولى بحالتي النصب والجر، كما حصوا الثانية بحالة الرفع^(١)

تلك هي خلاصة نظرية الدكتور إبراهيم أنيس، وهي تعني بوضوح أن اللغة العربية قبل عصر أوائل الحاجة لم يكن فيها ما نجده الآن من مظاهر الإعراب بالحركات الصمة والكسرة والفتحة، ولإعراب بالحروف في باب المشى وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة والأفعال الخمسة، وربما كانت هناك حركات تستعمل في غير أطراد في أواخر بعض الكلمات توصلها إلى سهولة النطق، وكان هناك نظام لدى بعض القذائل في استخدام حرف معين فيما صار يعرب بالحروف، يحالف ما تليزمه القذائل الأخرى وحين جاء الحاجة خلطوا، من غير وعي، تلك الظواهر اللغوية، وأضافوا إليها من أقيستهم لمطابقة، ثم خرجوا إلى الناس بذلك نظام المعقد، الذي صار جزءاً أساسياً من نظام اللغة العربية

وهذه النظرية لا تؤيدها الحقائق العلمية ولا الشواهد التاريخية، ومن ثم كانت عريضة اللغويين المعاصرين الذين درسوا الموصوع^(٢) وتبينوا الأدلة والشواهد التي رددتها اللغويون المحدثون تلك النظرية، وأكدوا من خلالها على أصانة لإعراب في اللغة العربية فيما يأتي^(٣)

(١) انظر تفصيل من أسرار اللغة ص ١٩٨-٢٧٤

(٢) دفع عن بعض حوسها فؤاد حنا نوري في أصول لغة والنحو ص ١٨٧-١٩٣،

ودود عبده أبحاث في اللغة العربية ص ١٢٧-١٢٨

(٣) انظر التفصيل عند رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية ص ٣٣٨-٣٤٧

أولاً وحوود لإعراب كاملاً في بعض اللغات السامية القديمة، كالأكدية وتشمل الدعنين الساللية والآشورية في عصورهم القديمة، وحوود حالات إعرابية في بعض اللغات السامية لأخرى كالأوهاريتية ولحشية وغيرهما

ثانياً، القرآن الكريم الذي وصل إلينا متواتراً بالرواية الشفهية لموثوق بها، حلاً بعد حيل، وصل إلينا مُعَرَّباً، وهو أكبر دليل على أصالة الإعراب في اللغة العربية

ثالثاً الرسم «قراني»، الذي نُقِلَ إلينا متواتراً يؤيد وحوود الإعراب في العربية الفصحى، وأنه ليس من اختراع «نحاة»، خاصة في حالة المنصوب «المبور» ومعرب بالحروف وكان قد أشار إلى هذه الناحية الدكتور علي عبد الواحد وفي كتابه «فقه لغة» إشارة موجزة^١

رابعاً شعر العربي بمواريه وبحوره لا يقل نظريه الدكتور إبراهيم أيس بحال من لأحوال

خامساً الأحبار نكثيره التي وصل إلينا، والتي تدل على فطنة لعلماء في صدر لأور إلى هذه بحركات لإعرابية ومدلولها، وعينهم من بحيدُ عنها ممن فسدت ألسنتهم بمخالطتهم بالأعاجم

(١) قال (ص ٢١٥) «وال في رسم المصحف العثماني نفسه مع تحرده من الإعجم ولشكول = لدينلاً على فساد هذا المذهب، وددت أن المصحف العثماني يرمر إلى كثير من علامات الإعراب بالحروف (لمؤمنون، المؤمنين) وعلامة إعراب المنصوب لمبور (مسولاً، بصيراً) وهلم جرا ولا شك في أن المصحف العثماني قد دُوِّن في عصر سابق بأميد غير قصير بعهد عماء البصرة والكوفة الذين تُنسب إليهم هذه المذهب بفسدة اختراع قواعد الإعراب» وانظر رمضاد عبد نواب فصول في فقه لغويته ص ٣٤٢

سادساً كان العلماء في القرون الهجرية الأولى يسمعون الإعراب بكل دقائقه من الأعراب الذين كانوا يلقبونهم على نحو ما تصور تلك الأحرار المقولة عن العويين المتقدمين.

وبعد هذا انعرض الموجر لتدريج قصبة الإعراب عند القدماء والمعاصرين ستقل إلى جانب الآخر من البحث، وهو دراسة ظاهرة الإعراب من خلال رسم المصحف، وبيان ما يمكن أن يقدمه رسم المصحف في تأكيد أصالة الإعراب في اللغة العربية وهي تلك المراعم لاطلة التي تسيب إلى العويين احترامه

الفصل الثاني

ظاهرة الإعراب في ضوء رسم المصحف

المبحث الأول

تاريخ رسم المصحف

وأهميته في دراسة ظاهرة الإعراب

رسم المصحف يعني طريقة كتابة كلمات القرآن في المصاحف، من حيث عدد الحروف ونوعها، لا من حيث شكل الخط وجماليته، ورسم المصحف أحد علوم القرآن التي حظيت بعناية واهتمام علماء السلف، فكتبوا فيه كتباً كثيرة مدونة تدوين العلوم الإسلامية، كان لها أكبر الأثر في المحافظة على طريقة كتابة للكلمات في المصاحف، حتى وقتنا الحاضر

وتراجع صور الكلمات في رسم المصحف إلى سنوات خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على أقل تقدير، فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بكتابه القرآن على ما تيسر لهم من قطع وألواح، وقد «قُبِضَ النبي ﷺ ولم يكن القرآن جُمع في شيء، وإنما كان في الكرايف والعصب»، كما قال الإمام محمد بن شهاب الزهري^(١) «وَجُمِعَتْ تِلْكَ لِقَطَعِ الْمَتَرَفَةِ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ فِي صَحْفِ مِطْطَمَةٍ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ الْحَشْبَةِ مِنْ صَبْعِ شَيْءٍ

(١) انظر لطفي جامع السام ٢٨١، واسيوطي الإنقاذ ١٦٤/١ والكرايف والعصب هي أصوار سبع النحل، وهي بعض ما كان القرآن يكتب عليه في ذلك الوقت

من انقر - بموت حفظته أو تلف بعض ما كُتِبَ عليه^(١)

وفي حدود سنة خمس وعشرين من الهجرة أمر بحبسه الرشيد عثمان بن عفان رضي الله عنه أربعة من الصحابة، وهم زيد بن ثابت، كاتب النوحى للنبي ﷺ الذي قام بجمع القرآن في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أمرهم بانتساح عدة نسخ من لصفف التي كان القرآن حُجِعَ فيها هي خلافة بصديق رضي الله عنه -، ثم أرسل إلى كل مصر من لأمصار للإسلامية نسخة مما نسخوا، وأمر بإحراق ما سوى ذلك من صفف أو مصحف، وصار مسممون بنسخون مصحف لهم من تلك السخ التي أرسلت من حديده^(٢) وتوحدت بذلك المصاحف التي بأيدي المسممين، سواء أكان ذلك في انترنب أم كان في رسم الكلمات مد ذلك تريح إلى الوقت لحاصر

وقد صدرت طريقة كتبة الكلمات في المصاحف لتي أمر عثمان رضي الله عنه بانتساحها ونوريها على الأمصار مما يحرص المسلمون على الالتزام به والمحافظة عليه، وظهر في أوائل عصر التدوين علماء درسوا المصاحف، بكمار بعنقة نتي أرسلت من المدينة في خلافة عثمان، وألف علماء كل مصر رسائل وكتباً في وصف طريقة رسم الكلمات في تلك المصاحف، ولا يرب الكثير من تلك الكتب موحوداً إلى رماسا يحكي صورة الكتبة العربية في أوائل القرن الهجري الأول، فل أب يظهر علماء العربية، ويقعدوا قواعد للغة، فكانت الكتابة ائذاك لا تحصح لفوع مدونة بقدر ما تستجيب لتقاليد كتابة موروثه، ولرهافة حس الكاتب وهو يحاول بمثل الصور الطبقة للكلمات بقدر ما تسمح له طبيعه بكتابه

(١) انظر لتصيل البحري لجمع الصحيح ٨٩/٦-٩٠، ولركشي البرهان ١/٢٣٣، والسيوطي الانتقاد ١/١٦٥

(٢) انظر البحري لجمع الصحيح ٢٢٦/٦، ولركشي البرهان ١/٢٣٦، والسيوطي الانتقاد ١/١٦٩

ومما يميز الكتابة العربية في الفترة التي ظهر فيها الإسلام أنها كانت حالية من علامات الحركات ومن نقط الإعجام المعبرة للحروف المتشابهة في الشكل^(١) وقد كُتِبَت المصاحف الأولى على ذلك النحو مجردة من علامات الحركات ولإعجام^(٢) ولم تمض إلا سنين قليلة حتى ابتكر أوائل علماء العربية طريقة لتمثيل الحركات في الكتابة، ابتدأها أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) بطريقة النقط المدورة الحمراء، ونقطة فوق الحرف للفتحة، ونقطة تحت الحرف للكسرة، ونقطة أمام الحرف للصمة، وللتوين نقطتان^(٣) ثم جاء التحليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) بطريقة الحروف الصغيرة التي لا يرال يستخدمها إلى وقفا بحاصر^(٤) وفي الفترة بين عصر أبي الأسود وبين عصر تحليل بن نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ)، ويحيى بن يعمر (ت قبل ٩٠هـ) البصريان طريقة إعجام الحروف المتشابهة في الصورة بواسطة النقط، التي لا يرال يستخدمها إلى اليوم في الكتابة العربية^(٥)

والذي يهمنا في هذا البحث هو رسم المصحف قبل أن تصف إليه علامات الحركات ونقط الإعجام، والذي يسمى أحياناً بالرسم العثماني، سنة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنه هو الذي أمر بسج المصاحف التي حافظ المسلمون على رسمها، لأنها تمثل نص القرآن الكريم الذي تلقاه بصحابة عن رسول الله ﷺ فلا مجال لأي تعبير في طريقة رسم الكلمات خشية أن يؤدي ذلك إلى تحريف في النص القرآني، ولم تؤثر إضافة علامات الحركات ونقاط الإعجام إلى رسم المصحف على طريقة كتابة الكلمات فقد ظل الهيكل العام

(١) انظر جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٧١/٧ ٢٧٨

(٢) انظر لداني المحكم ص ١٠، والسيوطي الإتقان ١٦٠/٤

(٣) لداني لمحكم ص ٦، والبراهي أحبار الحويز البصريين ص ٦١، وابن السكيت المهرج ص ٤٠

(٤) لداني لمحكم ص ١١، والسيوطي الإتقان ١٦٩/٤

(٥) لمكزي شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٣، وحمزة بن الحسن الأصمهازي تشبيه على حدوث لتصحيف ص ٢٧

رسم الكلمة كما هو، وأضيفت العلامات أسفل الحرف أو أعلاه، من غير أن يُمسَّ لشكل الهم لرسم الكلمة بأدنى تغيير

وهذا ما يدعو إلى الثقة بوصف العلماء لرسم المصاحف الأولى القديمة، فدينا شوهد تاريخية تدل على مقدار التحري والدقة في وصف طريقه رسم الكلمات في تلك مصاحف، فهو نظرياً في كتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصحف أهل لأمصار) للحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، وهو من أجل الكتب لمؤلفة في هذا الموضوع، لوجوده يذكر دائماً بمحضر العلماء للمصاحف القديمة للوقوف على رسم للكلمات فيها، ومحاولة هو التأكد مما ينقله من وصف العلماء بالنظر في مصاحف الأمصار القديمة الموحودة في مائه، من مثل قوله «قرب أبو عمرو ورأيت أكثر مصحف أهل المدينة والعراق قد سقطت على حذف الألف»^(١) وقوله «وقد تسعت ذلك في مصحف أهل العراق رأيته لا يختلف في رسم ذلك كذلك» ومثل قوله «حدثنا أبو عبيد قرب (على) و(لدى) و(إلى) كُتِبَ جميعاً بالياء وأما (حتى) والجمهور الأعظم بالياء ورأيتها في بعض مصاحف بالألف قال أبو عمرو وقد رأيته أنا في مصحف قديم كذلك بالألف، ولا عمل على ذلك، لمخالفة الإمام ومصحف الأمصار»^(٢)

وقد حفظ الحظاظون حيلاً بعد حيل إلى حد كبير على صور الكلمات في المصاحف، سواء أوافقت القواعد الإملائية التي نظمها علماء العربية أم لم توفقها قال الداني في كنية المقنع «سئل مالك رحمه الله هل يكتب بمصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء، فقال لا، إلا على الكثرة الأولى قال أبو عمرو ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة»^(٣) وسئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل لواو والألف، أترى أن تعير من المصحف إذ وجدت فيه

(١) المقنع ص ٢٥

(٢) المقنع ص ٦٥، ونظر أيضاً ص ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٢٣

(٣) المقنع ص ٩ و ١٠

كذلك؟ قد لا فإن أبو عمرو، يعني الودود و لألف الراشدين في الرسم لمعنى،
المعدومين في اللفظ^(١)

أما أهمية رسم المصحف في دراسة ظاهرة الإعراب فتكمن في خاصية من أهم
خواص كتابه، وهي أن الكتابات عموماً أول تطور من اللغة المطبوعة، فتحتفظ
الكتاب بصور أشكال نطقه قد رالت من الاستخدام المعلي وقد قال اللعوي
نهرسي فندريس «إن السب الأساسي لأزمات الرسم ينحصر في استحانة
مسيرة رسم لحركة اللفظة»^(٢) وقال الدكتور علي عبد الواحد وافي «إن جمود
الرسم على حاله، القديمة يفيد الباحث في، دعات أكر فائدة، فهو يعرض له
صوره صحيحه لأصور الكلمات ويقيفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم
عصور اللفظة، والرسم للألفاظ أشبه شيء من هذه الدحية بالمتحف للآثار»^(٣)

فالنظر إلى رسم المصحف في صورته القديمة لمجردة من لعلامات، وتأمل
أشكال رسم بعض كلمات سوف يجده بقارئ مفيداً في ما نحن بصدده
حديث عنه من الدلالة على أصالة الإعراب في اللغة العربية وأنه كان موجوداً
قبل عصر أوائل النحاة، وأنه ليس من اختراعهم

وأهم نقطة في الموضوع هنا هي أن صور الكلمات في رسم المصحف سابقه
عصر النحاه، وأنها كتبت بأيدي الصحابة في وقت لم تكن الكتب قد دُوِّنت،
فبقراء هو أول كتاب عرفه عربية، ولم تكن اللغة قد درست ووُضعت
قواعده، ولم تكن قواعد الإملاء قد دُوِّنت ليسير عليها الكتاب، إذ كانت الكتابة
عربية أدت - في صورتها البسيطة الأولى - كانت تحصى هي أيدي
الكتاب لعاملين، لأول التمايل، نكتاتية الموروثة غير المدونة، والثاني
استحانة الكاتب للظواهر النطقية التي يريد تدوينها

(١) موقع ص ٢٨

(٢) لبعه ص ٤٠٨

(٣) عدم اللفظة ص ٢٧٨

وإذا كان رسم المصحف يُقدَّم لنا ما استدل به على وجود الإعراب في اللغة العربية، وقت مسح المصحف، كان ذلك أكبر دليل على بطلان نظرية اختراع الحويص للإعراب، لأن الرسم دليل مادي غير قابل للتزوير أو النرد، على ما سيجول بيانه في الصفحت التالية، إن شاء الله تعالى .

المبحث الثاني

دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحروف

وأصل الإعراب أن يكون بالحركات، فالرفع بالضمة، والنصب بالفتحة، والجزم بالكسرة، والجرم بالسكون، وتنبؤ الحروف عن الحركات، وينبؤ الحذف عن السكون، في بعض المواضع^(١)

وسوف أبدأ بالكلام على الإعراب بالحروف، وهو فرع من إعراب بالحركات لأن دلالة رسم المصحف عليه أظهر من دلالة على الإعراب بالحركات، والحركات لم تكن لها علامات في الرسم وقت كتابة المصاحف الأولى، والاستدلال بالرسم عليها يحتاج إلى بعض المقدمات

ويقرر لحنون أن الحروف تنبؤ عن الحركات في إعراب جمع المذكر السالم، والمثنى، والأسماء الخمسة، والأفعال الخمسة فجمع المذكر السالم يُرفع بالو، ويُصب بالياء، بعدهما النون المفتوحة، نحو أولح المسلمون، ورأيت المسلمين، ومررت بالمسلمين^(٢)

والمثنى يُرفع بالالف، ويُصب بالياء، بعدهما النون المكسورة، نحو هما الرحلان، ورأيت الرحلين، ومررت بالرجلين^(٣)

والأسماء الخمسة، وهي أب، وأخ، وحم، وهم، ودو بمعنى صاحب، ترفع بواو، وتنصب بالالف، وتجر بالياء، إذا أصفت إلى غير ياء المتكلم، وذلك

(١) انظر سيويه الكتاب ١ ١٣، وابن يعيش شرح المفصل ١ ٥١، وابن مالك تهليل انشوائه ص ٨

(٢) سيويه لكتاب ١ ١٨، ولسبويي جمع الهوامع ١ ٤٥،

(٣) سيويه لكتاب ١ ١٧ ١٨، ولسبويي جمع الهوامع ١ ٤٠،

قولك هذا أبوك، ورايت أنك، ومررت بأبيك وهلم حراً^(١)

والأفعال الخمسة، وهي ما كان على مثال تفعّلان ويفعلّان وتفعّلون ويفعلّون وتفعّلين، تُرفع شوت أنون وتُنصب وتُجرّم بحذفها، نحو هما يفعلان، ولم يفعلا، وس يفعلا وهم يفعلون، ولم يفعلوا، ولن يفعلوا وأنت تفعلين، ولم تفعلي، ولن تفعلي^(٢)

هذه قواعد الموحدة التي يقررها النحويون لها في كتب النحو تفصيل، وشواهد كثيرة، سنتعني بذكرها هناك عن إيرادها هنا لعدم حاجة البحث إلى تفصيلها، وبما أوجزنا ذكرها لنقف بعد ذلك على ما قال فيها أصحاب النظرية الحديثة، وما يُقدّمه لنا رسم المصحف بصدها

عند الدكتور إبراهيم أبيس في (قصة الإعراب) مبحثاً بعنوان (رأي في الإعراب بالحروف) قد فيه «فرع» الحاجة من تفسيرهم للنصب والكسر والفتح في أواخر الكلمات العربية، واضمأت موسهم لهذا التفسير، وسَمَّوْهُ «الإعراب بالحركات»، ثم عمدوا إلى تلك الكلمات ونصب التي لم يستطيعوا فيها تعبيراً أو تحويراً كما مشى وجمع بمدكر، باسم وما سمي بالأفعال الخمسة والأسماء الخمسة، فطَنُوا عليها أصولهم وقواعدهم، ولما رأوا أن للمشي صيغتين، وجمع المدكر اسماً صيغتين، ولكل من الأفعال الخمسة صيغتين، اتحدوا إحدى الصيغتين للرفع واتحدوا الأخرى لغير الرفع، وقرروا في كتبهم أن صيغة المشي (الرجلان) تستعمل في حالات الرفع، ولكن (الرحلين) في حالتَي النصب والجَر، وأن صيغة جمع (المسلمون) خاصة بحالات الرفع، ولكن (المسلمين) تستعمل في حادتي النصب والجَر، وأن صيغ الفعل (يكتبون، يكتبان، تكتبين إلخ) تستعمل في حالة رفع، ولكن (يكتبوا، يكتبان، تكتبين إلخ) خاصة بحالة النصب والجَر أم ما سمي بالأسماء الخمسة فقد رأوا لكن منها ثلاث صيغ، حصّوا إحداها

(١) ابن يعيش شرح المفصل ٥١/١، والسيوطي معجم الهوامع ٣٨/١

(٢) سبويه انكتاب ١٩ ٢٠، والسيوطي معجم الهوامع ٥١/١

بالرفع، والثانية بالجر، والثالثة بالنصب، وهي على الترتيب أحوك، أحيك، أحاك

غير أن تُفسَّر اختلاف الصيغ في هذه الكلمات تفسيراً آخر^(١)

وتفسير الدكتور إبراهيم أيسر يتلخص في قوله إن الصيغة الأصلية للمشي كانت تلك التي حصها النحاة بالنصب والجر، أي (الرحلين)، فهي التي كانت وحدها شائعة، فيما يظهر، في اللغة السامية الأولى، ثم أصابها تطور صوتي في فروع هذه اللغة، ولا شك في أن القبيلة الواحدة كانت تلتزم صيغة واحدة من صيغتي المشي، وأن النحاة حين همَّوا بوضع قواعدهم ووجدوا الصيغتين مورعتين بين القبائل، حصَّوا الصيغة التي بالالف لحالة الرفع، والصيغة الأخرى لحالتي النصب والجر^(٢)

ويقول عن جمع المذكر السالم وحد النحاة لهذا تجمع صيغتين أيضاً مورعتين بين القبائل، مهم من كانوا يؤثرون الصيغة التي بالو، نحو (مسلمون) في كل الحالات، وهؤلاء هم القبائل البدوية الذين رُمِّ لهم في الروايات القديمة باسم قبيلة (تميم)، والأخرون كانوا يؤثرون الصيغة التي بالياء نحو (مسلمين)، وهؤلاء سكنوا الحجاز ومهم قريش ثم حصَّ النحاة الصيغة الأولى بالرفع والصيغة الأخرى بحالتي النصب والجر^(٣)

ويقول عن الأفعال الخمسة لكل منها صيغتان أيضاً، إحداهما تنهي بالو، والأخرى قد سقطت منها هذه الـو ويقول عن الأسماء الخمسة يظهر أن كل قبيلة كانت تلتزم صيغة واحدة من صيغها الثلاث^(٤)

ويجتمه تفسيره بقوله «وهكذا يرى مما تقدم أن مسماء النحاة إعرافاً

(١) من أسرار اللغة ص ٢٧٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٠ ٢٧١

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٢

(٤) المصدر نفسه ص ٢٧٣

بالحروف لا يكاد يمت لحقيقة اللمعة بصلته، ولا يكاد يعدو - كما رأينا في عرصه سريع - أنه كان لبعض الكلمات لمعية أكثر من صورة في نهجته سامية، ولكن أصحاب النهج الواحد كانوا يلتزمون صورة واحدة، لا يحرفون عنها في كل حالات والمواضع^(١)

أرأيت أحيى الفارسي مبيع الجرأة في انهم علماء العربية في تزييف الحقيقة اللغوية، لأن الدكتور إبراهيم أيس يقرر «أن م سمة السحابة إعرافاً بالحروف لا يكاد يمت بحقيقة اللمعة بصلته»، وأن السحابة في رأيه سمعوا من كل قبيلة طريقة في نطق هذه الكلمات فمرحوا بينها، وجعلوا نطق كل قبيلة خاصة بحالة إعراف، فهو يصح هذا الرعم، وهل يصح ذلك التفسير؟

في رسم لمصنف جدد الحوب، وبعد الحقيقة الدعوية التي أريد لها التزييف، وفي رسم لمصنف جدد براءة علماء العربية الذين تُهمُّوا بأكبر حادثه تزييف في التاريخ، وهم الذين أقاموا أعمارهم في خدمة اللغة العربية وتيسير دراستها

ب. رسم الكلمات في لمصنف لم يتغير في شكله العام من حيث عدد الحروف التي يتكون منها رسم الكلمة، وإن كان نوع الخط قد لحقه بعض التحسين، وسوف نعتمد في دراستنا لطاهرة الإعراب هنا على طريقه رسم عدد من الكلمات في المصنف، لتكون دليلاً شاملاً يؤيد لقواعد النحو التي يقررها علماء العربية ويؤكد أصالة الإعراب في اللغة العربية

١. الأسماء الخمسة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَيُحْيَىٰ آيَاتٍ لِّلنَّاسِ أَلَيِّنَ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصَّةٌ إِنَّ أَبَا نَاسٍ صَالِحٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَفَتُلَاقُوا يُوسُفَ أَوْ أُطْرَحُوهُ أَرْضًا يَحْمِلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف ٧-٩]

(١) المصدر نفسه ص ٢٧٤

إن إعراب كلمة (أح) و(أب) هي هذه آيات مطابق لما قرره السحويون في باب لأسماء الخمسة من رفعها بالواو ونصبها بالالف وجرها بالياء، ولا اختلاف بين النحاة في قراءتها على نحو ما رُسمت، وليس هناك ما يشير إلى أن النحاة عيروا رسم الكلمات في المصحف لتناسب القواعد التي وضعوها، بل كانت على هذه الصورة قبل عصر النحاة بسنين طويلة، وطلت كذلك إلى زماننا، وهي تصع أمام أعين من يشكك في طاهرة الإعراب الدليل لهائي الذي لا يمكن رده ولا التشكك فيه، لأن دلالة الرسم على الإعراب هنا كدلالة الآثار الحجرية على تحصارات لقديمة، دلالة أكيدة لا تقبل التروير

ومن أمثله هذا نوع من الكلمات التي رسمت في المصحف بما يطابق القاعدة بسحوية (دو) بمعنى صاحب، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتَهُ لَأُكْفِيَكَ الْغِنَى﴾ [البقرة]

﴿وَيَذَرْنَهُ فَرْدًا وَلَا يَكُنْ لَهُ مَوْلَا﴾ [الأنعام]

﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِذَا قُلْتُ ﴿[النحل]

فهي الآية الأولى جاءت (دو) بالواو لأنها مرهوعة، وفي الآية الثانية جاءت بالالف (دا) لأنها مصونة، وفي الآية الثالثة جاءت بالياء (دي) لأنها محرورة، وهذا عين ما بقوله النحاة في كتبهم

٢ المشى

قل الله تعالى

﴿وَلَمَّا حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن]

﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن]

﴿يَسْمَايْنِ كُلُّ فَتْكَةٍ مُرَوَّجَاتٍ﴾ [الرحمن]

﴿وَجَى الْجَنَّتَيْنِ دَابَّ﴾ [الرحمن].

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَجُلَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات]

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء]

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء]

﴿ أَلَمْ تَحْمِلْهُ عَنَّا ﴾ [السد]

إذا لاحظنا الكلمات التي جاءت بصيغة المشى في هذه الآيات أدركنا مطابقة قاعدة السحوية التي يقررهم السحاة في باب المشى، لما يدل عليه رسم هذه كلمات في المصحف (جتر - حشبر)، (روحان - روحين)، (الوالدان الوالدين)، (عباد - عبيس)، فرفع المشى - إدن بالأنف، وبصيه وجره بالياء، لا ريب في ذلك وهو الحاري في لغة العرب، وصدق السحاة في ما دونوه في كتبهم، ووهم من ظن خلاف ذلك

٣ جمع المذكر السالم

قل الله تعالى

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران]

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الصَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَصَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسِرَ فَصَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ آخَرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء]

﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [سور]

إن رسم هذه الكلمات (المؤمنون المؤمنين) و(المجاهدون القاعدين) و(المجاهدون لمجاهدين) و(الطيبون والطيبين) مره بالو و مرة بالياء إنما يؤكد القاعدة السحوية الخاصة بجمع المذكر السالم، فترسم الكلمة بالواو أو الياء تبعاً لموقعها في جملة، فما جاء بالواو فهو فاعل أو مبتدأ، وما جاء بالياء فهو منصوب على لمفعولية أو مجرور بالحرف أو الإضافة

إن رسم المصحف يعرض لنا مثال اللغة العربية التي يتكلمها أهل مكة ومن حاورهم، وقت نزول القرآن الكريم، وهي اللغة التي نزل بها القرآن، وكُتبت بها في المصحف^(١) وقد روى البخاري أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لثلاثة مدبرين كانوا يعملون مع زيد بن ثابت في نسخ المصاحف: «إذا ختمتم أتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم»^(٢)

فهذه الصيغ المتعددة للأسماء الخمسة والأفعال الخمسة والمثنى وجمع المذكر السالم لم تكن من تلفيق النحاة، وإنما هي تمثل لغة أجيال من العرب الذين عاشوا في فترة ظهور الإسلام في الحجاز وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية، ورسم المصحف يؤكد ويؤيد ما ذكره النحاة في كتبهم من القواعد التي تشرح طريقة العرب في معاملة هذه المجموعة من الكلمات

وهذا لا يعني أن يكون من العرب من نطق بتلك الكلمات على نحو يخالف القواعد التي سنتطرق إليها، النحاة من جمهور كلام العرب، ولكن ذلك يدخل في باب الشذوذ الذي يُحفظ ولا يُعارض به الشائع الكثير المطرد، والنحاة لم يعملوا على تدوين ما كانوا يسمعون من أمثلة خارجة عما جرى عليه العرب عامة، ولكنهم يعدونه من باب الشذوذ الذي يُحفظ ولا يقاس عليه

إن رسم المصحف يقدم دليلاً جديداً يؤكد ما قدمه جمهور علماء العربية في القديم والحديث من أدلة تاريخية ولغوية ترد نظرية اختراع الإعراب، وهو كافي لإقناع أولئك الذين لا يرضون من الحقيقة إلا ما يلمسون ولا يؤمنون إلا بما يصدقون أو يُشتمون، فإن طواهر الرسم شواهد قائمة، فدومت عوادي الدهر أكثر مما فاومتها صحور أسنة الحصار، القديمة، ورعتها جهود أجيال علماء الأمة الإسلامية، فُحِطَتْ في قماطير الكتب وفي سطور المصحف، وهي تحكي أصالة لغات العرب

(١) نظر الديلمي المقنع ص ١١٤

(٢) البخاري الجامع لصحيح ٢٢٤/٦، وانظر أبو شامة المرشد الوخير ص ١٠١

في العربية، وتقدّم اندبير الأكيد على دنت

وإذا كان كل ما ذكرناه من شواهد رسم المصحف ينحصر في باب الإعراب بالحروف، فإن الرسم يقدم بـ شواهد تدل على أصالة الإعراب بالحركات نفس بقوة، ونفس الدرجة من الوضوح، وإن كان الأمر يحتاج إلى الوقوف عند قصبا معونة وتأريحية تساعد في كشف تلك الأسرار المحبوة هي رسم المصحف، التي تدل على أصالة الإعراب بالحركات في اللغة العربية، كما دلّ الرسم من قبل على أصالة الإعراب بالحروف

المبحث الثالث

دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحركات

شكك الدكتور إبراهيم أنيس في وجود نظام الإعراب بالحركات في اللغة العبرية على النحو الذي يسه علماء النحو في كتبهم، وحول أن يقدم تفسيراً لما طه علماء العربية إعراباً بالحركات فالحاجة القدماء في رأيه «قد سمعوا شيئاً وأخطأوا تفسيره، واستسقطوا فواعده قبل أن يتم لهم الاستقراء، سمعوه في لهجات متعددة، وسمعوه في اللغة المودجية الأدبية، وسمعوه في القراءات بفراسه التي لا تكاد تحصى، ثم قبل أن يتم لهم السماع، ودون الاقتصار على مصدر واحد كما هو الواجب في تفعيد انقواعه، بدأوا يفتقدون القواعد، فاحتضنت عليهم لأراء وكثرت الأقوال، فأهملوا ما أهموا، وفسدوا ما فسوا، ثم خرجوا على الناس بقواعد إعرابية فرضوها عليهم فرضاً»^(١)

ويبين الدكتور إبراهيم أنيس أن الذي سمعه الحجة وعدوه إعراباً ما هو في رأيه - إلا حركة التحلص من التقاء الساكنين، التي تلحق أواخر بعض الكلمات، على عدة العرب في كراهة التقاء الساكنين، ويحدد نوع تلك الحركة، بحسب تصوره عموماً معينة تتعلق بنوع الحرف ونوع الحركات المجاورة، لا كون الكلمة وعلاً أو معولاً أو مصافاً كما يقول «الحاجة»^(٢) ولكن الحاجة ستعلو، ذلك التنوع غير المبرر في حركة التقاء ساكنين «ثم خرجوا على الناس بقواعد إعرابية فرضوها عليهم فرضاً»

وسوف نحول هنا الموقف عند دلالة رسم المصحف على وجود الإعراب في

(١) من أمراء اللغة ص ٢٤٩

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٢ ٢٥٣

العربية على نحو ما يفرده علماء النحو، دون محاولة تشع كل ما قاله الدكتور إبراهيم آيس، وهو يصدد عرض نظريته، لأن ذلك يطول على القارئ، وهو لا يعود على البحث بكبير فائدة

وفد كن رسم المصحف في فترة انتساخ المصاحف محرداً من علامات الحركات، ومن نقط الإعجام، وهو ما أشير إليه علماء السلف، قل الداني «إن العرب لم يكن أصحاب شكل ونقطة»^(١) والحركات ونقاط الإعجام والعلامات لكتاية الأخرى التي يحدها في المصاحف وستعملها في كتابنا الآن تعود إلى فترة لاحقة للفترة التي انتسحت فيها المصاحف في خلافة عثمان رضي الله عنه على نحو ما أشير إلى ذلك في المبحث الأول من الفصل الثاني

أما دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحركات فإنها ترتبط بطريقة رسم همزة في الكتابة العربية، ولما كانت الهمزة بعيدة المخرج في الحلق ثقل نطقها، فأسقطها بعض العرب من كلامهم في غير أول الكلمة، وهم أهل التسهيل من قبائل الحجار ومنهم قريش وحافظ عليها آخرون حيثما جاءت، وهم أهل التحقيق من قبائل نجد وشرقي الجزيرة ومنهم تميم^(٢) قال أبو زيد لأبصارى «أهل الحجار وأهل مكة والمدينة لا يسيرون - أي لا يهيمرون - وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما أحد من قول تميم إلا بالبر، وهم أصحاب السر»^(٣)

وقد انعكست طريقة نطق الهمزة على كيفية كتابتها، فكان للعرب طريقتان في رسم همزة، شاعت إحداهما، وهي التي ستخدمها إلى الآن في كتابنا، وأهمت لأخرى فسيت، وهاتان الطريقتان هما

الطريقة الأولى

طريقة لذين يُخَفَّقُونَ الهمزة، حيث ترسم برمز الألف أيم وقعت، وبأي

(١) أورد غير مشورة من كتاب المحكم ص ٤١١

(٢) بن يعيش شرح لمفصل ١٠٧، ٩ و ١١٦، ١٠ / ١٣٤

(٣) لأرهري بهديب اللع ٦٩١ / ١٥، وابن منظور لسان العرب ١٤ / ١

حركة تحركت، قال بن السرح «إن القياس والأصل كان في الهمزة أن تُكتب في كل موضع ألفاً، كما أنها تُكتب إذا كانت أول الكلمة ألفاً لا حذو في ذلك»

وقال بن حني^(٢) «أعني أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وباءً أخرى على مذهب أهل النحور في التحصيف، ولو أُريد تحقيقها، لنته لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تحصيفها ولا يكون فيه إلا محققاً لم يختر أن تكتب إلا ألفاً، مصوحه كانت أو مصمومة أو مكسورة، وحدث إذا وقعت أولاً، نحو أحد وأحد وإبراهيم فلما وقعت موقعاً لا بد فيه من تحقيقها خُتم على كتبها ألفاً ستة، وعلى هذا وُجدت في بعض المصاحف (يستهرأون) بالألف قبل الواو وُجدت فيها أيضاً (وإن من شيئاً إلا يسبح بحمده) بالألف بعد الباء، وإنما ذلك لتوكيد التحقيق»

وقديماً تحدث الفراء عن هذه الطريقة في رسم الهمزة، في كتابه «معاني القرآن» وقال^(٣) «وأكثر ما يُكتب الهمز على ما قبله، وإن كان مفتوحاً كُتبت بالألف، وإن كان مصموماً كُتبت بالواو، وإن كان مكسوراً كُتبت بالياء وربما كتبها لعرب بالألف في كل حال، لأن أصلها ألف، قالوا براء إذا شذبت نُكتب بالألف في بصرها وكسرهم وصمها، مثل فولت أمروا وأمرت، وحب شيئاً يقرأ، فذهبوا هذا المذهب قال ورأيتها في مصحف عبد الله (شيئاً) في رفعه وحفصه بالألف، ورأيت يستهرؤون يستهرأون وهو القياس، والأول أكثر»

ودكر الفراء في أكثر من موضع أن المصحف الذي كتبها أهل الكوفة عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قبل أن يصل إليهم المصحف من المدينة

(١) كتاب الخط ص ١١٧

(٢) سر صدعه الإعراب ١ ٤٦ ٤٧

(٣) معاني القرآن ١٣٤/٢

في حلافة عثمان، وقد كُتبت فيها الهمزة بالألف دائماً^(١) قال «والهمزة في كتبه كتبت بالألف في كل نوع» وقد «ودلت أن مصاحفه قد أُخْرِجَ الهمز فيها بالألف في كل حال، إن كان ما قبلها مكسوراً أو مفتوحاً أو غير ذلك»^(٢)

الطريقة الثانية

طريقة الدين يُسهِّلُون الهمزة، حيث تُكتب أَلْهَاءُ في أول الكلمة، لأنها لا تُسهَّلُ، وتُكتب يَاءُ أو وَاوُ أو أَلْهَاءُ في غير أول الكلمة، بحسب ما تؤول إليه الهمزة في التسهيل، قال الحافظ أبو عمرو الداني^(٣) «إن الهمز إما تُرسم ضَوْزُوءَ على حسب ما تؤول في التسهيل» وقال ابن جني^(٤) «وإما كُتبت الهمزة وَاوُ مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التحصيف»، وهناك تفصيلات كثيرة تتعلق بكيفية تحصيف الهمزة، وطريقة كتابتها في هذه الحالة، لا نرى ضرورة تذكرها

وقد نص علماء السلف على أن الذين كتبوا المصاحف رسموا الهمزة على طريقة أهل التسهيل، قال الداني^(٥) «والهمزة قد تُصَوَّرُ على المدهيين من التحقيق والتسهيل، دلالة على فشوهم واستعمالهم فيها، إلا أن أكثر الرسم ورد على التحصيف، والسبب في ذلك كونه لغة الدين ولَوْا نَشَحَ لمصاحف رسم عثمان، رحمه الله، وهم قريش، وعلى نعتهم أُفِرَّتِ الكتابة حين وقع الخلاف بينهم وبين الأنصار فيها، على ما ورد في البحر الثابت المذكور في كتب مرسوم^(٦) فلدلك ورد تصوير أكثر الهمز على التسهيل، إذ هو المستقر في

(١) المصدر نفسه ١٣٦/٣

(٢) المصدر نفسه ٢٢٠، ٢

(٣) المحكم ص ١٧٦

(٤) سر صناعة الإعراب ٤٦، ١

(٥) المحكم ص ١٥١

(٦) نعه يريد كتبه «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» والبحر الذي يشير إليه

هو اختلافهم في رسم كلمة (اتانوت) (انظر المقنع ص ٤)

صاعهم والجاري على ألسنتهم»

ونقل السوطي عن أبي حيان أنه قال ' ' والكُتُّ تَوَا، يحط في الأكثر على حسب تسهيلها بوجهين أحدهما أن التسهيل لغة أهل لحجر، و لغة الحجرية هي لفصحى، وكان الكُتُّ على لغتهم أولى والثاني أنه حط المصحف فكان «ساء عليه أولى»

وعلاقة طريقة كتابة الهمزة بدلالة رسم المصحف على أصالة الإعراب تسع من كون تسهيل الهمزة يعتمد على حركتها أو حركة ما قبلها، ومن ثَمَّ ارتبط رسمها في المصحف بحركتها هي، وقد وقعت الهمزة في حر الكلمة فإنها ترسم على حسب حركة ما قبلها، فإن كانت صمّة رُسمت على الواو، وإن كانت كسرة رُسمت على الياء، وإن كانت فتحة رُسمت على الألف، أما إذا كان ما قبل الهمزة المتطرفة ساكناً فيها لا ترسم بحرف وإنما تُعَنَّم بالشكل على السطر^(٢)

وإذا كانت الهمزة متطرفة وانصل بالكلمة صمير صار لها حكم لمتوسطة، ومن هنا صار لحركتها أثر في طريقة رسمها، وحركة الهمزة المتطرفة إما هي حركة الإعراب التي نتحدث عنها، بحيث صار الحرف الذي يرسم عليه الهمزة في هذه الحالة تحدد الحركة التي تلي الهمزة، وهي حركة الإعراب، ومن هنا نستطيع أن ندرس القواعد التي ذكرها النحاة عن الإعراب بالحركات على صوة رسم الهمزة المتطرفة

وصوف نستخدم هذه السحبه من رسم الهمزة لدراسة الإعراب بالحركات من خلال مجموعتين من الأمثلة، لأولى نتصح فيها دلالة الرسم على وجود حركات الإعرابية كما حددها النحويون، من غير أدنى شك، ومن غير تطرق لاجتماع إى الدليل والثانية أكثر تعقيداً، ولكنها ستتحة يؤدي إلى ما أدت إليه

(١) نظر همع فهو مع ٢ ٢٣٣

(٢) نظر ابن السرح كتاب الخط ص ١٢٠، وابن درستويه كتاب الكتاب ص ٣٢،

واندي المقنع، ص ٦٢، والسوطي همع فهو مع ٢ ٢٣٤

لمجموعه لأولى، من الدلالة على أصالة الإعراب بالحركات هي اللمعة، المعربة، وهي لا تفعل هي نظراً أهمية عن دلالة المجموعة الأولى، لأنها من جسيها ومتممة لها، وإذا لم تكن كافية لإقناع جميع القراء، كالمجموعة الأولى، فإنها لا شك سوف تكون كافية عند الكثير منهم

المجموعة الأولى

قال الحافظ أبو عمرو الداني، رحمه الله تعالى، في كتابه «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل «المصارف»^(١) «وكل همزة أتت بعد ألف، وتصل بها ضمير، فإن كانت مكسورة صُوِّرَتْ ياءً، وإن كانت مصمومة صُوِّرَتْ واوً، لأنها إذا شُهِتَتْ جُعِلَتْ بين الهمزة وبين ذلك الحرف، فالمكسور نحو قوله (ومن أنهم، ومن سائهم، وإلى أوليائكم، ونائنا، وعلى أرحانها) وشبهه والمصمومة قوله (جرؤهم، وأبؤهم، وأبؤكم، وفحراؤه، وأولياؤه، وأحباؤه) وشبهه

«وإن كانت همزة مفتوحة أو وقع بعد المكسورة ياء وبعد المصمومة واو لم تُصَوِّرْ خَطًّا، شلاً يُجمع بين صورتين، وذلك نحو (باءنا وأبائكم وساء وساءكم، وأولياءه، ومن جاءه، وإسرائيل، ومن ورءي، وشركائي، وحاءوكم، ويراءون) وشبهه»

وإذا نظرنا في الأمثلة التي أوردها الداني في ما رسمت فيه همزة واو أو ياء سم نجد تفسيراً لاختلاف رسم الهمزة إلا في اختلاف حركتها بحسب موقع الكلمة، فإذا جاءت مرفوعة رُسِمَتْ واواً، وإذا جاءت مجرورة رُسِمَتْ ياءً وهذا هو عين الإعراب بالحركات، وهو ما نجده في الأمثلة التالية، قال الله تعالى

﴿يَتَأْتِيَ آلَ لَيْكٍ مَّامُونًا لَا تَسْجُدُوا لِآبَاءِكُمْ وَلَا لِحُوتِكُمْ أُولِيَاءَ إِنْ أَسْتَجَبُوا لَكُمْ فَسَوْفَ يَكُونُوا آلَ لَيْكٍ﴾ [النور]

(١) المقنع ص ٣٦ ٣٧

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ مِّمَّنْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [المجم]

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان]

فلاحظ أن كلمة (باء) قد احتللت طريقة رسم همزتها، على هذا النحو (باءكم - أدؤكم - أدئكم) وهذا الاختلاف في الرسم سبحة لاختلاف حركة لهمزة، لأنها في الآية الأولى منصوبة بالفتحة، فتحذف الهمزة إلى حرف من حسن حركتها وهو الألف، ولم تُرسم ألفاً كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد، وفي الآية الثانية جاءت مرفوعة بالضم، فتحذف إلى حرف من حسن حركتها وهو ياء، ولهذا رُسمت واواً، وفي الآية الثالثة جاءت محرورة بالكسرة، فتُحذف إلى الياء وتُرسَم به.

فإن من السراخ^(١) «فإن كان قبل الهمزة ألف، وهو الذي يسمى الممدود، فأصغت إلى ضمير، قُت هذا كساؤه، تكتها على لفظ التحفيف، لأن الذين يحففون يجعلونها بين الواو والهمزة، فتكتها واواً، وتكتب أحدث بكسائه وردته ياء، لأنها إذا حفت جعت بين الهمزة والياء»

ومن أمثلة هذا النوع، مما ورد في المصحف هذه المجموعة من الكلمات

(أساءكم أدؤكم أدئكم)

(أوباءه أوليؤكم أوليائكم)

(سأكم سأؤكم سائكم).

وهناك عشرات الأمثلة في رسم المصحف من هذا النوع الذي تخفف فيه طريقة لهمزة المتطرفة بحسب حركتها وهذا دليل أكيد على أن الذين كتبوا المصاحف كانوا يطقون بالحركات في أواخر الكلمات على نحو ما وصف علماء العربية، ولو لم يكن الأمر كذلك لكتبوا «بهمزة» في الأمثلة السابقة على طريقة واحدة

(١) كتاب لخص ص ١١٩

وردت دلالة الأمثلة السابقة على حركات الإعراب بشكل مؤكد، مفصولة عن الصمة والكسرة، فإن رسم المصحف يقدم لنا مجموعة أخرى من الأمثلة تدل على أن الفتحة كانت تُنطق في أواخر الكلمات مثل الصمة وكسرة، وذلك في الأسماء المنونة المنصوبة، فإن كُتِبَ المصحف كتبوا ألفاً في آخر هذا النوع من الكلمات، حرباً على قاعده أن لأصل في لكلمة أن تُكتب مدوياً بها وموفوفاً عليها، والمود المنصوب يُوقف عليه بالألف بدل التنوين، إذا لم يكن الحرف الأخير تاءً بأنيث^(١) فوجود هذه الألف دليل على أن آخر هذا النوع من الكلمات كان يُنطق مفتوحاً، كما وصف النحاة في كتبهم، وكما يجري على ذلك إلى الآن نطقاً وكتابةً.

وقد جاء ذلك في رسم المصحف حياً وصحاحاً، كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] وثبت الألف في (تطوع خير) دليل على وجود فتحة الإعراب في آخر الكلمة المنونة المنصوبة التي يوقف عليها بالألف، وعدم رسم الألف في الموصعين الآخرين دليل على أن لحركة هي غير الفتحة.

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سَبْعِينَ﴾ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ نَحْرَ يَوْمٍ فَسْتَلِ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون]، وقوله تعالى ﴿أَقْبَلْتُ نَفْسًا رَكِيَّةً بِعِثْرٍ نَصِيرٍ لَفَذٌ بِجَنَّتْ شَيْئًا تُكْرَأُ﴾ [الكهف] فوجود الألف في آخر كلمة (يوم) و(نفس) في موضع واحد، في موضع آخر دليل على اختلاف حركة الآخر، وهذا لاختلاف هو الإعراب الذي بتعبير نعيم موقع الكلمة، والألف دليل على فتحة نصب في آخر الكلمة.

وهذا نوع من الكلمات المنونة المنصوبة التي رُسِمَت الألف في آخرها كثيرة جداً في المصحف، حتى إذا نجد سوراً طويلة تكون رؤوسها من هذا النوع من الكلمات، مثل الكهف ومريم وبطرة واحدة في المصحف تكفي سان دلالة

(١) ابن درسيه كتب الكتاب ص ٨٩، والداي المقع ص ٢٦

الرسم على وجود الإعراب بالفتحة كما دل على وجود الإعراب بالصمة والكسرة

ولعل في ما ذكرناه من أمثلة الرسم المتعلقة بالهمزة المتطرفة بعد ألف، التي بأحد حكم الوسطة باتصال الصماتر بها، ولأمثلة المتعلقة بالاسم المنون المنصوب، ما يؤكد أن اللغة العربية كانت معربة بالحركات الثلاث لصمة والفتحة والكسرة، قبل وجود السجدة، لأن رسم المصحف يعود إلى فترة مسكرة من القرون الهجرية الأولى، فلم تكن هذه الظاهرة من اختراع السجدة، لأنها سابقة لعصرهم، وشوهد رسم يؤكد أن السجدة كانوا صادقين في القواعد التي سبوا فيها نظام لإعراب في اللغة العربية وأنهم اعتمدوا في ذلك على انصوص اللغوية الحية التي سمعوها من فصحاء العرب

المجموعة الثانية

وبريدة توصيخ دلاله رسم المصحف على ظاهرة الإعراب بالحركات بعد عدد ظاهرة أخرى من طواهر الرسم المتصلة بالهمزة المتطرفة، ولكن نحتج في هذه المجموعة إلى الإشارة إلى بعض الحقائق المتعلقة بالأصول التي تقوم عليها نكتة، ومن أهم تلك الأصول تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الاستدعاء به والوقف عليه^(١)

وبناء على هذه القاعدة تُرسم الهمزة المتطرفة إذا حرك ما قبلها بصورة الحرف الذي منه تلك بحركة، فإن كانت فتحة كُتبت ألفاً نحو قرأ، وأخطأ، وهو يقرأ، ويقرأ منك، ومررت بالملأ وأقررت بالخطأ، ورأيت الملأ، نكتت جميع هد في الرفع والنصب والحفص بالألف^(٢)

(١) نظر بن درسته كتاب الكتاب ص ٢٥ و ٣١ وابن مالك تسهيل الفتحة ص ٣٣٢،

ولسيوطي جمع الهوامع ٢٣١/٢

(٢) نظر ابن السراج كتاب الخط ص ١٢٠-١٢١، وابن درسته كتاب الكتاب ص ٣١،

والدبي المصحح ص ٦٢

و قد جاءت بعض الكلمات المهمورة مرسومة على خلاف تلك القاعدة، حيث نُثني رسمها على الوصل دون الوقف، ومن ثم فإن الهمزة المتطرفة التي كانت تُرسم على حركة ما قبلها أحدثت حكم الهمزة المتوسطة التي نطر في رسمها إلى حركتها أصلاً، وحركتها هي حركة الإعراب، ومن هنا تدل هذه الأمثلة على الإعراب بالحركات، لأن حركة الإعراب هي التي تحدد نوع الحرف الذي ترسم عليه الهمزة

قال الحافظ أبو عمرو الداني «اعلم أن كثرة المصاحف رادوا الباء مع لهمزة بإجماع منهم في أصل مطرد وسعة أحرف متفرقة

فالأصل المطرد هو ما جاء في قوله (ملأه وملأهم) في جميع القرآن، والسعة الأحرف

أولها في آل عمران ﴿أَفَأَنْتُمْ مَنَّا؟﴾

وفي الأنعام ﴿مِنْ سَيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾

وفي يونس ﴿مِنْ بَلْقَائِ يَفْقَهُوا﴾

وفي طه ﴿وَمِنْ آتَائِ اللَّيْلِ﴾

وفي الأنبياء ﴿أَفَأَنْتُمْ مَنَّا؟﴾

وفي الحجر ﴿وَأَنْتَ إِذْ يَخْرُجُ﴾

وفي الشورى ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾

وفي مصاحف أهل المدينة، على ما رواه العدي بن قيس عنها، في الروم ﴿يَلْقَايَ رَبَّهُمْ﴾ و ﴿وَيَلْقَايَ الْآخِرَةَ﴾^(١) بالياء في الحرفين

فترسم همزة في (سأى) و(تلقى) و(إيتى) و(أنى) و(ورى) بالياء يشير

(١) أوراق غير مشورة من كتاب المحكم ص ٤٢، والمعق (لداني) ص ٤٧

إلى أن الهمزة تُنطق مكسورة، وهذه هي كسرة الإعراب، ولهذا رُسمت الهمزة بـاء، حيث أٌحدث في الرسم حكم لهمزة المتوسطة، بسبب النطق بها في سياق متصل، فتصير متوسطة بانصائها نطقاً بأول الكلمة التي بعدها أما (ملأه وملأهم) فإنها تدل على ذلك أيضاً، وإن كانت من الهمزة المتطرفة التي اتصل بها ضمير، وأحدث حكم المتوسطة بذلك الاتصال وأما (أفأين) فإنها بحرح عما يريد الاستشهاد له، وإن كتب لها صلة بموضوع رسم الهمزة

وقد علَّل علماء السبغ رسم الياء في الكلمات السابقة بوحوه مقارنة لما أُشربا إليه، فمما قبله «حافظ أبو عمرو الداني في تعليل ما رُسم بالياء مما ليس قبل الهمزة فيه ألف، في مثل (سأي)»^(١) «أن تكون الألف والياء صورتين للهمزة، لا على بادية التحقيق والتسهيل، ولكن على تأدية الاتصال والانفصال والألف صورته للانفصال من حيث كانت الهمزة المتطرفة الموقوفة عليها إذ «فتح ما قبلها تُصوِّرُ بالحرف الذي منه الفتح، وهو الألف، سواء أريد تحقيقها أو تبسيطها والياء صورة الاتصال، من حيث كانت الهمزة المتوسطة المكسورة تُصوِّرُ بحرف الذي تفرَّط منه في التبيين، وهو لياء»

وعلَّل بدوي زيادة الياء في رسم ما كتب فيه قبل الهمزة ألف، في مثل (ورائي وبلقائي) بأمور منها قوله^(٢) «أن يُراد برسم صورتها وضئها بما بعده، وإذا أريد ذلك صارت بمرلة لمتوسطة التي تقع حشواً في الكلمة، وحرف مجراها في تصويرها حرفاً من حسن حركتها، نحو أولئك ولما لئكة»

فالهمزة في الكلمات السابقة رُسمت على مراد الاتصال بما بعده نطقاً، فأحدث حكم «متوسطة» «صُوِّرَتْ بـاء لذلك، ولم تصوِّر وواً أو أنفاً، لأن حركه الهمزة، وهي حركة لإعراب، هي التي تحدد نوع الحرف الذي تُحذف عنه الهمزة، ومن ثم ترسم عليه، وقد جاء رسم الكلمات المذكورة كافة متناسلاً مع

(١) أوراق غير مشورة من كتاب لمحكم ص ٤٢٢

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢٤

موقعها في الجملة، وما يقتضي ذلك الموقع من أن تكون حركة الإعراب كسرة،
فلولا نطق الدين رسمو المصحف كسرة في آخر تلك الكلمات لما وُجدت هذه
البناء في الرسم

وكان كُتِبَ المصحف قد رسموا (لكل ساء مستقر) (الأنعام ٦٧) و(إيتاء
الركاة) (الأنعام ٧٣) و(من ساء المرسلين) (الفصل ٣) و(من وراء حجاب)
(الأحزاب ٥٣) بغير ياء^(١)، حرياً على القاعدة في أن تُكتب الكلمة مدوياً بها
ومرفوعاً عليها، وقد قد انداني^(٢) «عاملوا في كثير من الكتابة النقط والوصل
دون الأصل والنقط» وقال^(٣) «والمدهان قد يستعملان في الرسم دلالة على
جوارهما فيه»

ويُقدّم لنا رسم المصحف نوعاً آخر من الكلمات المهمورة، تدل على وجود
الصحة في آخر الكلمات المرفوعة، كما دلت الأمثلة السابقة على وجود الكسرة
في كلمات المعجورة، قال الحافظ الديني في كتابه «المقنع»^(٤) «تدبر ما
رُسمت فيه الواو صورة للهزة على مراد الاتصال أو التسهيل أخبرنا الحافظي،
عن حدثنا الأصمعي، قال حدثنا الكسائي، قال حدثنا عن الصاح، قال
عن محمد بن عيسى الأصمعي

«في إبراهيم ﴿سَوَّاءَ الذِّبِّ﴾، وفي ص ﴿سَوَّاءَ عَظِيمٍ﴾، وفي التماس ﴿سَوَّاءَ
الَّذِينَ﴾ كلها بالواو والألف قال «وكل ما في القرآن على وجه الرفع والود
فيه مثته، وكل ما كان على غير وجه الرفع فليس فيه واو وإنما (سأ)

«قال أبو عمرو وكذلك رسموا في كل المصحف في يوسف ﴿تَفَتَّوْا﴾
(تفتؤ)، وفي السحل ﴿يَتَفَيَّوْا﴾ وفي طه ﴿أَتَوَكَّؤْا﴾، وفيها ﴿لَا

(١) انظر انداني المقنع ص ٤٧ و ٤٨

(٢) لمحكم ص ١٥٨

(٣) المقنع ص ٤٤

(٤) المقنع ص ٥٥ و ٥٦

قَلَمُوا ①، وفي النور ② وَبَدَرُوا ③، وفي المرقاة ④ قَلَّ مَا بَعَثُوا ⑤، و ⑥ يَكْبَدُوا
 ⑦ لَخَلَقَ ⑧ [يوسر] حيث وقع، وفي ص ⑨ سَوَّاهُ الْحَصَمَ ⑩، وفي الزحرف
 ⑪ أَوْسَ يُسْئَلُوا ⑫، وفي القيمة ⑬ سَوَّاهُ الْإِنْسَ ⑭، جميع هذه المواضع بالواو
 والألف

وروي الداني أيضاً أن كلمات آخر رسمت بنفس الطريقة في بعض المواضع
 في المصحف، وهي (لَمَدُوا) و(جَرُوا) و(شَرَكُوا) و(أَنُوا) و(عَلَمُوا) و(العلموا)
 و(لَصَعَمُوا) و(نَشُوا) و(دَعُوا) و(شَعَمُوا) و(البلوا) ١

كان نقياس في رسم الكلمات السابقة لذكر هو أن تكتب على حركة الحرف
 السابق بها، فرسم (سأ) بالألف بدل (سوا) بالواو بعدها ألف ومثلها (تفتأ)
 و(بتعياً) و(أنوكاً) وكذلك (شركاء) و(أساء) و(علماء) ونقية الكلمات السابقة
 الذكر لكن كتبت المصحف رسموها مراعيين وصل آخرها بطقاً بما بعدها من
 الكلمات، فأحدث حكم المتوسطة التي يكون لحركة الهمزة داتها شأن في نوع
 الحرف ندي تُحذف عليه وتُرسَم به ومن هنا رُسِمَت الهمزة واواً في هذه
 الكلمات، وهي جميعاً يقتضي موقعها أن تكون مرفوعة بالصمة على حسب
 القاعده السحوية وهذا دليل على أن لكثرة كانوا ينطقون بحركة الإعراب، وهي
 الصمة، في هذه لمجموعة من الكلمات، وهو ما قَصَدْنَا الإشارة إليه كدليل على
 وجود الإعراب في فترة انتساح المصحف، قبل عصر النجاة بعشرات لسين

وقد أدرك علماء سلف سر وجود الواو في آخر تلك لمجموعة من
 الكلمات، فقال الداني وهو يعدل وجود الواو «أن تكون صورته لهمزة، على
 مراد وصل الهمزة بما بعدها من الكلام، فتكون كالمتصلة في اللفظ، وإن كانت
 مفصدة في الخط، من حيث أريد بها الوصل» ٢

(١) المصحف ص ٥٦ ٥٨

(٢) أوراق غير مشورة من كتاب لمحكم ص ٤٣١

والمجموعة السابقة من الكلمات التي رُسمت فيها «همزة واو» لا تحلو من
عصر الطواهر الهجائية التي تستوقف النظر، من ذلك أن الكتبة اشتوا بعد الواو
ألفاً وقد نقل الداني تعليل لظاهرة بقوله «ورُسمت الألف بعد الواو في هذه
مواضع لأحد معيين

إم تقوية للهمزة لحفائها، وهو قول الكسائي

وإم على تشبه الواو التي هي صورة همزة في ذلك الواو لجمع، من حيث
وقعت طرفاً، فألحق ألف بعدها كما ألحق بعد تلك، وهو قول أبي
عمرو بن العلاء، والقولان جيدان^(٢)

ودكر داني ذلك أيضاً في موضع آخر، وهو يعمل زيادة الألف في كلمة
(بؤبؤ) في بعض الروايات فقال «قال أبو عبيد وكان أبو عمرو يقول إم
أشتوا فيها ألف كما رادوها في (كانوا وقالوا) قال وكان الكسائي يقول إم
رادوها لمكان لهمزة^(٣)

وبرجح هنا ما ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء من تعليل زيادة الألف بعد الواو
على التشبه بربادتها في (كانوا وقالوا)، وذلك لأن كسبة المصاحف جروا على
إثبات تلك الألف بعد كل و و متطرفة، سواء أكانت الكلمة فعلاً مضارعاً أم
ماضي، وسواء أكانت تلك الواو لاماً للكلمة أم صميراً أم علامة للرفع^(٤)
فالأولى حمل زيادة الألف هنا على ذلك، لاسيما أن رجحنا أن الهمزة رُسمت
على مذهب من يُشهدها، فتكون بذلك واواً، سطق عليها ما يطق على الواوات
المتطرفة الأخرى في المصحف

و نضاهيه الثانية في الكلمات السابقة هي أن الألف التي تسبق الهمزة لم تُرسم

(١) نظر المصدر نفسه ص ٤١٨

(٢) لمصح ص ٥٨ ٥٩، ونظر المصدر السابق ص ٤١٨ ٤١٩

(٣) لمصح ص ٤٠

(٤) نظر الداني لمصح ص ٢٧

في عدد من تلك الكلمات، وهي ثاتة في المطلق، وذلك في (جرؤا) و(شركؤا) و(أسؤا) و(العلمؤا) و(الصعؤؤا) وما أشبهها، فكان القياس أن تُكتب على هذا النحو (حراؤا) و(العلماءؤا) و(الصعفاءؤا) ولكن كتبت المصاحف راعوا في رسم هذه الكلمات تقيداً كان سائداً في الكتابة العربية آنذاك، وهو حذف رمز الفتحة المطلوبة، وهو لألف، من كثير من الكلمات، مثل (الرحمن، العلمين، ملك) وغيرها من كلمات المذكورة في كتب رسم المصحف^(١)، وقد حاولنا تقديم تفسير لهذه الظاهرة في بحث (الرسم المصحفي دراسة لغوية تأريخية)، ومن أرادوقوف عليه فليراجعه ثمة^(٢)

وقد جاء بعض الكلمات السابقة في بعض المواضع من مصحف مرسومة على لقياس في رسم لهمة المتطرفة، كما لاحظت ذلك في مجموعة الكلمات التي رسمت فيها الهمة المتطرفة ياء، قال الحافظ أبو عمرو اندلسي فأما قوله في ساء ﴿وَيُسْتَهْرَأُ بِهَا﴾، وفي الأعراف وغيرها ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾، حاشي الحرف الأول من المؤمنون (آية ٢٤) والثلاثة أحرف التي في المل (آية ٢٩ و ٣٢ و ٣٨)، وقوله في لتوة ﴿ظَلَمَّا﴾، وفي هود ﴿مَلَأُ﴾، فمرسوم ذلك بالألف في كل لمصاحف، وذلك على مراد الانفصال والتحقيق^(٣)

ومما تحدر الإشارة إليه هـ هو أن رسم لهمة المتطرفة بـمرس في ن واحد مرس على بية الانفصال ورمز على بية الانفصال، في مثل (بأي وملايه) صار في ما اتصل بالهمة لمتطرفة صميم - تقليداً حافظ عليه بعض الكتبة فيما يكتبون في غير المصحف قل من السراح، وهو يتحدث عن رسم الهمة المتطرفة^(٤) «فإن كنت متحركة وقبلها فتحة كتبت ألفاً، نحو قرأ، وأخطأ، وهو يقرأ، ويقرأ مث، ومررت بالملا، وأقرب بالخطأ، ورأيت الملا يا هذا، نكتت جميع هذا

(١) المصدر نفسه ص ١٠-٢٤

(٢) الرسم المصحفي ص ٢٣٢-٢٤٢

(٣) لمصح ص ٥٦

(٤) كتاب لخط ص ١٢٠، وانظر ابن ولاد المقصور والممدود ص ٢

في الرفع والنصب والحفص بالألف، فإن أصفت الحرف إلى سم ظاهر فهو على حده، تكسبه بألف، نحو هذا خطأ ريد، ورأيت خطأ ريد، وسمعت بخطأ ريد، فإن أصفته إلى مصمر كنت الهمزة على حركتها، تكتبها في الحفص بالياء، وفي الرفع بالواو، وفي النصب بالألف، تكتب هذا خطأه نواو، ومن حطته بالياء، وأنت خطأه بالألف، وكذلك هو يقرؤه نواو، ولن يقرأه بالألف قال محمد بن يحيى وربما أقرروا الألف وحاولوا في الرفع نواو بعدها، وبناء في الحفص، وفي النصب همزة مفتوحة، بقوون كرهت خطأه بألف واحده، وأعجبي خطأه نواو بعد لألف، وعجبت من خطأه بياء بعد الألف، وقال الاحير مع الياء والنواو أن تسقط الألف

وفل أن يدع الكلام على هذه المجموعة من الكلمات، يعود إليها لمن بعد كلمات نعيها رسمت الهمزة فيها مرة بالياء ومرة بالنواو، فكلمة (سأ) رسمت بالنواو (سؤا) في كل ما كان مرفوعاً، مثل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم] ورسمت بالياء في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الأنعام] ولو تساءل عن سر كتابتها مرة بالياء وأخرى بالنواو، لما وحدث لذلك تفسيراً إلا ما ذكرناه من قبل من أن الهمزة المتطرفة قد تُرسم على بية الاتصال بما بعدها، فتكون حركتها، وهي حركة الإعراب، هي الأساس في تحديد نوع الحرف الذي تُحذف عليه وتُرسم به، فإذا كانت الكلمة مرفوعة الت إلى لو وُرُسمت بها، وإذا كانت مجرورة الت إلى الياء وُرُسمت بها وهذا هو ما أردت الوقوف عنده كدليل على أن الإعراب أصيل في العرسة، ومثل هذا ينطبق على كلمة (لما) فقد رسمت بالياء (ملأه وملأهم) ورسمت بالنواو (الملأ)، وينطبق عليها ما ذكرناه في (سأ) و(سؤا) وكذلك بقية الكلمات

الإعراب إذن أصيل في اللغة العربية، ولم يكن من اختراع للحويس، هذا ما يدرك منه رسم المصحف، وشواهد لغوية وتاريخية أخرى ذكرها المدارس في ما كسوه من أبحاث عن الموضوع وقد كان للحويس الفصل في المحافظة على نظم العربية، حين أتعوا أنفسهم لكي يحافظوا على بيان العربية الشامخ، بما

ذوئو في كتبهم من وصف دقيق وشامل لقواعد اللغة فرحمهم الله تعالى، وأكرم
برلهم، وعمر لأولئك المصنفين دموا علماء العربية بتحريف اللغة واختراع
لإعراب من غير دليل أكيد ولا سند صحيح

وما أصدق كلمة الدكتور علي عبد الواحد وافي، في هذا الصدد «وإذا أمكن
أن تتصور أن علماء القواعد تواطئوا جميعاً على ذلك، فإنه لا يمكن أن تتصور
أنه قد نواها عليه جميع العلماء من معاصريهم، فأجمعوا كتبهم إلا يذكر أحد
مهم شيئاً من هذا الاختراع العجيب، ولا يعقل أن يقبل معاصروهم هذه
القواعد على أنها ممثلة لقواعد لغتهم ويحتدوها في كتاباتهم، اللهم إلا إذا كان
علماء المصرية والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم وأسوهم معارفهم عن
لغتهم وتأريخها، فجعلوهم يعتقدون أن ما حاووا به من الإفك ممثل لفصيح هذه
اللغة»



وفي ختام بحث أود أن أشير إلى أن من ينكر ما يذكره علماء العربية من أن
«الرفع علم الفاعلية، والفاعل واحد ليس إلا، وأما المبتدأ وحره وحر إن
وأحواتها ولا التي لمي الجنس واسم ما ولا المشتهين ليس ممدحة»
بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب وكذلك الصب عدم المفعولية، والمفعول
خمسة أصرب، والمفعول المطلق والمفعول به والمفعول فيه والمفعول معه
والمفعول به، والحال والتمييز والمستثنى المتصوب والحر في باب كان ولا اسم
في باب إن وبنصوب ولا التي لمي الجنس وحر ما ولا المشتهين ليس
مدحقات مفعول، والجر علم الإضافة^(١) لا يدخل في ما أورد الحديث عنه
في هذا البحث، وقد ذكرت في أول البحث أن علماء العربية قالوا إن الحركات
الإعرابية دوال على المعاني، وأن محمد بن المستنير المنقبط بقطرب ذهب وحده
إلى أن حركات الإعراب جيء بها للتوصل إلى السرعة في النطق وإدراج الكلام

(١) ان يعيش شرح المفصل ٧١

حتى لا يتعثر المتكلم في بطقه وهذا موضوع لا صلة له بذكر أصالة الإعراب،
والرغم بأنه مما خترعه لحناء، وإنما يدخل في باب الاختلاف في تعييل ظاهرة
لعوية موحودة، لم يُحتفَ أدُّ في وجودها عند المتقدمين

وأرجو أن تكون هذه المحاولة قد لفت الأنظار إلى مصدر حديد لدرسة
ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، وإذا كانت ظاهرة الإعراب من المسلمات عند
جمهور علماء العربية القدماء والمحدثين، فإنه لا صرر في البحث عن أدلة
حديدة تؤكد أصالة الإعراب، في وقت طُرحت فيه هذه القصية بشكل يُرد منه
إثارة الشك في نفوس حين بطمح إلى رؤية الحقيقة ولمسها، ولا يكتفى بالحرر
بصدق عنها

وأحد المساسة ها تدعوي إلى تحديد ذكرى أولئك الصحب الميامين الذين
كنوا بمصحب نوسائل صعة لم تسعهم من بلوع العاية في الأمانة واندقة،
فلولا رهادة الحسن والدقة في تصوير الألفاظ لعت عند تلك الصور الهجائية بني
استخدمها في هذا البحث دليلاً على أصالة الإعراب في بلعة العربية، فأرُص
الهم عن ريد بن ثابت وعن الثلاثة الذين عملوا معه في انساح المصحب
عبدالله بن الربير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص وعن
كل من أسهم في أول عمر علمي منظم شهادته العربية

وكذلك تجدر لإشادة بجهود علماء السلف الذين حفظوا ب في كتبهم صورة
رسم بمصحب، فلولا جهودهم لذهبت تلك الوثائق للعوية الحظيرة في طي
أحداث ناريح، فجهدهم وتَّجَّعهم حفظت لنا كتبهم صورة هجاء الكمات في
المصاحب لأوسى، وكذلك يجدر بنا أن نتذكر خطاطي المصاحب ندين حافظوا
على مدى لعصور على تلك الصور الكتبية حين خَطُّوا مثاب بن الالف السح من
المصحب الكريم نمنس لطريقة، محفظين قدر طاقتهم على الماثور من رسم
المصحب

وأخيراً أود أن أشير إلى قصيتين، مرجحاً تفصيلهما، الأولى هي أن علماء

عربية لم يكونوا موضع اتهام، بل كانوا فوق التهمة، والثابتة هي أن القراء لم يحصعوا لقواعد النحو، ولم تكن القراءة متروكة لاجتهاد القراء، كما يُفهم ذلك من كلام الدكتور إبراهيم أيس

أما أن علماء العرب كانوا أعداء عن التهمة فهو ما تؤكد كُتب التراجم التي نقلت لنا من أحاديثهم ما يشير إلى أنهم كانوا قد بلغوا مدارج عالية من ثقة والأمانة وهذه نصوص شهادات تورد على سبيل التمثيل لا الاستقصاء

قال أبو الطيب اللعوي عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) «وكان رجلاً صاحباً وكان سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذهب العرب»^(١) وقال عنه أبو سعيد السيرافي «فأما أبو عمرو بن العلاء فهو من الأعلام في القرآن، وعنه أحد بؤس بن حبيب ولرواية عنه في القراءة والنحو واللغة كثيرة»^(٢) وقال عنه أبو بكر البريقي «وهو بصري، أحد عن ابن أبي إسحاق، وكان أوسع عملاً بكلام العرب ولغاتها وعربها من عبد الله بن أبي إسحاق وكان من حلة لقراء واثقون بهم، وكان يُقرئ الناس القرآن في مسجد البصرة والحسن بن أبي الحسن حاصر قال بؤس لو كان أحد يسعي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان يسعي لقول أبي عمرو أن يؤخذ كله، ولكن ليس من أحد إلا وأنت أحد من قوله وتارك»^(٣)

وقد أبو الطيب اللعوي عن الحليل (ت ١٧٠هـ) «وكان التحليل أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم»^(٤) وقال أبو سعيد السيرافي عنه «كان من برهادر في الدنيا، والمقطعين إلى العلم، ويروى عنه أنه قال «إن لم تكن هذه الطائفة يعني أهل العلم - أولياء الله فليس لله ولي»^(٥)

(١) مراتب النحويين ص ٣٣

(٢) أخبار النحويين واللغويين ص ٢٨

(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ٣٥

(٤) مراتب النحويين ص ٥٥

(٥) أخبار نحويين البصريين ص ٣٨

وفي كتب الترحم الكثير من الأقوال والروايات المماثلة لما ذكرناه، وهي تشير إلى أن علماء العربية كانوا من أهل التقوى والقطعة والأمانة ولذكاء، ولا يمكن أن تجمع مثل هذه الصفات مع ما يدعيه بعض المحدثين من أن علماء العربية لَفَقُّوا الإعراب وفرصوه على الناس وما نقلناه عن علماء العربية لا يعني أنهم معصومون من الوقوع في الخطأ، فإنهم في ذلك مثل بقية الناس، ولكنهم لا يمكن أن يَحُوبُوا الأمانة، وَيُؤَوِّزُوا بحقائق، ويسسوا إلى لغة العرب ما ليس فيها، بل الحق والصواب أن السحاة أحصوا في خدمة العربية وتدوين فروعها، معتمدين على أصح النصوص اللغوية

ولم تكن انقصية الشبهة، وهي أن السحاة فرصوا على القراء طريقة معينة في قراءة القرآن، على حسب القواعد التي وضعوها، تستند إلى أصل بأريحي صحيح، والشواهد والحقائق ترددها، فمن ذلك أن القراء كانوا يسرون على قاعدة التزموا بها منذ عصر الصحابة وهلم جراً وهي قولهم «القراءة ستة»، يأخذها الآخر عن الأول^(١) ويذكر مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه «المنصورة في القراءات» أن أن ريد اللعوي قال «قلت لأبي عمرو أكل ما أحدثه وقرأت به سمعته؟ قال لو لم أسمع له لم أقرأ به، لأن القراءة ستة»^(٢)

وبذلك قد الحافظ أبو عمرو الداني «وأئمة القراءة لا يعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأئمة في الأثر ولأصح في النقل والرواية إذ ثبت لا يرددها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن قراءة ستة متبعة يرم قولها والمصير إليها»^(٣)

ومن هنا أنكر العلماء محاولات بعض القراء تطويع لقراءة بقواعد السحو قال أبو عبيد القاسم بن سلام «وكان عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) عائماً بالسحو، غير أن به احتياراً في القراءة على مذاهب العربية، يفارق قراءة العامة، ويستكرها

(١) انظر ابن مجاهد كتاب السبعة ص ٤٩-٥٥

(٢) المنصورة ورقة ٣ ظ

(٣) جامع السعدي ورقة ١٧١، وانظر السيوطي الإتقان ١/ ٢١١

وذكر الخطيب السعدي في كنهه «تاريخ بغداد» محمد بن الحسن بن مفسم
«عطر السعدي المصنف سنة ٣٥٤هـ، وقال عنه «ومما طعن عليه به أنه عمد
إلى حروف من القرآن مخالف الإجماع، وقرأها وأقرأها على وجوه ذكر أنها
تحوّر في اللغة العربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم، فأنكروه عليه، وارتفع
الأمر إلى السلطان، فأحصره واستتاه بحضرة القراء وفقهاء، فأدعن بالتوبة،
وكتب محضر بوثته، وأثبت جماعة من حضر ذلك «مجلس حضورهم فيه
بالشهادة عليه»^(٢) ولعلّاقه انقراءة بالنحو تفصيل لا تناسه هذه الإشارة «محوحة»،
لتي تكفي لعلّاقه النظر إلى بعض الحقائق الأساسية التي احتلت في كتابات بعض
مدارس المعاصرين

وبعد فأرجو من الله تعالى أن يكون ما قدمته في هذا بحث صحيحاً في
محملة نوعاً في شأنه، وأن يسهم في رد شبهات الجاهلين وكيد المعرّضين
الطاعين في أصالة العربية وأمانة علمائها الذين أفوا أعمارهم في خدمتها، وأن
يُحسّ العربية إلى نفوس الناطقين بها، ويعيد الثقة إليهم في عظمة هذه اللغة التي
سحبها ويحرص على تعلمها ملايين الناس في كافة أرجاء العالم اليوم

(١) نظر ابن الحرري عاية نهاية ١ ٦١٣

(٢) تاريخ بغداد ٣/٢٠٦، وانظر ابن الحرري عاية نهاية ٢/١٤٢

الفصل الثاني حاضرُ العربية ومستقبلُها

(١)

العربية في العصر الحديث

مقدمة

الحمدُ لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعدُ

فإنَّ فهم واقع اللغة العربية اليوم يقتضي النظر في تاريخها لثريب والسعيد، كما أن رسم صورة لها في المستقبل يسي على معرفة هذا الواقع، ولوقوف على الظروف التي أدت إليه، ولا شك في أن أكثر الأحداث تأثيراً في حياة الأمة وعيها هو السيطرة الأجنبية على البلاد العربية والإسلامية، ولعروُّ الفكري الذي رافق تلك السيطرة

وكان تأثير تلك السيطرة ودنك العرو عميقاً، وأصاب معظم جوانب الحياة، وكنت القصيدة للعوية هدوً لدنك التأثير، لأن العربية لغة لفران الكريم، ووعاء الحضارة، وأداة الفكر، وأعظم روابط الأمة، بعد رابطة العقيدة، ومن ثم وحن أعداء الأمة أقوى سبهم بحوها

وبعد صراع امتدَّ قريش من الرمان حرجت اللغة العربية منتصرة، نكها حرجت مشحة بجراح، لا يزال بها حاجة إلى الجهود المحلصة حتى تتخلص من آثار تلك المعركة القاسية التي كانت تستهدف وجودها، ولما عجز الأعداء عن إقصائها عن حجة، رصوا عربها عن جانب منها، ولكنه الجانب المهم، فلا

تعال العلوم التطبيقية تُدرّس في الجامعات العربية بإحدى اللغات، لأحسية، بحجج
تُعزّ عن عجز المتشكّين بها، أكثر من تعييرها عن عجز اللغتين، والمشكله
تتقدم كلما تقدّم الرسم

ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على المراحل التاريخية للمسألة اللغوية،
ومناقشة القضايا الموضوعية التي أثّرت أو برزت خلال تلك المراحل، على نحو
موجز، لأن تفصيل ذلك أوسع من أن يصححه بحث أو يستوعبه كتاب وسوف
أتنع الموضوع من خلال المباحث الآتية

المبحث الأول مرحلة بدء الصراع اللغوي

المبحث الثاني مرحلة مواجهة الشبهات

المبحث الثالث مرحلة معالجة المشكلات

ولا شك في أنّ المسألة اللغوية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحياة الفكرية
ولثقافية للأمة، لكنّ حديثنا هنا متجه نحو المسائل المتعلقة باللغة، وإن كان لها
نُغْد ثقافي أو حصري، وقد استوعبت كثيراً من ذلك كتّ أقرّدت لهذا
العرض^(١)

وتمنقر مكتبة العربية، أو ما هو متاح من المصادر عدي، إلى الدراسات
التي تكشف عن تفاصيل الصراع اللغوي الذي احتدم في القرنين الماضيين في
بلاد العرب والمسلمين، ولا تزال العربية تعيش بعض آثاره، وهو موضوع حدير
بالبحث وانتشع، ويمكن أن تسهم الدراسات حوله في كل قطر في رسم معالمه
العامّة في بلاد العرب والمسلمين، ولا شك في أن كثيراً من مادته مشوّث في
صفحات الجرائد والمجلات القديمة، والبحث فيها إن توفرت يحتاج إلى جهد
كبير، وصبر طويل، وهو يستحق كل ذلك، لأنه يتعلق بتاريخنا وحياتنا الثقافية

(١) يطر لدوي الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية في الأنطد الإسلامية،

ومحمد محمد حسين خصوصاً مهتدة من داخلها

محالہ، ومستقبلہ، وأرجو أن بحقق ذلك أو شيء منہ في المستقبل والله
تعسی الموفق، والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول

مرحلة بدء الصراع اللعوي

إن ما تعرضت له اللغة العربية من ضعف في لقرون المتأخرة، بدءاً بسقوط
معداد سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨هـ، ومروراً بروال دولة الأسدلس سنة ٨٩٧هـ
١٤٩٢م، وانتهاء بالضعف السياسي، والاضطط الحصارى، والحمود العدى
كل ذلك لم يهدد اللغة العربية في نقائها واستمرارها لغةً للدين والحياة، وإن ترك
بعض آثاره على الحياة اللعوية ومجمال الحالة الثقافية، فتحمدت صاهح التأليف،
وصعفت وسائل التعليم، وعنت الأمية على الناس، وفشا الجهل

وكذلك يحدث لذي أثر في حياة العربية، كما أثر في الحياة لثقافية
والاجتماعية للأمم، هو احتلال الفرنسيين لمصر بقيادة بليون في شهر تموز سنة
١٧٩٨، لذي كان صدمة سياسية وحصارية، أبقت الأمة من سبائهم الطويل،
وعلى الرغم من رحيل الفرنسيين عن مصر في شهر آب من سنة ١٨٠١م^(١)،
نحت ضغط فوات المجاهدين، فإن آثار تلك الحملة كانت عميقة في حياة
المصريين خاصة، وحياة الأمة العربية والإسلامية عامة، حتى غدت كثير من
المؤرخين بداية العصر الحديث بالنسبة للعرب والمسلمين^(٢)

وتوالى الأحداث في القرون التاسع عشر، فبعد هزيمة الفرنسيين وحروبهم من
مصر تحولت أطماعهم نحو الشمال الإفريقي، فاحتلت قواتهم أرض الجزائر سنة
١٨٣٠م^(٣)، كما احتلوا تونس سنة ١٨٨١م

(١) ينظر بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٥٤٣

(٢) ينظر لصلاحي الدولة العثمانية ص ٥٣٧ ٥٤١

(٣) ينظر بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٢١ و ٦٣٠

وتطورت الأحداث في مصر بعد خروج الفرنسيين، وتأسيس محمد علي باشا الكبير دولته، تحت راية الدولة العثمانية، ثم احتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢م^١، وازدادت الأحوال سوءاً وانتهت بسقوط دولة الخلافة بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلال الدول العربية للبلدان العربية والإسلامية

ولم يكن احتلال الدول العربية لبلدان العالم الإسلامي احتلالاً عسكرياً محضاً، وإنما كان إلى جانب ذلك استعماراً سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ويعسا من هذا الأمر أثر ذلك كله على حياة اللغة العربية، وما واجهته في ظل هذه الظروف من مصاعب ومشكلات

ويتحدث بعض الدارسين عن حالة اللغة العربية في ظل الحكم العثماني، في سياق حديثه عن أوضاع العربية في ظل الاحتلال الأجنبي لبلدان عربية، لكن هناك نون شاسع بين موقف العثمانيين من اللغة العربية، وموقف الأوروبيين منها، فلم يكن العثمانيون يعدّون العربية لغةً نجت محاربتها والقضاء عليها، كما كان حال الأوروبيين، بل كانوا يعتبرون بالعربية ويحرصون على تعلمها، شأنهم شأن المسلمين الآخرين، بعض النظر عن ضعف اللغة في عهدهم، فإن الوهن أصاب مفاهيل الأمة جميعها، وصح اللغة

وتصدّق الموارنة بين موقف الأتراك من اللغة العربية وموقف الأوروبيين منها في لمدّة التي أعقبت انقلاب سنة ١٩٠٨، وعزل السلطان عبد الحميد، فأصبحت السلطة بيد جمعية الاتحاد والترقي ووعدت الحكومة العثمانية تركية في مصمونها، قومية في عصيتها، بينما كانت من قبل عثمانية في مصمونها، وإسلامية في رابطها فتبعت سياسة التتريك، وذلك لجعل اللغة لتركية هي اللغة الرسمية الوحيدة، بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها، فتأججت حركه لدعوة إلى القومية العربية، في مواجهة حركة لتتريك^٢ وكانت العربية

(١) بروكلمان تاريخ شعوب لإسلامية ص ٥٩١

(٢) لصلاحي دولة العثمانية ص ٧٢٩، وينظر محمود فهمي حجازي لغة العربية عبر

لقرون ص ٦٩-٧٠

على صحتها أقوى من محاولات القصص عليها، ومن حسن الحظ أن سياسته
«تثريك» لم يطل أمدها، كما طالت معاناة العربية من السيطرة الأوروبية^(١)

ويمكن التمييز بين ثلاثة مواقع برزت فيها مظاهر الصراع بين اللغة العربية
واللغات الأجنبية التي تفقت وراءها قوى كبرى ومؤسسات تشهيرية وثقافية تسعى
لشهر ثقافتها وأفكارها بخدم سرعة الاستعمارية لدى الدول الأوروبية وهذه
المواقع هي مصر، و«جرائر»، وسان

أما مصر فقد تعاقب عليها تأثير الحملة الفرنسية التي قللت الأوصاف الرتيبة
التي كانت تحري عليها حياة الناس، واستمر ذلك التأثير في حكم محمد علي
وأسرته، ثم تأثير الإنجليز الذين دخلوا مصر سنة ١٨٨٢م، وحاولوا ترتيب الأمور
بالشكل الذي يضمن لهم الاستمرار في لسيطرة على البلاد، واستراع عو من الثورة
من النفوس، وكانت اللغة العربية والعقيدة الدينية من المسائل التي حظيت
باهتمامهم

كان الاستعمار الإنجليزي يحفظ لفرص اللغة الإنجليزية في مجالات التعليم،
ومن ثم افرصت السلطة الاستعمارية سنة ١٨٨٩ اللغة الإنجليزية في المدارس
«مصرية» لتصبح لا محذور مادة دراسية، بل لغة التعليم في كل المواد، وبذلك
أصبحت لعربية محذور مادة دراسية، وظل الصراع من أجل تعريب التعليم قائماً
إلى أن أدرج الإنجليز تعريب لغة التدريس سنة ١٩٠٧^(٢)

وإذا كانت محاولة لإحياء قد فشلت في القصص على العربية الفصحى فإنها
قد تركت أثرها السبئ على مدرّس العربية ودرس اللغة لعربية أيضاً، مما يُكره
المتعلمين بالعربية، ويرين لهم تعلم اللغة الإنجليزية، وكان بدير تلك السياسة
(«مسر ديلوب») لقيس لريطاني ندي عنه المعتمد البريطاني في مصر (الورد
كرومر) مستشاراً لوزارة المعارف المصرية، وكانت مادة اللغة «عربية» والدين،

(١) ينظر سعيد لأفغاني من حاصر اللغة العربية ص ٣١ ٥١

(٢) محمود فهمي حجازي اللغة العربية عبر القرون ص ٧٦

والنابح موضع عبادة خاصة في تلك السياسة

«أما للغة العربية فقد حُطَّتْ دلوُب لِقَتْلِها والقضاء عليها، فكان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا اثني عشر حيهياً، إلا مدرس اللغة العربية وحده، يتقاضى أربعة حيهيات، وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك، سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع وحين يصح مدرس اللغة العربية في هذا لوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام، فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة التي يدرسها، وقد كان هذا هو الهدف المقصود من وراء ذلك، التدبير الحبيب لقد انتقل الوضع المهين من المدرس إلى المادة وصارت اللغة العربية موضع الأزدراء والتحقير والنور ولم يكن بد من أن يتقل هذا الوضع المرري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بلك اللغة، وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الحيث^(١)»

وكان الإنجيز يعملون بحاس ذلك على إثارة الشبهات حول صلاحية اللغة لعربيه للحياة المتحصرة، ويضحمون مشكلات الكتابة العربية، ليدعوا إلى سد اللغة لفصحى وسد الحرف العربي، واستخدام العامة لغة، والحرف اللاتيني رسماً، ولهذا الموضوع حديث طويل نكلم به بعد أن نطر ما فعل الفرنسيون في بلدن المغرب العربي، خاصة الجزائر

نسلف العرو الدعوي على تونس والجزائر والمغرب، لكن المعركة لم تصل دروتها الصاروة مثلما وصلت إليها في الجزائر^(٢) «فكان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى القضاء على عروبة الجزائر، فكان التعليم بحديث مد البداية (١٨٣٠) تغليماً للمستوطنين الفرنسيين وحدهم، ولذا ظل التعليم في الجزائر حتى الاستقلال يتوسل باللغة الفرنسية في تدريس كل المواد الدراسية، وقد سح الفرنسيون على مدى عدة أحيان في جعل الجزائريين يتعاملون في الحياة العامة

(١) محمد قطب واقعا المعاصر ص ٢١٩، ويظر محمود محمد شاكر أباطيل وأسمار ص ١٦٦

(٢) عائشة عبد الرحمن لعا والحياة ص ١٦٤

سبعة مرسية أيضاً، وكان برقي والحصارة لا يكونان إلا بها ويرجع نجاح الفرنسيين هنا إلى طول مدة الاستعمار الفرنسي، فقد امتدت أكثر من ستة أعين، وكثره عدد المستوطنين فرسيين في كل مرافق البلاد، كما يرجع أيضاً إلى أن بحرثر سم بكر قد عرفت بهضة عربية قيل عهد الاحتلال، على نحو ما عرفنا تونس، ولم بكر بها معهد علمي من طراز الزيتونة في تونس، أو الفريين في مصر لقد حمل الفرنسيون في الجزائر العربية الفصحى بعدة عن انتداب، فاللهجات عربية المحية بسود في التعامل اليومي المحدود حسب إلى جنب مع اللغة الفرنسية في المناطق العربية، واللهجات البربرية تسود مع اللغة الفرنسية في المناطق البربرية، وبذلك أصبحت الفرنسية لغة مشتركة، وكنت من قبل العربية^(١)

وطأت معركة اللغة العربية من أجل البقاء، كما طالت معركة الجزائر من أجل الاستقلال، وامتدت إلى ما بعد الاستقلال، فإذا كانت فرنسا قد حلت عن الجزائر سنة ١٩٦٢، فإن إعلان انتصار العربية في بحرثر كن سنة ١٩٧٠^(٢)

أما حال العربية في بلاد الشام عامة وفي لسان خاصة فإنه خضع لعدة مؤثرات، فاستلاد كانت تحت الحكم العثماني المباشر، مما يفسح المجال للغة لتركة بجانب سبعة عربية، وكان للعود الأجنبي في لسان أثر واضح في الحياة العلمية والثقافية واللغوية، «وكانت المدارس لأحية تمثل صورة من صور المنافسة بين حركات التنشير المسيحية، لقد اهتم الإنجلييون الأمريكيان منذ دخولهم لسان (١٨٢٠) بإنشاء المدارس الداعية إلى التحول إلى طائفتهم، وحتى سنة ١٨٦٠ كانوا قد أسسوا حوالي ثلاثين مدرسة ومعهداً لتأهيل المدرسين، وكان اليسوعيون الكاثوليك منذ ١٨٣١ قد أسسوا عدداً من المدارس قبل ١٨٦٠

وقد زادت مدارس المشيرين بعد حوادث ١٨٦٠^(٣)، وتنوعت المدارس بتعدد

(١) محمود فهمي حجازي اللغة العربية عبر القرون ص ٧٤-٧٥

(٢) ينظر عائشة عبد الرحمن نساء والحياة ص ١٦٩-١٨٥

(٣) وقعت أحداث ١٨٦٠ في لسان بين الدرور والمواربة، وقُتل كثير من الفرنسيين، وهي =

لدى و بطوائف فكانت في بيروت ودمشق والقدس مدارس إنجليزية وأمريكية وروسية وفرنسية وألمانية وإيطالية كانت هذه المدارس تهدف إلى إصعاف متكامل للاحقي في الدولة العثمانية، ولذا فكانت لا تدرس اللغة التركية، وحدثت اللغة العربية لغة التدريس، وهكذا كانت المدارس الروسية لأرثوذكسية و لإنجليزية الأمريكية تهتم باللغة العربية إلى جانب بلغة لأحسة^(١)

كانت عدية مدارس استشرية باللغة العربية لأغراض سياسية ونشرية، ولهد كانت تلك العناية بحصع لسلك الاعتبارات، فقد نشأ النعيم لعالي في لسان في إطار لنشير أنصاً، فقد أسس لإنجيليون (١٨٦٦) لكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية)، ثم أنشأ الكاثوليك (١٨٧٥) جامعة القديس يوسف كان التدريس في كلية السورية الإنجيلية يتناول أوّل الأمر الآداب والعلوم والطب والصحة، وكانت كل هذه التخصصات تدرس باللغة العربية، ولكن التدريس في جامعة نقديس يوسف كان بالفرنسية واللاتينية امتداداً لمعهد اللاهوتية وعلميه لكاثوليكيه في فرنسا، وكانت دروس اللغة العربة وحده باللغة العربة وقد كر الاهتمام باللغة العربة موضع منافسة بين دوائر النشر، وأدت هذه المنافسة إلى ظهور الحركة العلوية العربة بين المسيحيين في لسان، وأهم أعلام هذه حركة العلوية إبراهيم ليدحي مؤلف لغة (الحرائد)، ويطرس سسائي مؤلف (محيط محيط) (١٨٦٩) ومن حداً حدوهما بعد ذلك

قد طحت الكلية السورية لإنجيلية تدرس العلوم كلها بالعربة، ولكنها تحولت مع ضعف عثمانيين وربده لنعوذ الأوروبي إلى هجر لتدريس بالعربة، وما أن احس النميطيون مصر (١٨٨٢) حتى كانت لكلية السورية لإنجيلية في بيروت قد حولت لتدريس من لعربة إلى الإنجليز، وأصبحت اللغة العربة سحرر مادة

المدور مسادة من لإنجليز، فيما لقي النصارى الحماية من الفرنسيين (ينظر بروكلمان تاريخ شعوب لإسلامه ص ٥٧٣)

(١) محمود فهمي حجازي لغة العربة عبر القرون ص ١٠ ٧١، وينظر سعد الأفعاي من حصر اللغة لعربة ص ١٧ وص ٢٢ وص ٢٥

درسية وكنت من قل لعبة التدريس^(١)

تلك أهم ملامح النشاط اللعوي في بلاد العرب في القرن التاسع عشر، وهو سلسله من التنافس والصراع بين العربية ولعبة الأقوام العارية، وكنت لعبة العربية عميقة، محدود في هذه البلدان، راسحة في قلوب أسائهم، ومن ثم عدل المستعمرون عن معركة المباشرة والسريعة مع العربية، إلى معركة طويلة غير مباشرة، هي معركة إثارة الشهات وترويح الدعاوى الناطلة، فهل سيجحون في هذه المعركة؟

(١) محمود فهمي حجازي اللغة العربية عبر لقرون ص٧١، ويظهر سعيد الأعادي من

حاصر اللغة العربية ص٢٥ ٢٧

المبحث الثاني

مرحلة مواجهة الشبهات

لم تمنح سياسة المهر التي لجأ إليها المستعمرون في محاربة العربية، لأن مقوّمات الحيوية الكامنة فيها كانت أقوى من محطّطتهم، ومن ثمّ تحولوا عن «مواجهة المباشرة» إلى المحاولة وإثارة «شبهات» التي تؤدي إلى تشكيك أهل العربية بقدرتها على التعبير عن متطلبات الحياة، و«حميل اللغة العربية» و«رسمها» مسؤولية ما تعدي منه الأمة من ضعف وتحلف

وكانت إثارة تلك الشبهات قد ظهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر، وسمرت إلى النصف الأول من القرن العشرين، على يد «المستشرقين» من المشركين وغيرهم، ثم على يد تلامذتهم من العرب الذين تمكنوا من إعدادهم بحمل عبء مواصلة لهجوم على اللغة العربية، «المصحى»

وتركز هجوم المشركين في هذه المرحلة على لحرف العربي، و«لدعوة» إلى التحدي عنه واستعمال الحروف اللاتينية التي تكتب بها اللغات الأوروبية مكانه ورفض ذلك بدعوه إلى التحدي عن العربية «المصحى»، وإحلال اللغة النعمية مكانها

أولاً الدعوة إلى استخدام الحروف اللاتينية

منذ حدود هذه الدعوة إلى أواخر القرن التاسع عشر، حين نشر المستشرق الألماني (ويهلر ستا) الذي كان يعمل مديراً لدار الكتب المصرية كتابه «قواعد العربية لعمده في مصر» سنة ١٨٨٠م، وقال في مقدمته، وهو مكتوب باللغة الألمانية، متحدثاً عن صعوبة العربية «المصحى» «وصريقة» الكتابة العقيمة، أي بحروف «هحاء» لمعقدة، يقع عليها «نطع» أكثر فسط من اللوم في كل

هذا^(١) واستعمل سيت الحروف اللاتينية في كتابة الأمثلة والنصوص العامة التي أوردها في كتبه

وترددت أصداء هذه الفكرة في أرحاء الشرق العربي، فحدد المرحوم الأستاذ حسني ناصف (ت ١٩١٩م) يقول «وقد ظهر في مصر جماعة من جهلاء عربتهم مطاهر المدينة العربية، واستهوتهم رخايف الحصار الإمبريكية، وطبوا أنه يكفي بوصول إلى مثلها تعبير لأرياء فجأر بعضهم بهجر العربية ولاقتصر على المحاطة والمكانة العامة، ويعق بعضهم باستدانة الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وكنتها من السار إلى اليمين»^(٢)

وظهرت تلك الدعوة في بلاد الشام، فشرت جريدة (الاسيري) الفرنسية التي تصدر في بيروت مقالة بشأن كتابة اللغة العربية وغيرها من الدعات لشرقية بحروف لاتينية، في أواخر سنة ١٩٢٢م، وباعث المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٣م، في إحدى جلساته، هذه القضية، ورفض تلك الدعوة^(٣)

وفي حصص الأحداث التي شهدتها البلاد العربية والدول الإسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية، وسيطرة الدول الأوروبية على مقدرات تلك البلدان، واشتداد برعة التقيد لمحصرة العربية، أعلن مصطفى كمال أتاتورك، زعيم تركيا الحديثة، التحدي عن بحرف العربي في كتابه اللغة التركية، واستعمل الحروف اللاتينية مكانه، وذلك في سنة ١٩٢٨م^(٤)

وشطت الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في كتابه اللغة العربية بعد تحول الذي حدث في تركيا، وظل المستشرقون في طليعة الداعين إلى ذلك، فكان لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي، الذي طاف بلاد العرب من أقصاه

(١) نفوسه ركيب سعد تاريخ الدعوة إلى لغته ص ٢١

(٢) تاريخ أدب ص ٨٢

(٣) محله مجمع مع ٣ ج ٦ (أراء وأفكار) ص ١٧٧

(٤) بنظر بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٩٩

إلى أقصاها يُشترط مظاهر «الحضارة العربية»، من المتحمسين للدعوة إلى استعمال
الحروف اللاتينية لرسم اللغة العربية، قبل التحول الذي حصل في تركيب
وبعده^(١)

وكان عبد العزيز فهمي (ت ١٩٥١م) أحد رجاء القصة في مصر - من أكثر
المتحمسين لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ويحصر دعوته بقوله «قد
فكرت في هذا الموضوع من زمن طويل، فلم يَهْدِي التفكيرُ إلا إلى طريقه
وحده، هي اتحاد الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات، بدل حروف
عربية، كما فعلت تركيا»^(٢)

وتقدّم عبد العزيز فهمي بمقترحه إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة في شهر
مايس من سنة ١٩٤٣، وقام المجمع بمناقشة المقترح في شهر شباط من سنة
١٩٤٤م، وقرر طبعه مع مقترح آخر للأستاذ عبي الحارم دعا فيه إلى استخدام
نظام جديد للحركات في الكتابة العربية، ليطلع عليهما الرأي لعام العربي، كما
قرر للمجمع وضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير لكتابه
العربية، وحدد يوم ٣١ آذار من سنة ١٩٤٧ آخر موعد لتقديم المقترحات، ونلقى
أكثر من مئتي اقتراح، لكنّ أياً منها لم يحقق الهدف المنشود في نظر المجمع،
ومن ثم قرّر إلغاء الجائزة^(٣)

وحسب الدعوة إلى استخدام الحروف اللاتينية بعد الصيغة التي أحدثها عبد
عزيز فهمي بمقترحه الذي لم يلقَ التأييد من أحد، اللهم إلا من أشخاص ربطوا

(١) ينظر المجمع العلمي العربي مجلة المجمع مع ٨ ح ٩ (آراء وأفكار) ص ٥٦٨، ومع ٩

ح ١ (آراء وأفكار) ص ٤٣٣

(٢) تيسير انكته العربية ص ١٢

(٣) مجمع اللغة العربية في القاهرة تيسير الكتابة العربية (مراحل دراسة الموضوع)، مجلة

المجمع ح ٩ سنة ١٩٥٧ ص ٢٨٣ ٢٨٦

أنفسهم بدوائر لتشير والاستشراق، مثل سلامة موسى^(١)، وسعد عقل^(٢)، وأبس
فريجة^(٣)

وقد مات الآن تلك الدعوة عملياً، وزال حطرها، فلم نجد لها طريقاً إلى
التطبيق العملي في البلدان العربية، وإذا كنا اليوم نشير إلى هذه الدعوة فإن ذلك
من باب الدراسة التاريخية، لأن الظروف التي أفرقتها قد تغيرت، والصحح التي
كانت دعائها سعللون بها قد بان ضعفها، ويسرت وسائل الطاعة لحدثة
سعمال لحرف العربي عية التيسير، وقطع ذلك ألسن من كان يدعو منك
دعوه، وكثر أعلامهم^(٤)

ثانياً الدعوة إلى استعمال اللغة العامية

اللغة العامية هي لغة العامة التي يستعملونها في شؤون الحياة اليومية، هي
السب أو السوق أو مكان العمل، وتقابلها اللغة الفصحى، وهي لغة النكدة التي
ستعمل في العلم والأدب والمكتبات الرسمية، وتتميز العامية بالتنوع، سيما
تتميز الفصحى بالثبات والاستقرار، وكثيراً ما ستخدم كلمة (الله) مكان
(لعمرة)، وهناك علاقة بين اللغة الفصحى ومجموعة لهجات التي ترتبط بها

ونعزُ الاختلافات اللهجة شئاً طبعياً في كل المجتمعات اللغوية، فوجود
مستويين للغة أمر مطرد وظهره عامة في كل لسان، لكن هناك تمايز في مقدار
التمايز بين العامية والفصحى التي ترتبط بها، وفي جميع الأحوال تتميز العامية
بمعجم لغوي محدود الألفاظ، كما تتميز بصيغ في أساليب التعبير، وهي بذلك
تتسبب والاحتاجات اليومية للمتكلمين بها وتتميز اللغة الأدبية الفصحى بمعجم

(١) سلاحة لعصرة ص ١٤٣

(٢) سطر ميل يعقوب السطر لعربي ص ٨٦

(٣) لمصدر نفسه ص ٨٧

(٤) سبق أن ناقشت بجواب لعمية بموضوع الدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في
الفصل السادس من كتاب (علم النكته العربية) طبع في دار عمارة الأردن

لعوي كبير، وتنوّع في الأساليب، يمجّحها القدرة على التعبير العلمي الدقيق،
والتعبير الفني المؤثر الجميل

وكانت اللغة العربية لفصحى لغة العلم والأدب والحصرة مد أن برل بها
القرآن انكرم، وصارت لغة الدين، وكانت تعيش معها الدهجات المحلية، أو
العدت العامة، وكل منها يؤدي دوره في محاله، بصورة يتكامل فيها الشط
الدعوي للمجتمع

واستعمل المستعمرون هذه الطاهرة اللغوية للصاد من خلالها إلى تحقيق هدف
يحتصر بهم المسافات، ويوفر عليهم الجهد، فدعوا إلى استعمال «لغة العامة في
الكتابة، مكان لغة الفصحى، بحال دعوتهم استعمال لحروف اللاتينية في
الكتابة، وتتقطع بذلك وصال لأمة بعدد ما فيها من عاميات، وتتقطع عن تراثها
العظيم المكتوب بالحرف العربي»^(١)

وتاريخ هذه الدعوة منشعب وطويل، ولا يتسع المقام للإمام بكل تفاصيله^(٢)،
وسوف أكتفي بعرض المعالم البارزة منه، من خلال الحديث عما كُتبت عن هذه
لقضية بأقلام أحسبه، وما كُتبت عنها بأقلام عربية

١ الدعوة إلى العامة بأقلام أجنبية

كان المؤسس لهذه الدعوة والمروّج لها في نادى الأمر هم المشركون الذين
كانوا يظهرون بناس الاستشرق وللمستشرقين، ورائد هؤلاء المستشرق الألماني
ولهم سينت (١٨١٨ - ١٨٨٣م)^(٣) الذي عمل مديراً لدار الكتب المصرية في
القاهرة، وشهر سنة ١٨٨٠ كتباً بالألمانية عنوانه (قواعد العربية العامة في

(١) ينظر عائشة عبد الرحمن لعت والحياة ص ٩٥

(٢) من أوسع ما كُتبت عن هذا الموضوع كتاب تاريخ الدعوة إلى اللغة العامة وأثرها في
مصر، للدكتور هوسة زكريا سعد (ينظر محمود محمد شاكر أدبنا وأسماء
ص ١٥٣-١٥٤)

(٣) ينظر لركلي لأعلام ١٥٦/٥

مصر)، ويعد كتاب سنت الرائد لكل من كتب في العمية بمصرية من الأجاب، ومن هذا الكتاب شئت الدعوة إلى اتحاد العامية لغة أدبية، والدعوة إلى انكثاته بحروف اللاسة^(١)

وعن من المفيد للمارىء نقل بعض ما قاله سبتا في مقدمة كتابه عن ادواف التي حمته على تأييعه، واهدف الذي يرمي إسه من وراء ذلك، لأنه يكشف عن أهداف هؤلاء المستشرقين من الأعمال العلمية نتي يقومون بها، وعن طريقتهم في تريبف الحقائق ومحادعه القراء، لإقناعهم بالأفكار التي يروحوون بها

قال سبتا «وأخيراً سأجاف بالتصريح عن الأمل الذي راودي على لدوم طوال مده جمع هذ لكتاب، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها، ويمشُ أمراً هو داسة إبيها وإلى شعبها يكاد أن يكون مسألة حياة أو موت! فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي اشهاد فيها بسب الاختلاف نواسع بين لغة الحديث ولغة الكتبة فهي مثل تلك الظروف لا يمكن مطلقاً التفكير في ثقافة شعبية، إذ كيف يمكن في فترة التعليم لاندائي قصيره أن يحصل نمرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جداً كلسغة العربية لفصحى، سم يعبى لشباب في مدارس ثانوية عداد در سنها خلال سوب عدة دور أن يصلو إلى شيء، نهم إلا نتائج لا تُرصى نائاً وطريقة الكتابة العفيمه، أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكثر قسط من الدوم في كل هذ»

«ومع ذلك فكم يكون الأمر سهلاً لو أُتيح للطالب أن يكتب بلغة، إن لم تكن هي لغة الحديث شائعة، فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة، بدلاً من أن نحر على كتابة بلغة هي من لغة نالسه إلى الجبل لحاني من المصريين مثل لغة اللاتينية دالسه إلى الإيطاليين، أو مثل لغة النلة

(١) ينظر عن كتاب سبتا نمرء ركب سعد تاريخ الدعوة إلى العامية ص ١٨ ٢٤، ومحمود محمد شكر اناطيل وأسماء ص ١٦٢، وأحمد عبد نهور عطار ارحف على نعه العرب ص ٥٠ ٥١

«يوانية» لقديمة بالنسبة إلى ليونانيين. فماد، لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسسة إلى ما هو أحسن؟ ساطة لأن هناك خوف من تهمة التعدي على حرمة الدين إذا تركنا كُنية لغة لقرا، ولكن لغة القرآن لا يُكتب بها لأن في أي قطر؟ فأيم وحدث لغة عربية مكتوبة فهي اللغة العربية الوسطى، أي لغة الدويرين وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يفلقها نسي لغة «حديث عامية» إذ إن لغة الصلاة والطموس الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان «^١»

وتابعت الأفلام لأحسية دعوتها إلى استخدام العامية في الكتابة متدربة بأوهي صحيح، وإما هي تهدف إلى إقصاء العربية «الفصحى» حتى تنقطع أوصال الأمة باستخدام العامية، وحتى تنقطع الأمة عن تراثها، ويسهل حينئذٍ تحطيم قوتها بروحها ولحصارية لني نشتد إليها في نقدنا وفي تطوعها إلى مستقل

ومن أشهر الذين كتبوا بعد ست في هذا الموضوع

١ كارل فلزس، المشرق، الألماني (١٨٥٧ - ١٩٠٩م) الذي تولى إدارة مكتبة دار كتب بمصرية^(٢)، وكتب كتابه عن (اللهجة العامية الحديثة في مصر) سنة ١٨٩٠م^(٣)

٢ وليم ولكوكس، مهندس الري الإنجليزي، المولود في الهند سنة ١٨٥٢م، وحتوى بمصر سنة ١٩٣٢م، وكان قد دخل مصر سنة ١٨٨٣م، وقام بعدة أعمال بالترويج لاستعمال العامية، منها إلقاء محاضرة في نادي لأركيه سنة ١٨٩٣ موصوعها (لم لثم توحد قوة الإحراع لدى المصريين الآن)، ثم نشرها في مجله الأهرام التي كان يشرف عليها، ونشر معها إعلاناً نصه «من قديم هذه

(١) نقلاً عن كتاب تاريخ الدعوة إلى العامية ص ٢١-٢٣

(٢) ينظر البركلي، الأعلام ٥ ٢١٢

(٣) ينظر نفوسه زكريا سعيد تاريخ الدعوة إلى العامية ص ٢٤ ٢٥، ومحمود محمد شاكر

أباطيل وأسماء ص ١٦٥

احتطه باللغة الدارجة المصرية، وكانت موافقة جداً، يكافأ بإعطائه أربعة جنيهات إفرنجية « وكان جوب ولكوكس عن سبب عدم وجود قوة الاحتراع لدى المصريين هو تمسكهم بالعربية الفصحى التي وصفها بأنها لغة ضعيفة مأت من رمر، وقد هي تلك المحاصرة محاطاً المصريين «وأقول لكم إذا جئتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تسبحون كثيراً »

ولم نكتف ولكوكس بهذه المحاصرة، فترجم الإنجيل إلى العامية، وقطعاً من رويات شكسير، وكتب دعامة كتاب «الأكل والإيمان» الذي صممه إرشادات صحة مصطعة بتعاليم لدين المسيحي^(١)

٣- سدد ولمور، العاصي الإنجليري في المحاكم الأهلية في مصر، شر في سنة ١٩٠١م كتاب «العربية المحكية في مصر» وهو امتداد لكتابات سبتا وممر جاء بعده، ومن أعجب ما قاله فيه «ومن الحكمة أن ندع حاباً كل حكم حاطىء وُحَّه إلى العامية، وأن نقلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد، على الأقل في الأعراف المدنية التي لست لها صعة دينية، وهناك سب يدعو إلى الخوف، وهو أنه إذا لم يحدث ذلك، وإذا لم تتحد طريقة مسطرة للكتابة فإن لغة الحديث وبعة الأدب سقرصا، وستحل محلها لغة أجسية، نتيجة لريادة الاتصال بالأمم لأوروسية»^(٢) وقد مضى عليها أكثر من قرن من الزمان، والحمد لله

٢ الدعوة إلى العامية بأقلام عربية

لست دعوات سبتا ومتابعيه استجابة من عدد من انكُتاب، ونرددت أصداؤها على صفحات الجرائد، وانطلق عدد من الألس والأقلام التي نتسب إلى بلاد العرونة ليرديدها، فبعد سنة من شر سبتا كتبه شرت محلة (المفتطف) المعروفة

(١) ينظر عن أعمال ولكوكس المصدران السابقان ص ٣٢-٧١، وص ١٦٥

(٢) ينظر عن ولمور المصدران السابقان ص ٢٥-٣٠، وص ١٦٧ ١٦٨

بولائها للمستعمرين^(١)، هي أواخر سنة ١٨٨١م، مقالاً تقترح فيه كتابة العنوم بالعامية، ولم يصرح كاتب لمقال باسم سييتا، لكنه استخدم مدة كتابه فيه، وأثار هذا المصدا نقاشاً طويلاً حول الموضوع^(٢)

وسارت مجلة المقتطف إلى تقرير كتاب (ولمور) الذي صدر سنة ١٩٠١، وأسهمت مجله الهلال في لنقاش، ونشرت مقالاً لاسكندر المعروف أيد الدعوة إلى استعمال العامية^(٣)

وكتب سلامة موسى في مجله الهلال في (حريون ١٩٢٦) مقالاً بعنوان (اللغة الفصحى واللغة عامية ورأي السير ولكوكس) أيد فيه الدعوة إلى استخدام العامية^(٤)، وملا سلامة موسى كتابه «إصلاح العصرية» بهذه الروح العبيصة المعادية للفصحى وخلف لويس عوض سلامة موسى في حمل أعناء الدعوة إلى العامية، وكان يصفه بأنه أستاذة الروحي^(٥)

وكلما تقدم الزمن نقص الأورق بأيدي دعاة العامية وصفت بهم السبل، وأحدثت تلك الدعوة مباحي آخر في مصر وهو الاهتمام بدراسة اللهجات المحلية، من غير التصريح بالدعوة إلى استخدامها مكان الفصحى^(٦)

وطهر صدي دعوة المستشرقين في مصر إلى استعمال العامية في بنداا عرسة أخرى، خاصة في لسان، وكان الحوري مارون عص قد جهر بهذه الدعوة في مصر شره سنة ١٩٢٤ بعنوان (حبة اللغة وموتها - اللغة العامية) وأعاد شره سنة

(١) ينظر محمد محمد حسين الاتجاهات النوطية في الأدب المعاصر ١ ٢٣٧

(٢) ينظر بقوسة كريا سعد تاريخ الدعوة إلى العامية ص ٩٤، ومحمود محمد شاكر

أنطيل وأسعار ص ١٦٤، وعدائشه عبد الرحمن لغت والحياة ص ١٠١

(٣) ينظر محمد محمد حسين الانجهاات نوطية ٢ ٣٣٥

(٤) ينظر أحمد عبد لعمور عطار الرحب على لغة القرا ص ٥٥ ٥٧

(٥) ينظر محمود محمد شكر أنطيل وأسعار ص ١٤٨

(٦) ينظر محمد محمد حسين لانجهاات النوطية ٢/٢٣٧ ٣٣٩

١٩٢٥ في كتاب يحمل عنوان نفسه^(١)

وحين بدأ أبيس فريحة نشر بحوثه ومقالاته كان يردد مجموعة الشبهات التي أثارها المنششقون وتلامذتهم عن العربية الفصحى والخط العربي، وهي نصت في لدعوه إلى سد الفصحى واستعمال العامية، وترك الحرف العربي واستعمال الحرف اللاتيني كما يبدو ذلك في كتابه «تسيط قواعد العربية ١٩٥٢»، وكتابه «بحو عربية ميسرة ١٩٥٥»، وفي كتابه «اللهجات وأسلوب دراستها ١٩٥٥»، وكتابه «نظريات في اللغة ١٩٧٣» وهو في كتاباته المتأخرة يبدو أكثر اعتدالاً من كتاباته الأولى، وكان عشرين سنة من العمل في هذا المجال قد أكسبته فاعة تكف عن لدعوه لمباشرة إلى استعمال العامية والحرف اللاتيني، والتحول إلى «نصوب انتميح وإيحاء» فكرة للقارئ دون التصريح بها^(٢)

وكان سعيد عقل قد تسي استعمال العامية والحرف اللاتيني، فكتب مقدمة ديوان (حلبار) لدرجان السامي ميشال طرود سنة ١٩٥١، ثم أصدر ديوان شعر سمه (بر شعر) كتبه بالعامية للسامية والحرف اللاتيني^(٣)

وكان صدى هذه الدعوة في البلدان العربية، لأخرى أقل بروراً، فبلدان المغرب العربي كانت تحوص معركة مواجهة فرص اللغة الفرنسية في الاستعمال بدل العربية، وبلدان المشرق العربي كانت تعاني من سياسة التتريك أكثر مما عانت من دعوه استعمال العامية

ونت هذه لدعوه إلى الانقراض، سبب المعارضة القوية، التي أبداها العلماء والمؤسسات العلمية، حتى تحولت إلى قصة تاريخية، قد تبدو آثارها في بعض الجوانب، لكنها فقدت حاديتها أو قدرتها على الإقناع، بعد أن كذّب مرور قرون

(١) ينظر أحمد عبد المعور عطار الرحف على لغة القرآن ص ٧١ ٧٢ وإمين بديع

يعقوب معه لغة العربية وحصلتها ص ١٥٢-١٥٣

(٢) ينظر أحمد عبد المعور عطار الرحف على لغة القرآن ص ٧٦

(٣) ينظر المصنوع نفسه ص ٨١-٨٢

من لرماد كل النسوات الكادبة التي أطلقها مروجوها

ولا يعني ما ذكرناه من رواة أثر تلك الشبهات وما أسبى عليها من دعوات من
يهومون أبناء العربية أن الساحة حلت تماماً من دعائها، لا سيما أن هناك بعض
المشكلات التي لا تزال العربية تعاني منها، وقد تستغل للترويج لبعض الأفكار
السموية الشاذة، خاصة أن مراكز البحث التي كانت توحّ (سبينا) ومن سار على
دربها ما تزال قائمة، وتحمل الرسالة نفسها، وإن احتلّت لوسائل بعد أن ظهر
عصر الوسائل القديمة من النيل من مكانة العربية الفصحى، التي تعرّز موقعها من
حلال نشر كتب التراث العربي، وانحسار الأمية عن أبناء الأمة، وما أدركته
وسائل الطباعة الحديثة، ووسائل نشر المعلومات من إمكانات كبيرة في تبسيط
تعليم اللغة وتحرير فرص استخدامها في التعبير عن حاجات المجتمع العلمية
والثقافية

وإذا كانت المعركة بين العربية الفصحى وأعدائها لم تنته، فإن ذلك يوجب
على القائمين على أمرها، والمجيبين لها، العمل على معالجة المشكلات التي ما
تزال العربية تعاني منها، حتى لا تُستغل للحط من قدرها، والدعوة إلى هجرها،
ولا شك في أن مرحلة معالجة المشكلات أحف من مرحلة مواجعة الشبهات،
نكر التقاعس عنها قد يترك أثراً سلبية تصعب معالجتها

المبحث الثالث

مرحلة معالجة المشكلات

تحوُّل أكثر جهد المهتمين بأمر العربية بعد منتصف القرن العشرين إلى معالجة مشكلات انني سنحدث في حياة اللغة في العصر الحديث، بعد أن هدأت معركة مواجعة انشغالات ولعل أكثر تلك المشكلات حاجة للمعالجة مشكلة المصطلح العلمي والحصاري، ومشكلة العامية والفصحى أو الازدواجية في الأداء اللغوي، وقضية تيسير قواعد اللغة العربية

أولاً مشكلة المصطلح العلمي والحصاري

كان دعاة لعمية والحرف اللاتيني يستندون في دعوتهم إلى بقول بأن العربية الفصحى لا تصح للتعبير عن العلوم العصرية، على نحو ما أشرنا في المبحث السابق وهذه مقوله بكذب التريخ وترده الوقائع، لكن نقاب نلامدة المستشرقين والمستشرقين ما يزالون يرددونها، وهم في واقع الحال اليوم ما يبدو حجة مضعة، فالجامعات العربية تُدرِّس العلوم التطبيقية باللغات الأجنبية ولكن هذه الحالة لم تأت من عجز العربية عن التعبير، وإنما من عجز القائمين على تدريس تلك العلوم

ولعل مما يُسَلِّي انقاريء، ويثير حماسه أيضاً، نقل بعض مراغم أعداء العربية لقائلين بعجزهم عن التعبير عن العلوم الحديثة، قل أن أعرض الشواهد التاريخية القرية ولعبدة الدالة على بطلان تلك المراغم، يقول سلامة موسى، وهو من قدماء نلامدة الاستشراق «إن يمكن التألف العلمي باللغة العربية بحروفها الحاصره، يُقَوَّأ أن هذا محال، ومن يقل غير ذلك إما أنه صا، وإما أنه مصبل، أسألو كلية طب، أسألو كلية الهندسة، أسألو كلية الزراعة، أسألو كليات

العلوم جميعها، إنها جميعاً تدرس علومها باللغة الإنكليزية، لماذا؟ لأن لعنا
العربية موضعها الحاضر، واعتمادها على الحروف العربية، لا يمكنها أن تؤدي
هذه الخدمة»^(١)

ومن هذا يقيل قون الدكتور محمد كامل حسين «ومهما يكن من حماسة
بمتمسكين بهذه الفصحى العالية، مما لا راع فيه أنها لا تصبح بدراسة
الرياضيات العليا مثلاً، ولما شغلوا بهذه العلوم يستحيل عليهم أن يفكروا فيها
تفكيراً حراً عميقاً إذ، توجهت عنايتهم إلى تمييز العدد وجسه وإعرابه هذه العلوم
لا تستقيم مع مقتضيات قواعد الفصحى العالية بحال من الأحوال، وكذلك علوم
الفيزياء والكيمياء»^(٢)

وهذا الكلام مبالغ فيه، كما أنه لا يحلو من مجابة الحقائق، فاعربية كانت
لغة العلوم في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، واعتمدت النهضة العلمية
لأوروبا في بادئ الأمر على ترجمة الكتب العلمية العربية في الطب
والرياضيات والفلك والكيمياء والصيدلة وغيرها^(٣)

ولدينا شواهد حديثة على استعمال اللغة العربية في التعبير عن العلوم الحديثة،
فمدرسة علي التي أسسها محمد علي باشا لتدريس العلوم العصرية، كانت
تعتمد على المدرسين الفرنسيين في بادئ الأمر، وصاحب ذلك حملة واسعة
لتعريب تلك العلوم، وفي حدود سنة ١٨٣٠م «أصبح كل المدرسين يدرسون
باللغة العربية على نحو مباشر، واعتمد الطلاب على كتب مطبوعة باللغة العربية
في العلوم المختلفة»^(٤)

(١) انبلاغة انصرية ص ١٦٥

(٢) اللغة العربية المعاصرة ص ٨

(٣) ينظر عائشة عبد الرحمن نساء والحياة ص ١٣٢، وأحمد مطبوع دعوة أبي عرب
العلوم في الجامعات ص ١٣٢

(٤) محمود فهمي حجازي اللغة العربية عبر القرون ص ٦٦

وكانت انكليزية سورية الإنجيلية التي أسسها الأمريكان في لسان سنة ١٨٦٦م تُدرّس لأداب والعلوم والطب والصيدنة باللغة العربية، قبل أن ترحع عن هذه الحطة بعد احتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢م، وأصبحت اللغة العربية فيها مجرد مادة دراسية، وكانت من قبل لغة التدريس^(١)

وحظيت هذه الكلية في أول عهده بمعلم العربية الشيخ ناصف اليارحي، كما حظيت بأطباء ثلاثة درسوا العربية وأتقنوها على أساتذته مهرة، ثم صعدوا لمصوبهم المؤلفات العربية، وعُوموا العناية البالغة بتحري الكلمات العربية للمصطلحات العلمية، وهؤلاء الثلاثة هم (فاندك) و(جورج بوست)، وهما أمريكيان، و(يوحنا ورتنات) الأرمني

أم (فاندك) فقد ألف بالعربية الماثولوجية (علم الأمراض)، و(النقش على الحجر) في سبع مجلدات صغيرة، كل مجلدة منها في موخر علم من العلوم الحديثة كالكيمياء والطبيعة (العيرباء) والجيولوجية والفنث والجغرافية، والطبيعة وغيرها، وله في التريصات والفلك (الأصول الحديثة) و(الأصوب الهندسية) و(أصوب الهيئة في علم الفلك) و(محاسن القبة للرقاء)، وله كتب أخرى، كما أنه ترحم الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) إلى اللغة العربية بالاستعانة بأستاديه وصديقيه بطرس الستاني وناصر اليرجي

وأما (جورج بوست) فإنه كان يدرّس الجراحة والمواد الطبية والسات، ومن مؤلفاته الطبية باللغة العربية (المصاحح الوضاح في صناعة الجراح) و(الأقرباديين والمواد لطية) و(مبادئ التشريح والفسولوجية)، وله كتاب (مبادئ علم السات) وكتب (علم الحيوان)

وأما (يوحنا ورتنات) فألف بالعربية (كتاب التشريح) و(كتاب الفسيولوجية) و(كتاب حفظ الصحة)^(٢)

(١) ينظر المصدر لسان ص ٧١، وأحمد مطوب دعوة إلى تعريب العلوم ص ٢٣ ٢٤

(٢) ينظر سعيد الأعاني من حاصر اللغة العربية ص ١٧ ١٩

ولنتجربة ثالثة لكثيره لاستخدام لغة العربية في التعبير عن العلوم المعاصرة في العصر الحديث هي تجربة جامعة السوریه، وإن كان للمجمع العلمي العربي بذي أسس في دمشق سنة ١٩١٩م دورٌ مهم في الحياة اللغوية في بلاد الشام، لكن تجربته لجامعة أكثر اتصالاً بالعلوم وتعليمها، خاصة كلية الطب التي ألف أساتذتها كتباً كثيرة في فروع الطب المختلفة، وفي الكيمياء والفيزياء، لكن تجربة جامعة السوریه في دمشق لم تقع لجامعات العربية في السير على نفس الطريق^(١)

وبصرف جهود المعيين بأمر التعريب وتدریس العلوم باللغة العربية في العقود الأخيرة، في الجامعات العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبيروت وعمان، والجامعات العربية في لبنان العربية، والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط، وجهود الأفراد من الباحثين، لكن قضية تدریس العلوم التطبيقية باللغة العربية في الجامعات العربية لا تزال موضع أحد ورد بين أولئك المعيين، على الرغم من وجود الحماس والنية الحسنة عند كثير منهم، لكن ذلك وحده لا يكفي، ومثل ذلك الألفاظ المعبرة عن لمصوغات الحديثة التي نعزو بلاد نعروها، فتشيع أسماءها الأحسية قبل أن يجد لها المحققون العرب لفظاً يتفقون عليه

«واضح أن مشكلة تعريب ألفاظ العلم ومستحدثات الحضارة هي مشكلة الحقيقة في العصر الحديث، ومحاولة العلمية لم تستطع حتى الآن معالجة هذه المشكلة معالجة حاسمة، فإنها تنتظر حتى يشيع اللفظ الأحسي على كل لسان، ونستخدمه لعمدة والخاصة، ثم تقوم قيادة المجمع العلمية، وتحاول البحث عن لفظ عربي بديل، وبذلك يولد هذا اللفظ متناً»^(٢)

إن لغة العربية تمتلك مجموعة من وسائل تنمية الألفاظ، في مقدمتها

(١) ينظر سعد الأعادي من حاصر اللغة العربية ص ١٣٠-١٤٦، وعائشة عبد الرحمن لعت والحجة ص ١٥٦

(٢) رمضان عبد التواب فصول في فقه العربية ص ٣٢٢ ٣٢٣

الاشتقاق، والتعريب، والنحت، وهي غير عاجزة عن تلبية الحاجات اللغوية لحدبده، لكن ضعف الإرادة وعجز الإمكانيات المتاحة للقائمين على الأمر، ونشئت الجهود وبعثرتها، أدت إلى استمرار تدريس العلوم التطبيقية بلغات الأحياء، وتسمية المصنوعات الحديثة بالأسماء الأحياء، وتتفاقم هذه المشكلة كلما تقادم الزمن

ولا شك في أن ذلك من أسباب استمرار هذه الحالة الشاذة، لكن هناك سبباً أساسياً حر يعرض عنه كثيرون، وهو أن المسألة اللغوية مرتبطة بالموقف الحصري للأمة، فالأمة المستوردة للحضارة ستورد معها الألفاظ لمعرفة عن مصردات تلك الحضارة، ومتى ترقى الأمة في سلم الحضارة، وتعمق الإيمان بضرورة استخدام اللغة العربية في جميع جوانب الحياة، وتوافرت الإمكانيات المادية ولعممة اقترسا من الوصول إلى حل لهذه المشكلة والحروح من النعمية العلمية واللغوية للدول الأجنبية التي تحتكر العلم والصناعة، وتريد أن تحتكر اللغة أيضاً فهذه انقصية ليست قصية لغوية محصية بل لها بعد حصاري لعله هو الجانب الأكثر أهمية فيها

ثالثاً مشكلة الأردواجية^(١)

جعل بعض الباحثين من وجود لغة عامة بجانب الفصحى، أو وجود لغة للحديث وأخرى للكتابة، مشكلة لغوية، واتحد بعضهم من ذلك حجة للدعوة إلى التحلي عن الفصحى، واتخاذ لغة الحديث اليومي أو العامية لغة للكتابة، على نحو ما تقدم من بيان ذلك في المبحث الثاني، ولكن هذه القصية لا تشكل في الواقع مشكلة تعوق اللغة العربية الفصحى من أن تأخذ دورها في الحياة

فمن المقرر أن نكل لغة حبة في عصرنا لهجاتها المحلية التي تختلف باختلاف

(١) هناك من يفرق بين الأردواجية اللغوية، والشائبة اللغوية، فذهب اجمع لغامية وفصحى، ولديهم اجمع يعتبر مثل العرب والإنجليز، وكل من انطاهرتين يمكن أن يطور عليه أحد المصطلحين، وقد كت أرحح (الأردواجة) في موضوع

الأقاليم، وأن ظاهرة ثنائية الفصحى والعامية ليست وفقاً على المجتمع العربي، فهي كل لغة لسان عامي وفصيح^(١) ومن المهم إدراك أن وجود لهجات محكية متعددة للغة ما ليس دليلاً على التمسك بل هو دليل الحيوية، كما أن ظاهرة تعدد اللهجات المحكية من الصفات اللازمة للغة الحية، فكلما تنوعت اللهجات برزت اللغة على حيويتها وقدرتها على الاستجابة للحاجات اليومية الصغرى والكبرى لمتكلميها^(٢).

وَجَرى نقاش كثير حول هذه الظاهرة في المجتمعات العربية، وكيف يجب التعامل معها^(٣)، وعُقدت ندوة عن (الأردواجية في اللغة العربية) في عمان سنة ١٩٨٧، بالتعاون بين الجامعة الأردنية، ومجمع اللغة العربية الأردني، ونشرت نتائج الندوة في كتاب مستقل^(٤) وأكد كثير من بحوث الندوة أن لاردواجية ظاهرة لغوية إنسانية عامة، وليست خاصة باللغة العربية، وخرجت الندوة بمجموعة توصيات تؤكد وجوب العناية باللغة الفصحى وارتفاع الأداء اللغوي على مستوى الرسمي والشعبي، لتقريب العامية من الفصحى

ويسعي تذكير القارئ هنا بحملة حقائق تتصل بظاهرة الاردواجية في الأداء اللغوي في بلاد العربية

١- الاردواح اللغوي ظاهرة عامة لا تقتصر باللغة العربية، ومن ثم لا يجوز أن تُنجد هذه الظاهرة حجة للدعوة إلى العامية، وببدا الفصحى

٢ يجب لارتفاع الأداء اللغوي للعامية نحو الفصحى، حتى نصيب الفحوة بينهم، ويبدو أن ردم تلك الفحوة نهائياً أمر غير ممكن

(١) سطر عائشة عبد الرحمن لعب والحياة ص ٢٠٦، وسعيد الأفندي من حاصر اللغة لعربية ص ١٦٢

(٢) سطر حليل إبراهيم حماش دراسات معاصرة في اللهجات العربية ص ١٣

(٣) سطر إميل بديع يعقوب لغة للغة العربية وخصائصها ص ١٤٨-١٥٠

(٤) مطبعة الجامعة لأردنية، عمان ١٩٨٨، ويقع الكتاب في ٢٢٥ صفحة

٣ قد تبدو الازدواجية أمراً ضرورياً في تحقيق التواصل بين أبناء المجتمع الواحد، ولأمة واحدة، لأن اللغة لا يمكن أن تحتفظ بشكها الموحد إذا انتشرت في مساحة واسعة، فتكثر لهجاتها، ويأتي لها دور لغة الفصحى ولم تشمل تلك اللهجات في لغة كتابية موحدة، والسماح بالتنوع في لغة الحياة اليومية

٤ وباء على ذلك فإن للغة العربية الفصحى وطمة عظيمة في توحيد الأمة وجمع شملها، فإن المطبوعات العربية اليوم تقرأ في كل بلدان العروبة كافة، سواء كانت مطبوعة في بلدان المشرق أو المغرب كما أن العربي يمكن أن يستمع إلى كل الإداعات العربية ويستمتع بما يسمع، لأن العربية الفصحى وإن لم تكن لغة تحدث ابومي فيها قرية من القوس، لا يصعب فهمها على كل من تحظى مرته الأمية

٥ ومن خلال هذه الحقائق تبدو الدعوة إلى إحلال العامية مكان الفصحى أمراً يثير الدهشة والحب، ويسم عن جهل بحقائق الحياة الدعوية، لأن كل واحد من يلاحظ التنوع الكبير في اللغة العامية، فتعدد اللهجات بتعدد المدن والقرى، وقد أردت جدلاً - أن بأحد تلك الدعوة لأي العاميات بأحد؟ فإن أحد في القصر الواحد عامية، العاصمة فإن سكان المدن الأخرى سيعانون من هذه اللغة محدودة أكثر مما يعانون من الفصحى، ولن تحقق تلك الدعوة عايتها من التيسير إلا بأن يستقل كل لغة لغة، فكم سيكون عدد اللغات المعتمدة في أقطار الوطن العربي؟ وكيف سيتحقق التواصل بين أبنائها؟

ثالثاً قضية تيسير قواعد اللغة العربية

كاتب الشكوى من صعوبة قواعد اللغة العربية من الحجج التي يذكرها أصحاب دعوات تغيير العربية الفصحى، والرسم العربي، واجدع بهذه انشبه بعض المهتمين بأمر العربية، لكن مرور السنين وازدياد الثقافة والاتصال باللغات الأجنبية أظهر أن ما تعانيه العربية من ذلك أقل مما يعانيه متعلمو

الذعات الأءسة

وأدى الءءءء عن صءوءة قواء العربفة إلى إعاءة النظر سءء القواءء؁ من ءوء وصرء ورسم؁ وأسهم فف ءلك الأفراد والءامءاء والمءامع للءوءفة؁ وفعبء الءمفر فف هءا الصءء بفن اءءاهفن فف قصففة ففسفر القواءء

الاءءاء الأول ءءوءر النظر فف بصوءر الءعة وقوءعءها المءءوءة؁ إلى ءقءم مقءرءاء بعفء النظر فف ساء الءعة ءاءها؁ وءقفرء قواءء ءءفءة ءءءف عن الإءراء فف مءال الءوء؁ وءعبفر الرسم العربف فف مءال اءءبفه؁ ولم فكب مءل هءه المقءرءاء الءءاء؁ ولم ءؤء إلى ففسفر شفع؁ على الرعم مماء أفق فف مءقشئها من وقء وءء

الاءءاء الءافف ءرس قواء الءعة ءاءها؁ وراءع الكءب المؤلفة ففها؁ وءاول إعاءة صساءة ءلك القواءء على ءوء فءافظ على ءوءر الءعة؁ وففسر ءعمفها؁ وأءء هءا الاءءاء عشرين الكءب الءعلفمفة فف الءوء؁ والصرف؁ والإملاء؁ لءر ءلك وءءه لفس كاففاً فف ءل المسألة اللءوءفة عبءاف؁ فلا ءء من نظر فف طروق إعءاء المءرسفن ولمعلمفن؁ ومراءعة المسءء والكءب المؤلفة؁ وبهفئة مسءرماء ءرس الءعة فف مراءل الءعلفم كافة؁ ورعبء ءلك كله ءرءشا للءوءف^(١)

(١) فطر سعبء الأفءافف من ءاصر الءعة العربفة ص ١٩١ ٢٠١

خاتمة

لبحث في تاريخ العربية في العصر الحديث طويل ومنشعب، فهو يستغرق فرس من الزمن، ويتعلق بحقبة اتسمت بتحولات سياسية وثقافية واجتماعية كبيرة، فقد شهدت هذه الفترة صحوة لأمة من عموتها لحضورية الطوية، كما شهدت أيضاً سقوط الخلافة الإسلامية التي كانت، على الرغم مما أصابها من الوهن، رمزاً لوحدة الأمة وقوتها

ولعل أحظر ما شهدته تلك الحقبة هو الحملة العربية على بلاد العربية والإسلامية، وما صاحبها من احتلال عسكري وعزو فكري وثقافي، كان نصب العربية منه كبيراً، فكان الأوروبيون يحططون لنقصاء على الروح الدبية المتأصلة في الأمة، والقضاء على العربية الفصحى لني بقيت تجمع شمل الأمة على ما أصابها من ضعف، وما تعرضت له من نكبات ولعل أبرز معالم تلك الحقبة

١ تعرضت اللغة العربية في القرن التاسع عشر لعملية إقصاء من الحياة العلمية والثقافية، خاصة في مصر والجزائر، إلا أن عراقة الدراسات اللغوية العربية في مصر أوقفت محطط الإنجليز لفرص لغتهم على لحياة العلمية في مصر، سيما تمكنت فرنسا من فرص الفرنسية في الجزائر، لكن ذلك كان إلى حين

٢ بعد فشل سياسة الإقصاء، جاءت مرحلة إثارة الشبهات، لدفع الشعوب العربية إلى التحلي عن العربية طواعية، بعد أن عجزت الدول الاستعمارية عن إقصائها بالقوة، وركزت الحملة على صعوبة الفصحى، وتعقيد رسمها، وتمحصر عن ذلك الدعوة إلى التحلي عن الفصحى واعتماد العامية، واستعمال الحروف اللاتينية في كتابة العربية، لكن هذه الدعاوات لم تحقق ما كان يراد لها من الإقصاء على العربية الفصحى، وقطع الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها بتدليس

رسم كتابتها

وكانت النقاشات التي أثارتها هذه الحملة سبباً لترسيخ العربية في الاستعمال في العصر الحديث على أسس أكثر صلاية بعد ما تعرضت له من متحدر عسير احذارته، وحرحت من محتتها منتصرة

٣ إن طبيعة الحياة اللعوية لا تحلو من مشكلات تعاني منها اللغات الشرية عامة، وكانت اللغة العربية تعاني من بعض تلك المشكلات، بالإضافة إلى ما أثاره حملة تشبهات على يد المستشرقين والمشريرين من قصايا وموضوعات، وقد بصدى المعينون بأمر سلامة العربية من الأفراد والمؤسسات لتلك المشكلات، وقطعوا شوطاً كبيراً في معادتها، مما أبعد عن اللغة العربية شح الأرمه اني حيمت عليها في القرب التاسع عشر، ومن أوضح تلك القصايا والمشكلات

أ- مشكلة المصطلح العلمي والحصاري

ب- مشكلة الازدواج اللعوي

ج- قضية تيسير قواعد اللغة

وكانت مشكلة المصطلح العلمي والحصاري أكثر تلك المشكلات صعوبة واستعفاء، ولا تراء تنتظر جهود علماء اللغة والمتحصين بالعلوم التطبيقية ليواكوا التطور السريع في العلوم والصاعات وما تتطلبه من ألفاظ جديدة، فل أب ترددات هذه المشكلة معقدة، وهي ما تقوم بها دول كثيرة من تطوع لعاتها لاستيعاب العلوم الجديدة ما يبين أن حل هذه المشكلة في البلاد العربية ليس بالمستحسن، ولما في تراثنا العلمي القديم والحديث ما يعين على تحقيق ذلك الهدف الكبير

ولا شك عدي في أن المسائل التي وردت في هذا البحث نحتاج إلى بحث أكثر عمقاً وشمولاً، وعسى أن تقوم دراسات في كل قطر عربي تكشف عن

تاريخ العربية في العصر الحديث، يمكن من خلالها كتابة تاريخ شمس لهذا
لموضوع

وأحر دعواتنا أن نحمد الله رب العالمين، وصلي الله على سيدنا محمد، وعلى
آله وصحبه وسلم

(٢)

مُسْتَقْبَلُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ضَوْءِ قَوَانِينِ التَّطَوُّرِ اللُّغَوِيِّ مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أمَّا نَعْدُ

فإنَّ لغةَ العربيةَ تأريخاً طويلاً، وحياةَ حافلة، وهي على الرغم من هذه الحياة المُمْتَنَّة لم يُصْنَفْ الوَهر، ولم تدرَكْهَا الشُّبُوحَةُ، وظلَّ التُّرَاثُ اللُّغَوِيُّ العربيُّ مفروءاً منذ أقدمِ كتابِ عرَفَتْهُ المكتبةُ العربيةُ، ولا تزالُ اللغةُ العربيةُ ساميةً متحددةً، تستحييُ بحاجاتِ الناطقين بها، وتستوعبُ ما يستحدثُ في حياتهم

وتحصيُ اللغاتُ الشَّريَّةُ لقانونَ التطور، ولا تكادُ لغةٌ تتحوَّلُ منه، لكن اللغاتُ تعثرُ بين حذبِ عواملِ التعبيرِ والتقسيمِ، وشِدِّ دواعي التَّوْحِدِ والاشتات، وتتفاوت اللغاتُ في استجابتها لطاهرةِ التطورِ بمقدَرِ قوَّةِ أحدِ هذينِ العاملين، فقد تروى لغاتٌ وتندثر، وتتحوَّلُ أخرى وتتعير، والأمثلة على ذلك كثيرة في تأريخ اللغات الشَّريَّة

وتكادُ اللغةُ العربيَّةُ تُكوِّنُ حادثةً فريدةً في تأريخِ اللغاتِ الشَّريَّة، فبعد أن برزَ القرآنُ الكريمُ بها، وصارت لغةُ الحضارةِ الإسلاميَّة، صارت أقرب إلى المحافظة والاشتات، وصعقت عواملُ التطويرِ والتعيرِ إلى حدٍّ يصعبُ تمييزه، وبعد العُزْلُ اليومَ يقرأُ بصوحاً عربيةَ عمرها مئات السنين، وبعد الفارسيَّةُ العربيَّةُ يقرأُ تلكَ البصوحَ، ويتعهم معانيها، وتندوق عناصرَ الجمالِ فيها، وهو أمرٌ ليس له نظير

في اللغات الأخرى، التي يحتاج المتكلمون بها إلى ترجمة نصوصها القديمة إلى لغاتهم الحديثة حتى يتمكنوا من قراءتها وفهم معناها

وعند عدد من الباحثين المحدثين إلى وصف اللغة العربية بالحمود والتحرر، والعجز عن مواكبة حركة الحياة، ومن ثم فإن الذين يحرصون على المحافظة عليها والاستمرار في استخدامها - حَسَتْ زعمهم شأنهم شأن من يعمل في آثار القديمة، التي تدل على حياة سابقة، لكنها ليس لها دور في حياة الحالية، أو مثل من تُجمَّد الأعدية لحفظها، وإذ كان تجميدها يحافظ على قسط كبير من قيمتها بعدائية، فإن تجميد اللغة يُفسدُها ويقضي على عناصر حياة فيها

وللبحث أن يسأل هنا هل تعاني اللغة العربية من الهرم فعلاً، وهل تحولت إلى مرحلة التحرر والحمود، وهل أصبحت عاجزة عن تلبية متطلبات حياة ساكنين بها؟ وهل هذه الدعاوى تسند إلى أساس علمي صحيح أو هي بصحيم لطوائف تعني منها جميع اللغات، وحظ اللغة العربية منها ليس أكثر من غيرها، إن لم تكن أقلها خطأ في ذلك؟

إن لبحث المصنف لا يكر وحوود مشكلات توجه العربية في العصر الحديث، من مثل مشكلة المصطلح العلمي والحصاري، والاردواح اللغوي، وأهمها موضوع تيسير تدريس قواعدها، لكن ذلك لا يعني في كل حال أن لغة العربية في أزمة، وأن مستقبلها في خطر، فليس الظروف الحالية بأسوأ من ظروف التحلف اللغوي التي مرت بها في حقبة سابقة، واستطاعت العربية تجاوزها

إن هذا البحث يهدف إلى مناقشة مستقبل اللغة العربية في ضوء قوانين التطور اللغوي، من خلال أربعة محاور

الأول دعاوى ليست علمية

الثاني حقيقه قوانين التطور الدعوي

الثالث دور القرآن الكريم في ترحيح دواعي الوحد والشتات

الرابع مظاهر من أثر ارتساض العربيه بالقرآن الكريم

ونتهى أحدهم إلى الادعاء بأن من الأخطاء التي وقع فيها لُحويون العرب «اعتبار اللغة جزءاً من العلوم الدينية»^(١)، شعوت كثيرةً اعتبرت لُغتها مقدّسة، ولا صير في ذلك، غير أن «خطر يكمن في تجميد اللغة وحصرها ضمن إطار محكم من الأحكام الشديدة واللغة كما نعلم جميعاً لا تقف، بل إن لها مجرىً تسير فيه»^(٢)

وبالعكس بعض الباحثين في إبراز أثر القرآن الكريم في تجميد اللغة حسب تعبيره، وأطلق أحكاماً لا تستند إلى «لواقع اللغوي وحقائق التاريخ، وحمل من العاصر الإيجابية من تأرجح العربية نقاطاً مظلمة حثّت اللغة والحياة معاً، وسوف أقل فقرات مما قانه نصّها ليقف انقاريء على طريقة هذا الباحث في التفكير، مع نصريحه في مقدمة بحثه أنه يستند إلى المنهج العلمي في البحث»^(٣)

قال هذا باحث «لقد وُحّد العلماء أنفسهم أمام معادلة صعبة، فالقرآن قد نزل بعربة من قبل الإسلام، هذه العربية التي كانت تتعرض أمام أعينهم لمؤثرات تكاد تعدّها عما كانت عليه قبل الإسلام، أي أنها كانت وحدة في انتطور، وإذا سارت لأمر على نفس الموال فستتعد تدريجياً لتسبح عن اللغة التي نزل بها لقرآن، ولما كان النص القرآني لا يتغير وسيأتي اليوم الذي لا يستطيع فيه عربي مسلم أن يفهم منه شيئاً»^(٤)

«كان الطريق الوحيد الذي ظهر أمام هؤلاء العلماء هو أن يحاولوا شيئاً لم سحح في تحقيقه أساء أية لغة أخرى في التاريخ، سوء من حاء قلبهم أو بعدهم، فقد قرّروا أن يفهموا باللغة ذاتها ويعملوها عن ثيار «التطور» بعد أرادوا أن

(١) يبدو أن هذا الباحث يحهل تصيب العلوم في التراث العربي، وعاية ما يمكن قوله هو أن لعلماء مالوا بوجوب تعلم العربية لفهم القرآن الكريم والسنة لسوية

(٢) أنيس فريجة نظريات في اللغة ص ١٢٤

(٣) يطر السعيد محمد بدوي مستويات العربية ص ٧

(٤) هذا وهم من الباحث، فكل الدلائل تشير إلى أن ذلك لن يقع م دام القرآن الكريم يُنسى

يحمّدوا اللغة العربية في مرحلة اختاروها من بين مراحل تطورها التاريخي بحيث يحتفظون لها بكل حصصها في تلك المرحلة. كان على النحاة لكي ينجحوا تماماً في ما أرادوا أن يحمّدوا الحياة أيضاً كما جمّدوا اللغة. أصف إلى ذلك أن تفسير العربية وتفهّمه كان إبداعاً مدحولها الكتب واحتجابها خلف حائط الكتبة وتغده عن التخلي والمشفهة. كان العمل الذي قام به النحاة في الواقع سبباً في تثبت اردواحية للغة لا عملاً في توحيدها^(١).

ورأى بعضهم أن قوانين التطور اللغوي تعمل بقوة لا يمكن أن يعترض سبلها معترض، أو توقف تقدمها شيء، فقال «قد التطور المطرد يحصع في سيره لقوانين ثابتة، مطردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار، لا يد لأحد على وقف عملها، وتعير ما تؤدي إليه، فليس في قدرة الأفراد أن يقفوا تطورها، أو يجعلوها تحمد على وضع خاص، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمها لها سبيل التطور الطبيعي^(٢) لمقررة^(٣)».

ووصل سلطان التطور اللغوي عند بعضهم حد القول «ومن هذا يظهر أن نحاه هامة من نواحي التطور اللغوي ترجع إلى عوامل حرية، لا احتدار للإنسان فيها، ولا يد له على وقف أثرها، أو تعير ما تؤدي إليه^(٤)».

وانتهى الأمر هؤلاء «ساحثين إلى أن يُحمّلوا لعربية المصحح لمسؤوليه عن مشكلات حياتنا الاجتماعية والعلمية والثقافية، فقال أحدهم إن تأخرنا اللغوي

(١) مسوبات العربية ص ٣٦، ٤١، وينظر محمد كامل حسن اللغة العربية المعاصرة ص ١

(٢) ذهب بعضهم إلى القول «إن أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد، في سبيل واستعدادها ومهجه أدائها لوظائفها» (علي عبد الواحد وفي علم اللغة ص ٢٨٩، وينظر أمين الحولي مشكلات حيات اللغة ص ٨٢) وكان هذا القول صدى لنظرية التطور اللغوي.

(٣) أمين الحولي مشكلات حيات اللغة ص ٨٣

(٤) علي عبد الواحد وفي علم اللغة ص ٢٥١

هو سب من أعظم الأسباب لأحرون الاجتماعي^(١) وقال آخر «وسن بالكثير ولا المانع أبداً أن نقول إن آفات حياتنا في جمهورتها تعود إلى علل لعوية، تصدّع الوحدة، وتحرم الدقة، وتندد لجهد، وتعوق تسامي الروح والحسد، والعقل والقلب»^(٢) وقال ثالث «ولمناقضات في حياتنا كثيرة، وسن أحتار منها إلا موقفاً من بلغة انقومية، فهو جماع المتناقضات كلها»^(٣)

ولا شك في أن هذه الدعاوى نابعة من أحد أمرين من جهل القائلين بها بطبيعة اللغات، وحاجات لمجتمع للعوية، ولورم سوء انحصارة، أو من غرض يهدف إلى تدمير العربية الفصحى التي كانت وعاءاً للقرآن الكريم، كما أنها صارت الرابطة الكبرى بين ماضي الأمة وحاضرها، وبين أبناء الأمة في مشرق الأرض ومغارها

وهذه الدعاوى التي تميل إلى تبسيط الأمور إلى درجة تجعلنا نحلم بلغة مثالية، سهلة الاستعمال، واضحة الدلالة، يلتزم بها جميع أفراد المجموعة اللعوية في جدهم وهرلهم، وفي جميع بيئاتهم - تتعاضى عن حقائق قررهما علماء اللغة مد أكثر من قرن من الزمان، منها

١ - يُعتبر توحيد اللغة ضرورة اجتماعية^(٤) فلا تستقيم حياة الناس ولا تتقدم إذا لم ينتفوا على لغة موحدة، وذلك يستدعي أن يتناول الأفراد عن لهجاتهم الصيغة لصاح اللغة لأدبية مشتركة، ومن ثم فإن الازدواج اللعوي (أو لعامية ولفصحى) من طبيعة حياة اللغة في المجتمع، لكن البعد بين لعامية واللفصحى يتفاوت من لغة إلى أخرى، حسب مجموعة من العوامل، ويمكن للمسافة بينهما أن تضيق، ولكن من غير الممكن أن تزول، إلا إذا عاش الإنسان وحده، وهو أمر لا يتحقق معه وجود اللغة

(١) سلامة موسى اللغة المعاصرة ص ٧

(٢) أسس الحولي مشكلات حيات اللغة ص ٥-٦

(٣) محمد كامل حسين اللغة العربية المعاصرة ص ٦

(٤) مديرس اللغة ص ٣٢٦

٢ إن توحيد اللغة وتكوين اللغات المشتركة يستلزم فترة من التوقف في تطور اللغة^(١) وهذا التوقف ضروري حتى يتحقق التواصل بين أبناء الأمة في الحيل الواحد والأحيال المتعافاة، ولا يعني ذلك التوقف حموداً في اللغة، فتظل اللغة تستجيب لحاجات المجتمع المتجددة، ولكن من غير أن تقطع الصلة بالماضي

٣ مواقع أما لا نعلم إطلاقاً لغة قد قصّرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها^(٢)، ومن ثم فإن لقول بأن اللغة المصحى عائق في سبيل التقدم العلمي والحصاري لا معنى له، وهو ستار لإحفاء الهرال المكري، والهمز الحصري، فأرمة اللغة العربية اليوم لها نُغْدُ حصاري، كما أن لها نُعداً لعوي أيضاً

وسوف يتضح لنا بطلان الجاسب الأكبر من هذه الدعاوى من خلال النظر في قوايين التطور الدعوي، ومن خلال مناقشة المقولة التي نرغم أن ارتباط العربية بالقرآن قد أضّر بها، وذلك في لمحيثين اللاحقين

(١) فديس للغة ص ٣٤٣

(٢) المصدر نفسه ص ٤٢١

المبحث الثاني

حقيقة قوانين التطور اللغوي

الفوسين الأصوب^(١)، والمفرد قانون، وهو مقياس كل شيء وطريقته^(٢)، وفي الاصطلاح أمر كلي مطلق على جميع حرياته التي تتعرف أحكامها منه، كقول السبعة فاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمصاف إليه محرور^(٣)

وسمات انشئية تعبير، ولا تثبت على صورة واحدة، وقد يُسرع التعبير إلى بعضها، وقد يصعب، ولذلك عوامل متعددة، منها انتقال اللغة من سلف إلى خلف، والتأثر باللغات الأخرى، والعوامل الاجتماعية والنفسية، واختلاف بيئة، وطبيعة اللغة ذاتها، وأثر أهل الفكر والرأي من المتكلمين، بها^(٤)

واردادت عادة الباحثين المحدثين تتبع مظاهر التعبير في اللغات ولكشف عن القواعد التي تستند إليها في ذلك، ونجح عن تلك رعاية صناعة مظاهر التعبير في قوانين التطور في اللغات انشئية وثر نقاش حول عمل تلك القوانين، فكذلك من لدن العربيين من يعتقد أن كل تعبير في صوتيات اللغة يحصع في بطوره لقوانين معينة، لا استثناء لها، وأن ما يرد من استثناءات لبعض القواعد فلا بُدَّ أن هناك قواعد تحصع لها هذه الاستثناءات، ثم يتم اكتشافها^(٥)

(١) ابن منظور - حاشي العرب ٢٣٠/٧ (قس)

(٢) المعجم الوجيز ص ٥١٨، والمعجم العربي الأساسي ص ١٠١٠

(٣) لرحاني التعريفات ص ٩٧، والمعجم الوجيز ص ٥١٨

(٤) يطر علي عبد الواحد وفي اللغة والمجتمع ص ٧، وعلم اللغة (هـ) ص ٢٤٩،

ومحمود اسمر - لغة والمجتمع ص ١٧١

(٥) ماريو دي لعاب لشر ص ٣٨ ٣٩، وأسس علم اللغة (له) ص ١٤١

ويسد أن إطلاق كلمة (قوايس) على التعبيرات اللعوية، والقول بأنها تعمل بصورة حتمية، لم يعد موضع قبول لدى الدعويين، لأن القوايس الصوتية اللعوية لا تشبه قوايس الطبيعة وللكمياء، لذلك لا يمكن أن نعرف مقدّمًا كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك، لأنه يوجد دائماً في تطور الأصوات عدد من العوامل غير المستورة التي ينتج أثرها^١

وصار الحديث بناءً على ذلك عن (اتجاه) في التعبير أكثر من الحديث عن (قبول)، ولكن مع ذلك فإن لاتجاهات التطورات اللعوية استثناءات كثيرة، يمكن أن يحصع بعضها لقواعد ثابتة، في حين أن هناك استثناءات لا تحصع لأي قواعد^٢

ويمكن أن نستنتج من ذلك أنه لا توجد قوايس للتطور اللعوي بالمعنى الحرفي بلكنمه، وإنما هناك اتجاهات أو ميل، وأن تلك الاتجاهات لا تعمل بصورة حتمية أو آلية، فهي قد تحدث وقد لا تحدث، لأن اللغة عمل عقلي إنساني، يحصع بمؤثرات كثيرة، تختلف الاستجابة لها من فرد إلى آخر، ومن جماعة لعوية إلى أخرى

ويظهر من خلال هذه الحقائق الموجرة عن قوايس التطور اللعوي انهم الذي وقع فيه عدد من الدارسين العرب في حديثهم عن التطور اللعوي، من مثل قول بعضهم * ومن هذا يظهر أن ناحية هامة من نواحي التطور اللعوي ترجع إلى عوامل جبرية، لا اختيار للإنسان فيها، ولا بد له على وقف آثارها أو تعبير ما يؤدي إليه ومن هذا يظهر كذلك أنه ليس في قدرة الأفراد أن يقعوا تطور لغة، أو يجعلوها تحمد على وضع خاص^(٣)

ومثل ذلك قول الآخر «هذا لتطور المطرد يحصع في سيره لقوايس ثابتة،

(١) ينظر مدرس لغة ص ٧١ ٧٢، وماريو بي لغات البشر ص ٤٢

(٢) ينظر ماسمرك علم الأصوات ص ٢٦٠، وماريو ماي لغات البشر ص ٤٣

(٣) علي عبد الواحد وهي علم اللغة ص ٢٥١

مطرودة النتائج، وصحة المعالم، محققة الآثار لا بد لأحد على وقف عملها،
وتعبير ما تؤدي إليه، فليس في قدرة الأفراد أن يقيموا تطور لغة ما، أو يجعلوها
تجمد على وضع خاص، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها
سبيل التطور الطبيعي المبررة^(١)

وسى أحد الباحثين على هذه المقدمات انطأله، من مثل القول بوجود قوانين
للتطور يعمل بصورة حرة، في نتيجة باطلة بطلان المقدمات التي استعدها،
وهو وضعه عمل علماء العربية في تفصيل قواعد العرب أنه يتعرض مع حقائمه
لأمور وشواهد التاريخ، وذلك حيث قال «كان الطريق الوحيد الذي ظهر أمام
هؤلاء العلماء هو أن يحاولوا شيئاً لم يسجد في تحقيقه أساء أية لغة أخرى في
التاريخ سواء من جاء قبلهم أو بعدهم، فقد قرأوا أن يقيموا مدعة دانيه
ويعرلوها عن تيار التطور»^(٢)

ب قدرة أفراد لمجموعة اللغوية على التأثير في محرى التطور اللغوي أمر
ممكن، على الأقل في حوسب منه، وقد عثر عدد من اللغويين على تلك لقدرة
بمعددة عمل عنها هؤلاء الذين تحجرت مواقفهم عند عتبه نظريات التطور التي
زال يرفقها، وحقت نورها، إن لم تكن قد بطلت شعنتها إلى الأبد

تلك بمعددة هي ما يمكن تسميته بصراع النوارى الذي هو قانون تطور
لغات جميعاً، فهذا مثلاً متعارضان يؤخها في اللغة في طريقين أساسيين وأحد
هذين الميثلين ينحى نحو التفرق غير أن هذا التفرق لا يصل إطلافاً إلى
تمامه، لأن سبباً حيوياً يوقفه في طريق وهو الميل إلى التوحيد الذي يعيد
النوارى ومن صرع هذين الميثلين تتج أنواع اللغات المختلفة، من لهجات،
ولغات خاصة، ولغات مشتركة^(٣)

(١) أمين الحوي مشكلات حيت اللغوية ص ٨٣

(٢) محمد بلوي مستودع العرب ص ٣٨

(٣) ميرس اللغة ص ٣٠٧-٣٠٨

ولم يكر فكرة صراع التوارث اللعوي عائدة عن فكر عدد من اللعويين العرب المحدثين، مثل الدكتور محمود السمران الذي قال «في حياة اللة ميلان متعارضان أحدهما نحو التقسم إلى لغات ولهجات، والثاني نحو الوحدة لمتريده الاتساع وهذا التقسم والتوحد كلاهما فعل أحداث تؤثر في لجماعات ويرى بعض اللعويين أن الاتجاه نحو التقسم أقوى من الاتجاه نحو التوحد ولكن (سبِرْس) ^(١) يرى أن هناك قوى لا يحور التعادل عنها تعمل في لاتجاه المصدا، وأن هذه القوى الموحدة كانت في انصوير التاريخية أقوى في حقيقه الأمر من القوى المُقسمة، وإياها كذلك في الوقت الحاضر على وجه الخصوص، وستكون كذلك يقيماً في المستقبل» ^(٢)

ومن الذين تحدثوا عن صراع التوارث اللعوي الدكتور عائشة عبد الرحمن، حيث قالت «إن العربية في آفاقها الجديدة كانت محكومة بتباين من المحافظة والتحديث، يكفلان بها نوعاً من الاتزان، على بُعد ما بينهما وقانون حفظ اندات، يرفض التحدي عن أصيل العربية كما عرفت في عصر نقائها وقانون الحرص على انقاء يستجيب لكل دواعي النمو والتطور، ولو كان ذلك على حساب ما هو أصيل وعريق

وبعد استطاعت عربية مرموقة فائقة أن تتحاشى أزمة موقعها بين القديم والأصيل والمحدث الطارئ، بتطويع دلالات الألفاظ والتوسع في المجاز، لكي تؤدي المعاني الجديدة التي لم يكر للعرب عهداً بها من قبل» ^(٣)

وممن وقف عند هذا الموضوع الدكتور حسن طاطا، فأطرد الحديث عنه، وسوف أنقل فقرات من كلامه، لا تحلو من عناصر جديدة، مع أن فيها ما

(١) أوتو سبِرْس (١٨٦٠-١٩٤٣م) لعوي ديماركي، أشهر كتابه «اللة» نظر محمود

السمران عدم اللة ص ٢٧٨، وميشال ركري الألسية ص ٢٧٧

(٢) اللة وجمع ص ١٧٠

(٣) لغت و لجة ص ٧٢ ٧٣

يحتمل لنقاش^(١)، قال «إن اللغة، أية لغة كانت، وفي أية فترة كانت من وجودها، في تطور دائم مستمر، يتارعها في تطورها هذا عاملان متنافسان تجاهد اللغة في الاحتفاظ بتوارثها بينهما، ويقدر احتفاظها بهذا التوارث يكتب لها طول العمر بين الناطقين بها، وهذه العاملان هما عامل المحافظة من ناحية، وعامل لتطور من ناحية أخرى

أما في ما يتصل بعامل المحافظة، فإن للغة بعد أن تصح قدره على أداء وظيفتها في اتعاهم بين أبناء المجتمع الواحد، تتحول في ذلك المجتمع نفسه إلى وسيلة من وسائل الترف كذلك اللغة مع تقدم الحضارة، وتطور التقاليد، وتكون الدوق الجمالي، وحرص الأبناء على أن يكون أباؤهم صورة منهم، وصورة محسنة منقحة منقاة من الشوائب، كل ذلك أوجد لدى البشر إحساساً جمالياً بحتاً باللغة، بحيث لم يعد الإنسان يكتفي بها بمجرد انهم والإفهام، بل راح يتلذذ بالحرس الحسن، والصفحة الجميلة، والتعبير المحكم، والصورة السليمة الرائعة وفي عصر اللغات توضح ذلك كله بروز كتب مقدسة، أو ظهور مصوص دينية لها في قلوب المؤمنين بها جلالة وهيبة، وسرعة أصحبت هذه المصوص سمادح دعوية، ومثلاً عالياً، وخواجر في وجه التطور لطبيعي في كثير من الأحيان فعامل المحافظة إذن كان دائماً كائناً للتطور الدعوي، لأنه يطنق من فكرة أساسية وهي أن اللغة تراث قومي، وقد يكون ديناً أيضاً، تقتضي لأمانة الحفظ عليه كما كان على عهد السلف.

أما عامل لتطور فهو عامل ثوري متمرّد على الجمود، تقف من ورائه الحضارة قوة دفعة، فحلاط الدس بعصم بعصر، والرحله من مكان إلى آخر، ووجود عصم شربة حددة تدحل على مجموعة مستقرة فتؤثر في بطقها، والهجرة الجماعية من البيئة الأصلية إلى أمصار بعيدة أخرى، وتعاقب الأرمم والأحبار، مع وجود الفارق في دقة التنقي عن طريق السمع، وعن طريق

(١) ذكر المذكور حسن عطاء أنه يعر في هذا الموضوع عن اللعوي الفرنسي ارسين

المحاكاة بين الأساء وأناتهم، كل ذلك يُحدثُ عاهاتٍ عميقة في شكل اللغة، بل يُظهرُ فيها لهجاتٍ تتنوع وتنعصر عن اللغة «الأم»^(١)

وإذا كانت اللهجات الشربة تعيش بين عوامل «محافظة» أو التوحيد وعوامل لتقسيم أو التعبير، فما نصيْتُ اللغة العربية من صراع التوازن بين هذين لعاملين؟

إن اللغة العربية ليست بـ«عاً» في اللهجات، وبذلك فإنها عانت من صراع التوازن، وما تراءى تعالي منه، ومستظل تتعرض له في «المستقبل»، ولكن الشيء الأكيد في هذا الصراع هو أن عامل التوحيد أقوى من عامل لتقسيم، ومن ثم فإن اللغة العربية حافظت على نظامها اللغوية التي استخلصها اللغويون من النص القرآني والحديث النبوي، وكلام العرب في عصور لاستشهاد

ولا شك في أن نصوص القرآن الكريم باللغة العربية كان الحدث الأعظم في تاريخ هذه اللغة، وهو العامل الأول في ترحيح كافة صراع التوازن، وهو المرحح لفائتها، يقول ابن خلدون «ولمَّا تملَّك العجمُ وصار لهم الميث والاسيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسانُ العربيُّ لذلك، وكاد يذهب، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حُفظ الدين، وصار ذلك مُرححاً لنقاء اللغة العربية المُصرَّية من الشعر والكلام»^(٢)

فكيف عملَ هذا المرحح على تثقيب كافة التوحيد في صراع التوازن على كافة التقسيم؟

هذا ما نحاول أن نجيبَ عنه ونُبيِّنه في المسححات الآتية

(١) اللسان واللسان ص ٩٨-١٠١

(٢) المقدمة ص ٣٧٩

المبحث الثالث

دور القرآن الكريم في ترجيح دواعي التوحيد والثبات

عانت اللغة العربية في تاريخها الطويل من صراع التوازن بين دواعي الثبات، ودواعي التغيير، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، لأن تطور اللغات يزداد سرعة بازدياد انتشارها في الحارج، وازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها وتوسعهم، إذ أن انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد حصائصها الموعدة في اللدنية، والتأثير الذي يقع عليها من الحارج يؤدي بها إلى «التغير السريع»^(١)

وسكنت العربية في تطورها سبيلين

الأول على أسس الناس في بيوتهم وأسواقهم ومناجرهم، فتطورت أصواتها التطور الطبيعي، وتداخلت مع غيرها من اللغات المحتلطة بها، وانتعدت عن اللغة العربية يوم درسها العلماء واستنبطوا قواعدها

الثاني ما كان على أسس الأدباء والشعراء والعلماء وأقلامهم، حيث تطورت في إطار ثبات أصولها، فصار العربي وعبر العربي يتعلمها، ويجهذ في أن يطوع لسانه بلطق لصحيح المتفق مع ما استسطه العلماء من أصولها، وهي اللغة التي كُتب بها التراث لعربي مد أربعة عشر قرناً، والتي تتحقق بأحلى صورها في قراءة لقرآن الكريم^(٢)

إن القول ثبات العربية الفصحى لا يتعارض مع وجود الازدوجية للغة، أي وجود العامة والفصحى، لأن هذه الازدوجية ظاهرة لغة عامة، كما أن ذلك

(١) مدرس سعة ص ٤٢٧

(٢) ينظر حسام السعيمي أصوات العربية بين النحوى والثبات ص ١٤

ثبات لا يهي حصول تعبيرات تتمثل في توحيد ألفاظ جديدة من خلال نظام الاشتقاق، أو إعطاء بعض الألفاظ معاني جديدة تستجيب لحاجات المجتمع المتجددة

ومن هنا نجد أن ما ورد في كتابات عدد من المدرسين من حمود الله العربية وتحجرها أمرٌ مبالغ فيه، ولم يوضع في إطاره العلمي الصحيح، فكل اللغات لعالمية تعمل على تثبيت أصولها مع السماح باستيعاب اللغة للعديد الذي يستجيب لحاجة المتكلمين بها

ولا شك في أن ثبات العربية الفصحى دليلٌ على حيوية هذه اللغة وقوتها، فهو ليس حموداً ولا تحجراً، وهو أمر تدعو إليه حاجات حضارية وقومية، وقبل ذلك فإنه أمر تدعو إليه دواع دسبة، كان لها الأثر الأكبر في الحفاظ على هذه اللغة ودوام عصائها بحصاري

ولم تكن جهود علماء عربية هي العامل الوحيد في تلك لحيوية للغة العربية، فإرساطها بالقرآن الكريم هو العامل الرئيس في بقائها حية، فصارت لغة الدين الإسلامي، يحرص على تعلمها كل مسلم «وصدر استعماد اللسان لعربي من شعائر لإسلام»^(١)

ومن هنا فإن العربية لفصحى «لها ظرف خاص لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم ذلك أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرناً، ودوّن بها التراث العربي الصحيح، الذي كان محوره هو القرآن الكريم في كثير من مظاهره، وقد كسر الله لها الحفظ، ما دام يحفظ دينه، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرُكِّمُ اللَّيْلَ وَنُؤَنِّسُ النَّهَارَ﴾ [الحجر]، ولولا أن شرفها الله عز وجل فأمرل بها كتابه، وقبض به من خلقه من يتنوه صاخ مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان بولا كل هذا لأمنت العربية لفصحى لغة أثرية، تشبه ثلاثيه أو السسكربية، ولسدت البهجات العربية المختلفة، ورددت على مرّ الزمان تغدً عن الأصل

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٧٩

بدي اسلحت منه هذا هو السر الذي يجعل لا يفسد العرب الفصحى بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات في شكلها الحاضر لا يتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ منها وتعطي، ولا تجد في ذلك حرجاً، لأنها لم تربط في فترة من فترات حياتها بكتاب مقدس، كما هو الحال في العربية^(١)

ولا شك في أن الدين من أقوى لعوامل المؤثرة في حياة الناس وفي عومهم، لأنه يسي على عميدة راسخة في الصمائر والقبوب، تحركهم نحو تحقيق ما يؤمنون به وتحمل لمتاعب من أجل ذلك، وكانت العاطفة الدينية تجعل المسلم من غير العرب يحرص على تعلم العربية وحفظ القرآن، بإقبال شخصي وليس بدافع خارجي، ويعبر عن هذه العاطفة قول أبي منصور الثعالبي «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ ومن أحب رسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها برز أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همه إليها»

ومن هنا كره علماء السلف أن يتعود الرجل الطلق بعير العرصة، فإن اللسان العربي شعر الإسلام وأهله، ومن ثم قالوا يسعى لكل من يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها، لأنها اللسان الأولي بأن يكون مرعوباً فيه، فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، إلا أن منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية^(٢)

ولا يزال القرآن الكريم من أقوى أسباب بقاء العربية، ومن أهم عوامل

(١) رمضون عبد الوهاب التطور اللغوي ص ٧-٨

(٢) نظر من سمع اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٣-٢٠٧

انتشرها بين أساء الشعوب الإسلامية غير العربية في العالم كله، فأشأوا المدارس لتعليم لعربييه وتحفيظ القرآن، وأتاحت الوسائل الحديثة لتعليم إمكانات جديدة تسهم في حفظ هذه اللغة الماركة حنة عصة، ومن ثم فإن اس حدود كان مصيباً حين قال إن الدين مرشح سقاء العربية^(١)

إن العلة في صراع التوارن في تاريخ العربية كانت لعوامل المحافظة والشتات، ولا ترن تلك العوامل تؤدي دورها في ذلك، ولم يكن هد الأمر خارج قوانين لتطور الدعوي، فهذه القوانين تعمل في إطار قانون التوارن، الذي رشح فيه القرآن كفة الشتات، أي الحيوية الدائمة، وليس التجمد أو التحجر، كما يذكر بعض الدارسين، محافين في ذلك حقائق العلم وقوانين التطور ذاتها

(١) ينظر المقدمة ص ٣٩٧ و ٣٨٠

المبحث الرابع

مظاهر من أثر ارتباط العربية بالقرآن الكريم

يبدأ تاريخ اللغة العربية الموثق برول القرآن الكريم، وكان المصحف الشريف أول كتاب عرفته امكسة العربية، وانطلقت العلوم الإسلامية من دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وشأت علوم اللغة العربية مرتبطة بتلك العلوم، وبم نلت احاصرة الإسلام أن شملت كل جوانب الحياة وبواحي الفكر، وكانت العربية لغة تلك الحاصرة

وانحدث عن أثر رباط العربية بالقرآن الكريم ليس حديثاً، وكُتبت بحوث مطولة في جوانب متعددة مه، مثل كتاب القرآن الكريم وأثره في الدراسات سحوية^(١)، وليس العرص في هذا المبحث الحديث عن أثر القرآن الكريم في علوم اللغة العربية، وإما العرض الحديث عن أثره في حياتها بوجه عام، لاسحلاص ما يرسم صورة لمستقبل اللغة العربية

ويمكن لندارس أن يحصر أهم مظاهر أثر ارتباط العربية بالقرآن الكريم في ما يأتي

١ التحول من التنوع إلى التوحد

كانت العربية قبل رول القرآن الكريم تنقسمها لهجات كثيرة، فكان لكل قبيلة من قبائل العرب لغة تمرد بها، ويؤحد عنها، وقد اشتركوا في لأصل^(٢) ونمحص عن الامتراح اللعوي بين لهجات العرب بعد الإسلام تميُّز اللغة العربية الأدبية المشتركة، التي عرفت بعد ذلك باسم العربية الفصحى، والتي كانت تسند

(١) للدكتور عبد العال سالم مكرم، دار المعارف بمصر ١٩٦٨

(٢) ابن لديم الفهرست ص ٨

هي كثير من حصائصها إلى لغة قريش التي برل بها انقرآن الكريم

وتشير جملة من الدلائل إلى أن اللغة العربية الفصحى أو اللغة الأدبية بمشركة لم يكن لها تمير قبل الإسلام، وكان الناس يتكلمون بلسانهم العربية التي شأوا عليها، ويحققون التواصل بينهم بالقدر الدعوي المشترك بين تلك اللغات، لأن الأصل واحد كما قال ابن الديق، ثم ظهرت الفصحى بعد ذلك^(١)

وتصرفت جهود علماء العربية، وعلماء القراءة القرآنية، على ترسيخ معالم العربية الفصحى، وانحسار الظواهر اللغوية، فانتقلت العربية بفصل ذلك من تنوع إلى الواحد، وكان القرآن الكريم هو العامل الأساسي في هذا التحول، والتوصل الحصري بين أمائها وأجيالها المتعاقبة

٢- التحول من الرواية الشفهية إلى التدوين والتقييد

لم يكن للعرب قبل القرآن الكريم كتاب، بل كانوا يحفظون الأشعار ويتناقلون الأحبار، ولا شك في أن لحصارة لا تنس على الرواية الشفهية، والعلوم لا تدونها من لتدوين، وقد تحوَّلت الأمة بفصل القرآن من الأمية إلى التحضر، وانتشرت الكتابة، وظهرت العلوم، ودُوِّنت النصوص الدينية، كما دُوِّنت النصوص الأدبية، والتدوين من لوازم حيوية اللغة وديمومتها

ولم يكن الكتابة قديماً على اللغة العربية، فقد تصرفت الكتابة مع الرواية على الحفظ على اللغة العربية الفصحى، والطق العربي الصحيح، يقول ابن الحرري «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ

(١) يمكن النظر حول هذه الفكرة في بحثي (تكوّن العربية الفصحى)، في محله مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤٨، ص (١١-٩٣)، وتجد تفصيلاً أكثر في رسالة الماجستير التي كتبها السيد عمر رشد شاعر حول (اللغة الأدبية لمشاركة من حلال كتاب سيبويه) لمقدمة إلى كلية التربية بجامعة تكريت سنة ٢٠٠٢م

المصحف والكتب^(١) وكان الصحابة والتابعون يقولون إن قراءة القرآن سنة،
بأحدهم، لأجر عن الأجر^(٢)

واشترط العلماء تحقق المشاهدة لقراءة القرآن وروية العلم، فقالوا: «لا
تأخذوا القرآن من مُصحفي، ولا العلم من صُحفي»^(٣) والمُصحفي هو من لم
يقرأ القرآن على القراء ويصعد ألقاظهم^(٤)، والصحفي هو الذي يروي العلم من
مصحف، فيحطى في قراءة لمصحف لاشتباه الحروف^(٥)

ولا يرال لمسلمون يحرصون على تعليم أطفالهم قراءة القرآن، فشؤوا وقد
أشربوا النطق الفصح، واعتادت ألسنتهم نطق الأصوات العربية، وكان هذا من
أهم عوامل لمحافظة على العربية على مدى العصور

بأن المتنبئين بأن يوماً سيأتي لا يستطيع فيه عربي مسلم أن يفهم من القرآن
شيئاً^(٦)، إنما أنهم لم يقرؤوا التاريخ ويقصوا على حقائق الأشياء، وإنما أنهم يُعْتَرُونَ
عن رعات محترمة في عقولهم، ليس لها من الحقيقة شيء، وبواقع يكذبها
ويكشف بطلانها

٣ التحول من التعبير إلى الثبات

كانت اللغة العربية قبل الإسلام طليقة من كل قيد، تستحب لكل مؤثر، فم
تُدَوِّن، ولم يجتمع، لماطقون بها على مثل محدودة، وهذا من صفة اللغات غير
المحدودة، وقد مرّت قرون كثيرة من تأريخ العربية لا يعرف عنها شيئاً، ولكن
صيغة للعب تشير إلى أنها كانت دائمة لتغير وانتطور

(١) لش ١ ٦

(٢) يظن من محمد السعة ص ٤٩-٥٥

(٣) عسكري شرح ما يقع فيه لتصحيح والتحريف ص ١٣

(٤) يظن لعطر لتمهيد ص ٢٤٧

(٥) يظن التحليل لعين ١٢٠/٣

(٦) بظر السعد محمد بدوي مستويات العربية ص ٣٨

وانتقلت العربية بعد الإسلام إلى مرحلة جديدة من الشاب والاستقرار، تناسبت ودورها الحصارى الجديد الذي منحها إياه الدين الإسلامى

ولا يعنى وصف العربية بعد الإسلام بالثبات أنها لم تشهد تعيراً البتة، فهذا الأمر لا يتوافق مع طبيعته الحياة البشرية التي هي دائم الحركة، واندفع من شأنها الاستجابة لحاجات الدس، لكن العربية كانت تستجيب لتلك الحاجات مع محافظته على أصولها الثابتة، من حيث نطق أصواتها، وطريقة ساء كلماتها، وتركيب جملها، أما توليد الألفاظ الجديدة، وتعبير عن لمعاني الجديدة فإن العربية من أكثر اللغات الإنسانية مرونة وقدرة على ذلك

٤ التحول من المحلية إلى العالمية

كانت العربية قبل الإسلام لغة مجموعة من الأقبام تتوزع في الجزيرة العربية، بين الحواضر وسواها، وكانت لها امتدادات إلى أطراف الجزيرة الشمالية عربى لعراق وأطراف نادية الشام، وكانت تعبر عن حاجات الحياة العربية ائذاك، لكنها لم تكن واسعة الانتشار خارج الجزيرة العربية، فكانت لذلك لغة لم تنوهر لها مقومات اللغة العالمية

وانتقلت العربية بعد الإسلام إلى لغة عالمية لكل معنى انكمة، فكان يحرض على تعلمها المسممون من كل الأحاسر، وكانوا يؤفون بها ويدعون الكتانة بدعاتهم القومية، فصارت العربية لغة عالمية ولا زالت تحتفظ ببعض اثار تلك العالمية، لكن صمور الحضارة العربية الإسلامية قد أثر على مكانتها التي كانت تنوؤها، وطلت تحتفظ بمكانتها الدينية في نفوس المؤمنين، وهي مكانة واسعة، يمكن أن تكون مطلقاً حديداً لاستعادة العربية مكانتها الحضارية السابعة إذا ما ستعدت الأمة دورها الحصارى في العالم

٥ نشأة علوم العربية

لا يحصى على العربى أثر القرآن الكريم في شأن علوم العربية، فكان رسم المصحف وعلم النقط والشكل أساساً لتكميل الكتانة العربية واستقرار نظمها

النهائية، وكان علم التحويد والقراءات أساساً لعلم الأصوات الدعوية وضبط
النطق العربي، وكان علم النحو والصرف يستجيب لحاجة الدارسين للبناء اللغوي
للقرآن الكريم، كما كان علم التفسير والمؤلفات في معاني القرآن رافداً كبيراً في
المعجم العربي

وما كُتِبَ عن أثر لقرآن الكريم في هذه العلوم الدعوية كثير، تكفي هذه
لإشارة إليه في هذا المقام

خاتمة

ستخلص من هذا البحث الموضح أن مستقبل اللغة العربية ليس في خطر، وأن مكانتها المتميزة في قلوب المؤمنين سوف تبقى ما بقي قرنٌ يُتلى، وأن موجات العرو الحضاري ودعوات التحرك الثقافي لن تخرج العربية عن مكانتها ودورها الحضاري والديني.

ولا شك في أن هذه النتيجة مبنية على أساس علمي يستند إلى قانون نوراني الذي تحصص له الدعاب الشريفة في تصورهما ولا يحمي عنى أحد أن عوامل التوحيد والشت في صراع التوارن في العربية أقوى من عوامل التغير والتطور، وليس هذا يتفوق في عوامل التوحيد يستند إلى جهود علماء العربية وحدها، وإنما هو يستند في معظمه إلى تعلق المسلمين بالقرآن الكريم وحرصهم على تعلمه وتلاوته.

ومع هذه الصورة الباصرة لمستقبل اللغة العربية فإن على المهتمين بأمر هذه اللغة ألا يفعلوا عما يعاين من مشكلات، فيعملوا على تلافيها والتخفيف من آثارها، حتى لا تظل أداة بيد أعداء هذه اللغة يتكثرون إليها كلم أردو، سيل مها أو الخط من قدرها. ولعل في مقدمته نذك القصصيات التي نحتاج إلى نظر

١ - الحاجة إلى المصطلح العلمي والحضاري

٢ - تخفيف من أثر الازدواج الدعوي، والتقريب بين العامية والفصحى

٣- تيسير تعليم قواعد اللغة والاستفادة من المعطيات الحديثة في هذا المجال

هذا، وآخر دعوان أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الثالث قضايا منهجية

(١)

مناهج التأليف النحوي^(١) عرض موجز ومناقشة

مقدمة

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فإن المكتبة العربية تصمم مثب الكتب في عدم النحو، ومنها ما هو مؤلف في موضوعات عامة، ومنها ما هو مؤلف في موضوعات خاصة نكن ندرس لا يكاد يحد كتب من تلك الكتب يتطامن في ترتيب الموضوعات، انهم إلا أن يكون شرحين لكتاب واحد

وعلى الرغم من ذلك التدين في ترتيب الموضوعات فإن انتمامل يمكن أن يصنف تلك الكتب في مجموعات بحسب المنهج العام لترتيب موضوعاتها، فمنها ما هو مرتب سداداً بى نوع الكلمة، فهناك أبواب لموضوعات الأسماء، ثم موضوعات الأفعال، ثم موضوعات الحروف ومنها ما هو مرتب بحسب نوع الحركة الإعرابية، فنُحَصِّصُ أبواب للمرفوعات، وأبواب للمصوبات، وأخرى للمجرورات ومنها ما هو مرتب بناءً على الوظيفة النحوية لمكوّنات بحملة

(١) منشور في مجلة "حق الثقافة والراث"، العدد ٤٤ لسنة ٢٠٠٣

العربية، فتتوزع الموضوعات على أبواب لجملة المستداً والبحر وفروعها، وأبواب
لجملة لفعلية وبواحقها، ثم أبواب لمكملات الجملة الاسمية والفعلية

ويعكس صدى تلك المصاحح على الدراسات النحوية المعاصرة، فتم تتبع
طريقة واحدة في ترتيب لموضوعات، ويلمح النظر في بحوث الدراسات العليا
في جامعتنا عدة المنهج الشكلي المسي على نوع العلامة الإعرابية أو نوع الكلمة
على المنهج الوطيمي للكلمة في الجملة العربية

ولا شئ في أن سلامة المنهج وملاءمته لموضوع الدراسة أحد مقومات وصف
الظاهرة اللغوية وصفاً صحيحاً، وأحد أسباب وضع القاعدة النحوية التي تعبر عن
تلك ظاهرة شكل واضح ودقيق وعكس ذلك اضطرب المنهج، فإنه لن يؤدي
إلا نتائج قاصرة عن التعبير عن حقائق اللغة، وعاجزة عن تيسير فهمها أو
تعلمها

إن ذلك انتاب في مصاحح التأليف في النحو العربي يعود الدرس إلى التساؤل
عن سر ذلك «تباين ودلائله»، وهل هو دليل على حيوية تلك المصاحح وأصالتها
بمعركة عن أصالة الفكر لدى النحاة، أو هو دليل على اضطرابها وعدم وضوح
الرؤية لديهم؟ وهل يمكن أن يكون أحد تلك المناهج أكثر ملاءمة للدرس
النحوي المعاصر من المصاحح الأخرى

إن هذا البحث يهدف إلى مناقشة ترتيب لموضوعات في كتب النحو العربي
العممة، ومحاولة تبين أهم المصاحح في ذلك، والنظر في اختيار المنهج المناسب
للدرس النحوي العربي المعاصر، وهذه قصاي قد لا يُوفّيها حقها مثل هذا
البحث، لكنني أردت أن أُنكّه المشتغلين بالدرس النحوي إليها، حتى تأخذ شيئاً
من اهتمامهم، وحتى يتتبع النظر والبحث فيها، لنصل إلى تحديد ملامح المنهج
الأمثل للدرس النحوي العربي، إن شاء الله تعالى

وسوف أساور دراسة تلك القصايا في ثلاثة مباحث

المبحث الأول حدود الدرس النحوي العربي

المبحث الثاني أهم مباحث التأليف في النحو العربي

المبحث الثالث مذهبنا وامتناع

وست أقصد في هذا البحث الدعوة إلى تسي مذهب جديد في دراسة النحو العربي، كما أنني لا أهدف إلى تقديم مقترح لتيسير قواعده، فإن كلاماً كثيراً قد قيل حول لتجديد والتيسير، ونحن كثيراً من ذلك الكلام لم يثمر تحديداً ولا تيسيراً، ولكني أهدف إلى النظر في التراث النحوي العربي ومحاولة تقويم مباحث لتأليف منه و مستخلص ما هو أنفع للدارس من تلك المباحث، مما قد يسهم في تجديد المذهب، أو يعين في تيسير القواعد

والله من وراء القصد، وهو ليهدي إلى سواء السبيل

المبحث الأول

حدود الدرس النحوي

سبحو أحد فروع علم اللغة، فقد انتهى الدرس اللغوي الحديث إلى درسه
للغة في عدد من المسويات، أشهرها^١

١ علم الأصوات، ويدرس أصوات اللغة

٢ علم الصرف، ويبحث في الوحدات لصرفية والصنع اللغوية، أي الكلمة

٣ علم النحو، ويبحث في التراكم، وما يرتبط بها من خواص، أي
لجملة

٤ علم المعنى، ويدرس المعنى، سواء كان مقصوراً على دراسة معاني
الألفاظ المفردة أم دراسة معانيها في التركيب

وكانت كتب علماء العربية المتقدمين تصم معظم تلك العلوم على نحو
منداحل، مثل ما نجد في كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، والمقتضب لدمرد
(ت ٢٨٥هـ) والأصول لاس أنسراح (ت ٣١٦هـ)، لكن العلماء بالحقير عموماً
على تمييز مباحث كل فرع من فروع دراسة اللغوية، وظهرت مؤلفات مستقلة
في كل علوم اللغة

وكانت بواكر ذلك التمييز قد ظهرت في وقت مبكر متمثلة بما ألف من كتب
في التصريف^٢، وكان هذا الاتجاه قد تبلور لدى ابن حني (ت ٣٩٢هـ)،

(١) ينظر محمد أحمد أبو الفرج مقدمة دراسة فقه اللغة ص ١٢٢، وكمال محمد بشر
دراسات في علم اللغة ص ١٢

(٢) ينظر بن تديم لغيره ص ٦٣ و ٦٥ و ٦٩ إلخ

فقال في كتاب المصنف في شرح تصريف الماري «وهذا القيل من العلم أعني
 بتصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة» فالتصريف إما هو لمعرفة
 أنصر انكم الثانية، وانحو إما هو لمعرفة أحواله المتقله، ألا ترى أنك إذا
 قلت قام نكر، ورأيت نكرأ، ومررت بكر، فإليك إما حالت بين حركات
 حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك
 كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف،
 لأن معرفة ذات الشيء الثابتة يسعى أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المنقذة، إلا أن
 هذا الصرب من العلم بما كان عوبصاً بُدئ قله بمعرفة النحو، ثم حيء به بعد
 سيكون الارتياص في النحو موطناً للدحول فيه، ومعيناً على معرفة أعرافه
 ومعانيه، وعلى تصرف الحال^(١) وكتب ابن جني أيضاً كتاب «سر صناعة
 الإعراب» في علم الأصوات و لحروف^(٢)

وكان أبو حيد لأندلسي (ت ٧٥٤هـ) أكثر علماء العربية وصوحاً في تحديد
 معالم كل علم من علوم اللغة العربية^(٣)، فقال في مقدمة كتابه «ارتشاف الصرب
 من سائر العرب» «وحصرته في جملتين

الأولى في أحكام الكلم قبل التركيب

وثانية في أحكامها حالة التركيب

الجملة الأولى في الأحكام الإفرادية وتقدم القول في مؤدّ لكم، وهي
 حروف المعجم وحروف العربية عدداً ومخرجاً وصمة وقد فرعا من ذكر

(١) المصنف ١ ٢ ٥

(٢) ينظر سر صناعة الإعراب ١٠/١

(٣) كتاب لسكاكي (يوسف بن محمد ت ٦٢٦هـ) قد ميّز بين موضوعي الصرف والنحو في
 كتابه «مفتاح العلوم» فمن على أن موضوع الصرف (المعرد)، وموضوع النحو
 (التألف)، ينظر ص ٨

حروف المعجم عددٌ ومحرجاً وصفة، وهذه الحروف هي مواد الكلم العربية^(١)

«القول في أحكام الكلم العربية حالة الأفراد وهو على ثلاثة أقسام، الأول ما يكون لها في نفسها، الثاني ما يلحقها من أولها، والثالث ما يلحقها من آخرها

والقسم الأول هو المسمى بعلم التصريف، وينقسم قسمين أحدهما جعل للكلمة على صيغ مختلفة لصروب من المعاني، وستأتي والآخر تعبير انكسمة لغير معنى طارئ عليها، ويحصر في الريادة والحدف والإبدال والقلب والنقل والإدغام^(٢)»

والقسم الثاني من الجملة الأولى وهو قسمان قسم ينحوق لكلمة من أولها وقسم ينحوق من آخرها. القسم الأول همزة الوصل القسم الثاني وهو ما يلحق بالكلمة من آخرها، وهو علامة لثنية، وعلامة الجمع على حده، وياء السب، وعلامة التأنيث، ونون التوكيد، ونون التوسير^(٣)»

«الجملة لثانية في أحكام الكلمة حالة التركيب، وهي إعرابية، وغير إعرابية الساء والحكاية والإدغام من كلمتين، والتقاء الساكنين من كلمتين، وتقاء الهمزتين من كلمتين، ولحاق علامة التأنيث بفعل لأجل مرفوعه، والعدد، ولكاية عن العدد، والوقف^(٤)»

«القسم الثاني في أحوال الكلمات حالة التركيب التي هي إعرابية^(٥)»

ويدور أن مبحث علم الأصوات ظلت محتنطة في مؤلفات علماء العربية بالمبحث الصرفية والنحوية، ولم يحصلها من تلك المباحث إلا علماء التحويد، على نحو ما يقول الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) «اعلم أن نحويد

(١) تشاف الصرب ١ / ٤ ١٢

(٢) انصبر نفسه ١ / ١٣

(٣) انصبر نفسه ١ / ٢٤٩ ٢٥١

(٤) انصبر نفسه ١ / ٣١٤

(٥) انصبر نفسه ١ / ٤١١

القراءه يتوقف على أربعة أمور

أحدها معرفة محارج الحروف

وثاني معرفة صفاتها

ولثالث معرفة ما يسجد لها بسبب التركيب من الأحكام

ولرابع ربيعة اللسان بذلك وكثرة التكرار^(١)

ولم تستقل مساحث علم الأصوات في جهود علماء العربية في مؤلفات خاصة بها، على الرغم من أن ابن حني حاول ذلك في كتابه «سر صناعة الإعراب»، بل ظلت متداخلة بموضوعات الصرف خاصة، وقلَّت تلك المساحث في مؤلفات متأخرين إلى أصيق الحدود

إن تأليف عالم واحد كتابين أحدهما في النحو والآخر في الصرف دليل أكيد على تميز مساحث هذين العلمين لديه، كما فعل أبو عمرو عثمان بن عمرو، المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، فكتب أولاً (الكافية في النحو) ثم أتبعها (بالشافية في الصرف)

ولم ينحول ذلك اتجاهًا عمدًا في التأليف، فظل كثير من مؤلفات علماء العربية يُدرجُ مساحث الصرف ضمن كتب النحو، على نحو ما فعل محمد بن مالك (ت ٦٧٢هـ) الذي كان معاصراً لابن الحاجب، في كثير من مؤلفاته، التي كان لها أثر كبير في اندرس النحوي العربي كما فعل في ألفيته، المشهورة بالحلالة، وكناهه الآخر المشهور بتسهيل الفوائد، ومقدمته الموسومة بعمدة لحفظ وعدة اللفظ فقد بحث فيها أهم موضوعات الصرف، لكنها كانت تحتل الأنوار الأخيرة من تلك الكتب، وهذا يدل على استحصاره التمايز بين موضوعات النحويين، على الرغم من جمعه لها في كتاب واحد

يت بد أردنا أن نحدد ميدان النحو وأن نحصر موضوعاته كما تصوّرنا علماء

(١) لمقد ص ٣٩، والواضحة (له) ص ٣٠

عربية فإن ذلك أمر في متناول يد الدارس، وهي تتلخص بالموضوعات التي تتناول بالدراسة لأحكام المترتبة على استعمال الكلمات في التركيب، ويمكن تقديم قائمه مركزه تلك الموضوعات بالاستناد إلى ما أدرجه ابن لحاح في الكفيه، وأبو حيد في ارتشاف لصرب، مراعيًا ترتيب ابن مالك بنلك الموضوعات في ألفيته، مع ملاحظة أمرين الأول انفراد بعض المؤلفين بإدراج بعض الموضوعات ضمن أبواب النحو، لا يدرجها أحرون، ولأمر الثاني هو أن هذه الموضوعات تكاد تكون موضع إجماع من النحويين، على الرغم من اختلاف مآهجهن في ترتيبها، وطريقة تدولها، وهو ما سنفق عنه في البحث الآتي، إن شاء الله، ويتم برید هنا حصر موضوعات النحو كما استقرت عند جمهور علماء العربية، وهي

- ١ الكلام وما ينأف منه
- ٢ المعرب، وسمي (وأنواعهن)
- ٣ النكرة، والمعرفة (العلم لصمير الإشارة الموصون إلح)
- ٤ - مبتدأ والخبر
- ٥ بواسح، لاتداء (كـ وأحواتها، وإـ وأحواتها إلح)
- ٦ الفاعل، وائب الفاعل
- ٧ التعدي والبروم والتعارع والاشتعال
- ٨ لمفاعيل (لمفعول المطلق، له، فيه، معه)
- ٩ لاستثناء والحال والتميم.
- ١٠ حروف بحر، وإضافة
- ١١ الأسماء التي تعمل عمل الأفعال (لمصدر، سم الفاعل، إلح)
- ١٢ التعجب، وأفعل التفصيل، ونعم ونس

١٣ التوبع (البعث و التوكيد والعطف والبدن)

١٤ الداء، والاستعانة، والبدنة

١٥ التحدير و لإعراء و لاحتصاص.

١٦ إعراب الفعل

١٧ أحكام لعدد

١٨ الحكمة

المبحث الثاني

أهم مناهج التأليف في النحو

من كتب النحو ما أُلِّف في موضوع حاصر، مثل حروف المعاني، وما لا يصرف، و تحلاف الحوي، والعوامل الحوية، والعدل الحوية، ونحوها ومنها ما أُلِّف في دراسة قواعد العربية عامة، وهو ما يريد الحديث عن مناهج العلماء في ترتيب موضوعاته

ويبدو أن قول الأستاذ محمد عبد الحلق عصمه - رحمه الله - عن كتب النحو «لكل كتاب منهج في التأليف»^(١) قول صحيح، لكن ذلك لا يمسح من البحث عن المنهج العامة التي سب عليها لائحة ترتيبهم موضوعات كتبهم، بعض النظر عن عدم التطابق بينها، فلنأمل في تلك الكتب يستطيع أن يصورها بسهولة إلى مجموعات ساء على مناهج تأليفها وطرق ترتيب موضوعاتها، وأهمها ما يأتي

أولاً ترتيب الموضوعات بحسب الوظيفة النحوية للكلمة في التركيب

تعتقد الأنوب في هذا النوع من الكتب على أساس الوظيفة النحوية التي تؤديها لكلمة في الجملة أو التركيب، والكلمات في الجملة العربية تقع متداً، أو حراً، أو فعلاً، أو مفعولاً، أو حالاً، أو تمييزاً إلخ، وترتّب أبواب الكتب ساء على ذلك، مع ناول موضوعات أخرى مهمة أو مُكمّنة لتلك الأنوب، وهذه بطريقة أشهر مناهج لتأليف وأكثرها استخداماً في كتب النحو العربي

وأقدم كتاب اتبع هذه الطريقة في التأليف كتاب سيويه، وعلى الرغم من

(١) المقتضب للمردح ٤ ص ١ من الملحق

شكوى المدرسين للكتاب من صعوبة نيل أساس لترتيب أبوابه^(١)، فإن أبواب الكتاب مبنية على أساس الوظيفة النحوية للكلمة في الجملة العربية في العال، وتتصدر أبواب الموضوعات النحوية الأجزاء الأولى من الكتاب، وتتبعها أبواب الموضوعات الصرفية، وجاءت الموضوعات الصوتية في آخر الكتاب

ولم يكن «المقتضب» للمبرد أحسن حالاً من الكتاب من حيث ترتيب الأبواب النحوية، فعلى الرغم من أن عناوين الأبواب مأخوذة من الوظائف النحوية للكلمات إلا أن تسلسل الأبواب لا يسي على أساس واضح، وتداخلت الموضوعات الصرفية بالموضوعات النحوية بشكل كبير، وتأثرت المسائل على نحو حمل محقق الكتب على عمل فهرس كبير للموضوعات، يسيراً للمدرسين في الرجوع إليه

ويبدو أن عموص مهج انكتاب، واضطراب مهج المقتضب، حملاً من السراح على إعادة ترتيب موضوعات النحو، ولعل القدماء كانوا يقصدون ذلك بولهم «كد النحو محبواً حتى عقده ابن السراح بأصوله»^(٢) وصرح أبو سركاب ابن الأسدي بذلك حيث قال «وله مصنفات حسنة، وأحسنها وأكبرها كتاب «الأصول»، فإنه جمع فيه أصول علم العربية، وأحد مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب»^(٣)

والباظر في كتاب «الأصول في النحو» لابن السراح (ت ٣١٦هـ) وفي كتابه الآخر «الموجز في النحو» يدمج بسهولة وصوغ الحطة التي نى عليها ابن السراح كتابه، فهي تقوم على تقديم مباحث النحو على مباحث الصرف، وعلى تقديم مباحث الأسماء على مباحث الأفعال، وتقديم المعرب على المحسني من الأسماء، وترتيب موضوعات الأسماء، المعرفة على أساس العلامة الإعرابية، وهو بذلك يكون قد وضع أساساً آخر للترتيب، يقوم على تقسيم موضوعات النحو إلى

(١) سطر فصل لسامري الدراسات النحوية واللغوية عند الرمشتري ص ٣٢

(٢) ياقوت معجم الأدباء ١٨/١٩٨

(٣) برهة لألاء ص ١٨٦

مرفوعات ومصوبات ومجرورات ولعل من المفيد ذكر العناوين الرئيسة
موضوعات النحو كما وردت في كتابي ابن السراج، مع ملاحظة أن الموجز هو
مختصر للأصول^(١)

١- الكلام وما يأتي منه

٢- الإعراب والبناء

٣- الأسماء لمرفوعة

٤- الأسماء المنصوبة

٥- الأسماء المجرورة

٦- نواع الأسماء في إعرابها

٧- ما يصرف وما لا يصرف

٨- الأسماء المسبية

٩- إعراب لأفعال وسأؤها

١٠- الحكاية

وهناك مجموعة كبيرة من الكتب التي اتبعت هذا المنهج، وإن لم تتفق في
التفاصيل، ظهرت بعد عصر ابن السراج، مثل كتاب «الجميل» للرجاحي
(ت ٣٤٠هـ)، وكتاب «الإيضاح» لأبي علي الحوي (ت ٣٧٧هـ)، و«لواضح» لأبي
بكر بن يدي (ت ٣٧٩هـ)، و«اللمع» لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، و«التنصرة والتذكرة»
للصيمري (مختلف في تزيين وفاته)، وغيرها^(٢)

(١) ينظر فهرس موضوعات كتاب الأصول وكتاب الموجز

(٢) ينظر فهرس الموضوعات لكتاب الجمل للرجاحي، والمقصد في شرح الإيضاح بعد
الظاهر الخرجاني، ولواضح بن يدي، وشرح اللمع لابن برهان العكبري، والتنصرة
والتذكرة للصيمري

وترشح هذا الاتجاه في التأليف النحوي على يد ابن مالك (٦٧٢هـ)، في عدد من كتبه، لاسيما في ألفيته المشهورة بـ«الحلاصة»، وكتابه الآخر «تسهيل نوائد وتكميل مقاصد»، للذين شُرِّحا عشرات الشروح، واستحوذا على جهود علماء العربية المأحرين، وامتد تأثيرهما إلى زماننا، لاسيما الألفية التي يدرس طلبة أقسام اللغة العربية في أكثر الجامعات العربية شرحها لاس عقيب وسبق أن نقت في حر المبحث الأول عداوين الأبواب النحوية الرئيسة كما وردت في لألفية، بما يعني عن تكلف ذكرها مرة أخرى

ثانياً ترتيب الموضوعات بحسب نوع الكلمة

«انكلم أسم وفعل وحرف»^(١)، منها تتكون الجملة، وعليها مدار الكلام، ومن نحويين من رتب كتابه على أساس نوع الكلمة، فجعل بَدْءاً لموضوعات لأسماء، وآخر للأفعال، وثالثاً للحروف، وحتم الأبواب ساب للمساثل لمشتركة بينها وأشهر كتاب سار على هذا المنهج كتاب «المفصل» لمرمحلوري (٥٣٨هـ)، الذي قال في مقدمته «ولقد نديني ما بالمسلمين من لأرب إلى معرفة كلام العرب، وما بي من لشفقة والحدب على أشياعي من حقة الأدب، لإنشاء كتاب في الإعراب محيط بكافة الأبواب، مرتباً ترتيباً يسع بهم الأمد بعيد تأرب السعي، ويملا سجالهم بأهون السقي، فأشأت هذ الكتاب المترحم بكتاب المفصل في صفة الإعراب، مرسومياً أربعة أقسام

انقسم الأول في الأسماء

انقسم الثاني في الأفعال

انقسم الثالث في الحروف

انقسم الرابع في المشترك»^(٢)

(١) سبويه لكتاب ١/١٢

(٢) شرح المفصل ١/١٧

وتناول اليرمحشري في أبواب هذه الأقسام موضوعات النحو مع موضوعات الصرف، فتناول في القسم الأول لأسماء المعرفة، وذكرها في ثلاثة أبواب: معرفة والمضمرات، ثم تناول الميمات، والأسماء المركبة، والتثنية، والجمع، والتذكير والتأنيث والتصغير، والنسب، والأسماء المتصلة بالأفعال، وأسماء الثلاثة مجردة ومريدة

وتناول في القسم الثاني المساحات المتعلقة بالأفعال، فتناول أحكام «فعل لماضي والمضارع والأمر، والمتعدي واللام، والأفعال الناقصة، وأفعال المقارنة، ونعم ونس، وفعل التعجب، وأوران الأفعال

وتناول في القسم الثالث المساحات المتعلقة بالحروف، فتحدث عن حروف الجر، وحروف لمشيئه بالفعل، وحروف المعطف، ولهي، وانسيه، والباء، والاستثناء، والتفسير، والتخصيص، والتقريب، والاستفهام، ولشرط، والمعلل، وحرف لتذكر

ودرس في القسم الرابع المشترك، الإيماء، وأحكام الوقف، وتحييف الهمزة، والتقاء الساكنين، وهمزة لوصول، وزيادة الحروف، وإبدالها، والاعتلاء، والإدغام^(١)

ثالثاً ترتيب الموضوعات بحسب حركة الإعراب والبناء

الإعراب تعبير في حر الكلمة يحلله العامل، والحركات علامات الإعراب، ودلائل عليه^(٢)، والباء صده، وهو بوزم حر الكلمة صرباً واحداً من الحركة والسكون لا شيء أحدث دلت من العوامل^(٣) وتعبير العربية بأنها لغة معرفة تعبير أو حر كدماها تعبير مواقعها في الحمل، وأكثر الكلمات تأتي في الحملة معرفة، وهناك ترابط بين نوع الكلمة وموقعها في الحملة والحركة الإعرابية التي

(١) سطر فصل السمراني، الدراسات الحوية والمعوية عند اليرمحشري ص ١٠٨

(٢) سطر سرحي الحصائص ٣٦، ١، واسيوطي جمع الهوامع ١ ١٤

(٣) سطر المصادر الساعد ٣٨/١ و ١٥/١

بأحدها وحرى بعض المؤلفين في السجو على ترتيب الموضوعات السجوية على أساس لإعراب والساء

وظهرت ملامح هــ، السمهج في مؤلفات ابن السرح، فعلى الرعم من أسا أدرجها في الكتب السجوية، المرتة على أساس الوظيفة السجوية، إلا أسا مجد لمادة اسجوية فيها قد رتب على أساس الإعراب والساء، فقذم السجويث عن الأسماء المعربة، وبدأ بالمرفوعات، وأتبعها بالمصوبات فالمجرورات، وبتواع، ثم تحدث عن الأسماء المسية، وأتبعها بالسجويث عن إعراب الأفعال وسائها، ثم تبدأ بموضوعات بصرفة إلى آخر الكتاب

وبررت معالم هــ الاتجاه في الترتيب في كتاب المفصل للرمحشري، فعلى برعم من أن الكتاب مقسم أربعة أقسام على أساس نوع الكلمة، فإن موضوعات القسم لأول الحصة بالأسماء جاءت مرتبة على أساس الإعراب والساء

وبعل هــ، لاسجاه أكثر وصوحاً في كتاب الكافية لاس الساحب (ت٦٤٦هـ)، فهو وإن تبع الرمحشري في لمفصل في ترتيب موضوعاته، ولكنه فارقه في أمرين في الأقل هما الأول لم يصع اس الساحب موضوعات كتابه في إطار القسمة الرباعية بشكل صريح، أعى قسم الأسماء، والأفعال، ولحروف، ومشترك، والثاني فصل اس الساحب موضوعات الصروف عن موضوعات سجو، وحعل لكل منها كتاباً مستقلاً

ويمكن أن نحمل السعاون الرئيسة لموضوعات السجو في الكافية في ما يأتي

١ مقدمة في الكلام، والإعراب والساء، والعامل

٢ لأسماء المعربة (المرفوعات، ولمصوبات، والمجرورات)

٣ الأسماء المسية

٤ موضوعات متعلقة بالأسماء المعربة والسسية مثل المعرفة والسكرة، وتأنيث والتذكير، والأسماء المتصلة بالأفعال (المشتقات)

واعتمد هذا الاتجاه في الترتيب ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) في كتابه «شذور الذهب» وشرحه، فبعد المقدمات سرد ابن هشام معظم موضوعات النحو تحت العنصر الأربعة الآتية المرفوعات والمصوبات و«مجرورات والمحروقات»^(١)

رابعاً ترتيب الموضوعات بحسب العُمدَة والفضلة

الحملة هي ميدان علم النحو^(٢)، وهي تتألف من ركيزين أساسيين هما «مسند والمسد إبيه، سواء أكانت اسمية أم فعلية»^(٣)، وهذان الركبان هما عُمدة الكلام، وما عداها فضلة أو قد، وليس المقصود بفصلة عند اتجاه أنها يجوز الاستعانة عنها من حيث المعنى، كما أنه ليس المقصود بها أنها يجوز حذفها متى شئت وإنما المقصود بالفضلة أنه يمكن أن تتألف لكلام بدونها، بخلاف عُمدة فإنه ليس من الممكن أن تتألف الكلام بدونها^(٤)

واعتمد بعض النحويين على تقسيم الكلمات إلى عُمَد وفصلات لترتيب موضوعات النحو في كتبهم، وكان السيوطي (ت ٩١١هـ) قد أخذ بهذا الاتجاه في كتابه «جمع الهوامع»، كما اطلعت عليه من كتب النحو، في ترتيب الموضوعات الأساسية لعلم النحو، وذكر أن الكتاب يتألف من مقدمات وسعة كتب، ثم فروع «المقدمات في تعريف الكلمة وأقسامها، والكلام، والكلم، والحملة، والقول، والإعراب، والبناء، والمتصرف وغيره، والكثرة والمعرفة وأقسامها

والكتاب الأول في العُمَد، وهي المرفوعات، وما شابهها من مصوبات

(١) ينظر فهرس موضوعات شرح شذور الذهب لابن هشام

(٢) ينظر عبده ابراهيم النطق النحوي ص ٧٧

(٣) ينظر سبويه الكتاب ١، ٢٣، وابن يعش شرح المفصل ١، ٧٤

(٤) فاضل السمراني معاني النحو ١، ١٤

سواسح

وانثبي في لفصلا، وهي المصنوعات

والثالث في لمجرورات وما حُمِلَ عليها من المعجرومات، وما يشعها من الكلام على أدوات تعليق غير الحارمة، وما صُمِّمَ إليه من بقية حروف المعدي
وربع في العوامل في هذه الأنواع، وهو لمعل وما ألحق به، وحُتم
باشتعلها عن معمولاتها وتدرعها فيها

والخامس في التويع بهذه الأنوع، وعوارص تركيب الإعرابي من تعبير
كإلحاد، والحكاية، والتسمية، وصرائر الشعر

وهذه الكتب الخمسة في سحو

والسادس هي الأسية

واساع في تعبيرات الكلم الإفر دية، كالربادة، والحدف، والإبدال، والهل،
والإدغام، وحُتم بما يسه من حائمة الخط

وهذا ترتيب مدبع بم شق إليه، حدوث فيه حدود كتب الأصون^(١)

(١) همع لهو مع ١ ٣

المبحث الثالث

مناقشة واستنتاج

إن القول بأن لكل كتاب في النحو منهجاً خاصاً به يشير إلى طريقة ترتيب الموضوعات، لا إلى الموضوعات نفسها، فلم يختلف النحاة في عدد أبواب النحو وموضوعاته، وإذا حصل اختلاف بينهم في شيء من ذلك فإنه يكون في أصيق الحدود، ولا يشكل قضية تستدعي البحث، إنما وقع الاختلاف بينهم في ترتيب الأبواب، على نحو ما عرضه في المبحث السابق

ولا يعني لتصنيف السابق لمناهج التأليف عدد النحاة أن تلك المناهج لا تنتمي أو تتداخل في الكتاب الواحد، فكثيراً ما نلاحظ تداخلها في العمل لواحد، فإذا كان قد لاحظ أن الرمحي قد نوّأ (المفصل) إلى مباحث الأسماء، والأفعال، والحروف، فإننا نجد في مبحث الأسماء قد رتب الموضوعات بحسب حركة الإعراب والياء إلى مرفوعات ومصوبات ومحرورات ثم محليات، كما أنه في باب المرفوعات تناول الموضوعات بحسب وظائفها في الجملة مثل المتداً والحرف والفعل، وهكذا في الأبواب الأخرى

وهذا التداخل في المناهج في الكتاب الواحد لا يمنع من وضع كل عمل في اتجاه معين من اتجاهات التأليف النحوي، وذلك بحسب الاعتبار الرئيسي الذي يقوم عليه ترتيب الأبواب، فإذا قسمنا الكتاب النحوي إلى أبواب والأبواب إلى فصول، فإننا نرى في تحديد منهجه إلى عناوين الأبواب لا عناوين الفصول

وحين حددت في المبحث السابق أهم مناهج التأليف النحوي فإنني كنت أنظر إلى الاتجاه العام، وأعتمد على ما تيسر لي من كتب النحو، وربما أهملت الإشارة إلى عدد من كتب النحو حين أحد أن طريقة ترتيب الموضوعات فيها لا

تصنيف مثبتاً حديد إلى الاتجاهات التي ذكرتها، كما أن من المحتمل أن يكون بعض ما لم أطلع عنه من كتب النحو يحمل إضافة إلى ما ذكره، ولكي أحسب أن الاتجاهات التي ذكرها هي أهم ما يمكن أن يقف عليه الدرس، وأن لمهم بعد ذلك هو ملاحظة تلك الاتجاهات، وملاحظة وجوه الصعف والقوة فيها، لأحد ذلك للاعتدال في المصباح الذي يقوم عليه درس النحوي اليوم

أولاً مناقشة مناهج التأليف النحوي القديمة

١ إن ترتيب موضوعات النحوية بحسب وظيفة الكلمة في الجملة أكثر مناهج التأليف مستخدماً، كما أنه أكثر توافقاً مع طسعة موضوع النحو الذي يقوم على دراسة جملة ومكوناتها فإذا كانت الكلمة واقعة في صدر الجملة وفامت بوظيفة (المسداً) فإن هذا المصباح يقتضي أن يحدد الحر الذي يكمل الجملة، سواء كان سماً، أم جملة فعلية أو اسمية، أم شبه جملة، ومثل ذلك أيضاً (المفعول) الذي يقتضي تحديد الفاعل حتى تتم الجملة، ويدرم في هذا المصباح سطر في مكملات جملة الأخرى وهكذا تتحقق في طر هذا لائحاه في ترتيب الموضوعات نحوية دراسة كاملة في صعيد واحد

ولا يسعى أن يحدد عدم اتفاق الحاة على طريقة واحدة في ترتيب موضوعات في هذا الاتجاه على التعاضى عن الجواب المهمة التي يحققها في الدراسة، وإذا كانت كتب النحويين الأولى تفتقر إلى المهجة الواضحة فإن تطور التأليف ونعمو النظر وتركب الحره قد أوصلت الدرس النحوي في طر هذا الاتجاه إلى نوع من الاستقرار في ترتيب الموضوعات على نحو ما جاءت مربية في ألفه ابن مالك، وهو ترتيب يصلح أن يكون أساساً لترتيب أفصل موضوعات النحو

٢ يبدو أن ترتيب موضوعات على أساس نوع الكلمة يؤدي إلى مشكلة مهجية، وهي نشئت موضع معالجة بقاعدة التي تحكم طهرة دعوية واحدة، بالإضافة إلى أن هذا المصباح لا يتوافق مع طبيعة الدرس النحوي الذي يتحد من

الجملة مبدأً به، أم الكلمة المفردة فإنها ميدان الدرس بصرفي، والحوثي وهو بدرس الجملة يحتاج إلى تحديد نوع الكلمة لكن ذلك لا يستدعي جعل نوع الكلمة عنواناً لمباحث الجملة

وأوضح مثل على ذلك هو معالجة الرمخشري لمواضع الاستداء، فمن ناحية نوع الكلمة فإن (كان) وأحواتها دُرست في باب الأسماء، وباب الأفعال، و(إن) وأحواتها دُرست في باب الأسماء وباب الحروف ومن ناحية الحركة الإعرابية فسم (كان) وحبر (إن) يتبعان المرفوعات من باب الأسماء، وحبر (كان) واسم (إن) يتبعان المصنونات من باب الأفعال، وهذا يعني معالجة الجملة الواحدة هي ثلاثة مواضع متعددة، وقد نُعتد ذلك بأن كل موضع يُعنى بجانب واحد من حواشٍ لجملة، لكن مع ما في ذلك من التكرار، فإن فيه ما يفتقر من تطيدات التيسير على المتعلم، وما يفتقر في أصول البحث لطاهرة اللغوية الواحدة

ونكتفي الآن بالإشارة إلى أن بحث (إن) وأحواتها قد جاء في ثلاثة مواضع، في الجزء الأول، والثاني، والثامن من شرح المفصل لأن يعيش الذي تابع الرمخشري في ترتيبه لموضوعات الكتاب فجاء في باب المرفوعات من الأسماء «قال شارح أعدم أن هذه الحروف، وهي إن وأحواتها، وهي ستة إن وأن ولكن وبيت ولعل وكان من العوامل الداخلة على امتداد ولحق، فسبب ما كان متداً وترفع ما كان حبراً، وإنما عملت لشبهها بالأفعال وذلك من وجوه»^(١)

وجاء في باب المصنونات من الأسماء «قال شارح لما حصر المصنونات وحب عليه أن يعيد ذكر كان وأحواتها وإن وأحواتها ههنا، لأن لكل واحد منهما مصنونة، كما أن له مرفوعة، فحبر كان وأحواتها واسم إن وأحواتها من المصنونات على التشبيه بالمفعول»^(٢)

(١) شرح المفصل ١/١٠١

(٢) المصدر نفسه ٢/٩٦

وحاء في باب الحروف عند الحديث عن (الحروف المشبهة بالفعل) «قال الشارح قد تقدم الكلام على هذه الحروف مفصلاً، ونحن نشير إلى طرف منه مجملًا، فنقول هذه الحروف تنصب الاسم وترفع الحرف لشبهها بالفعل»^(١)

وحاء بحث القصاص، المتعلقة باب (إن وأخواتها) مفصلاً في الموضع الثالث الحصر بالحروف، فقد استغرق أكثر من ثلاثين صفحة، وجاء بحثها في موضعين الأول والثاني في بعض صفيحات، وأكثر الموضوعات التي حاءت في موضع ثالث مما يتعلق بالتركيب وكان حقه أن يبحث في الموضعين الأولين، من إن الألف بحث موضوعات هذا الباب كلها في موضع واحد

٣ ويسر ترتيب الموضوعات بحسب حركة الإعراب بأسعد حفظاً من ترتيبها بحسب نوع الكلمة، فهذا الترتيب يؤدي أيضاً إلى تشتت دراسة الموضوع الواحد في أكثر من موضع فقد تحدث ابن الجاحظ في «الكافية» عن حرف (إن) وأخواتها في المرفوعات^(٢)، وتحدث عن اسم (إن) وأخواتها في باب المصوبات^(٣)، حديثاً موحراً، ثم تحدث عنها حديثاً مفصلاً في باب الحروف المشبهة بالفعل^(٤) ومثل ذلك ما فعله ابن هشام في «شرح شذور الذهب»، في توزيع الموضوع الواحد على أكثر من باب^(٥)

٤ ويبدو أن ترتيب الموضوعات بالاسناد إلى دوره في جملة بحسب كونها عمدة أو قصيدة أكثر مباحح النحاة توافقاً مع طبيعة الدرس النحوي الذي يدور أساساً حول الحملة، وهذا لاتجاه يلتقي مع الاتجاه الأول القائم على أساس انوطيفه النحوية للكلمة في الحملة، إلا أن ذلك الاتجاه لم يقسم الوطائف النحوية إلى عمدة وفصله، وإنما يعرضها المؤلفون عرضاً يتوافق مع أنواع الحملة

(١) المصدر نفسه ٨ ٥٤

(٢) ينظر الرضي شرح الكافية ١ ١٠٩

(٣) المصدر نفسه ١ ٢٥٥

(٤) المصدر نفسه ٢ ٣٤٥، ٣ ٣٦٣

(٥) ينظر فهرس موضوعات شرح شذور الذهب لابن هشام

ومكوناتها، من غير أن يصرحوا بالأساس الذي رتبوا الموضوعات عليه

وهذا الانحاء في ترتيب الموضوعات الحوية يسمح بجمع الموضوعات «مشتابهة» أو التي تعالج قضايا ذات طبيعة واحدة في سياق واحد، فحين ذكر السيوطي المرفوعات في العُمد صمَّ إليها طائفة من المصنوعات، وإن كان النصب عُمداً للمعمولية، وهي المصنوعات التي أصلها المستند وأحر، فقال «الكتاب الأول في العُمد، وهي المرفوعات وما شابهها من مصنوب النواسخ»^(١) وقال عن النواسخ «هذا بحث الأدوات التي تدخل على المستند وأحر، فتسح حكم الانتداء، وهي أربعة أنواع كان وأحوالها، وكاد وأحوالها، وإن وأحوالها، وطست وأحوالها، وما ألحق بذلك»^(٢) وقال في باب الفاعل «لما كان الكلام يعقد من مستند وأحر، وشأ عنه نواسخ، ومن فعل وفاعل، وشأ عنه الداء عن الفاعل، انحصرت العمد في ذلك»^(٣)

ويمكن أن يلاحظ الدارس على منهج السيوطي في «جمع الهوامع» عدة ملاحظات، منها

الأولى إدراجه موضوعات الصرف في الكتاب، وهو اتجاه قديم إلا أن من «متأخرين من حاول التخصص منه، كما فعل ابن الجاحظ

الثانية قد يوحى لفظ (الفصلة) بعدم أهمية الموضوعات «مدرجة في هذا باب»، وهي عنصر أساسي في الحملة التي تأتي فيها، وقد لا يستقيم الكلام دونها، ودرستها في إطار الحملة أولى من بحثها تحت عنوان الفصلة

الثالثة أدرج السيوطي في آخر المرفوعات في باب العمد المرفوع من الأفعال^(٤)، وأدرج في آخر المصنوعات في باب لفصلات المصنوب من

(١) جمع الهوامع ١ ٣

(٢) المصدر نفسه ١ ١١١

(٣) نفسه ١ ١٥٩

(٤) نفسه ١ ١٦٤

الأفعال^(١)، وقد كان العمل من العمد فإن حقه أن يبحث في باب عمد سواء
أكون منصوباً أم مرفوعاً، على نحو ما درس منصوبات النواسخ في باب عمد

ثانياً: مباحث الكتب النحوية الحديثة

إن مسيره علم النحو الطويلة قد أنصبت الفكر النحوي العربي، في الشكل
والمضمون، أعني في الترتيب وفي القواعد، لكن العقل الشرعي لا يكف عن
التفكير في تحسين وتطوير معارف الإنسان وأساليب التعبير عنها، ومن ثم فإن
التفكير في منهج أمثل لترتيب الموضوعات النحوية طرأ يعتل في عقول المهتمين
بالنحو العربي، كما طرأ يعتل في عقولهم التفكير في تيسير قواعده

وكانت أكثر جهود المحدثين ومحاولاتهم متجهة نحو تيسير القواعد^(٢)، أما
ترتيب الموضوعات فإن كثيراً من المحدثين كان يسير على وفق ترتيب ألفية ابن
مالك لموضوعات النحو، فأكثر عمليين كتباً في العصر الحديث في النحو العربي،
مما اطلعت عليه حياء أعني ذلك الترتيب، وأعني بهما كتاب «نحو لؤافي»
للأستاذ عباس حسن، وكتاب «معاني النحو» للدكتور فاضل صالح السامرائي،
عني ما سهما من فرق في طريقة عرض الموضوعات، وفي النسخي لني يؤكد
عليها في كتابيهما

أما الأستاذ عباس حسن فإنه صرح بأنه سوف يلتزم في كتاب «النحو لؤافي»
بتسحين أبواب النحو مرتبة حسب ترتيب ابن مالك في ألفيته المشهورة، وعند
ذلك بقوله «وقد دعانا إلى الحرص على ترتيب ألفية ابن مالك وتسجيل أبوابها
وأبياتها مرتبة كمنه - في الهامش ما نعلمه في مصر وغير مصر من نسيب
بعض معاهد وكتيبات الجامعية بها، وإقبال طوائف من الطلاب على تفهمها،
وتشدد في درستهم واستظهارهم كثير منها، لالتهاف بها حين يردون، وقد

(١) ص ٢٢

(٢) ينظر عن ذلك لمحاولات محمود أحمد السد تطوير مباحث تعليم القواعد النحوية

ص ٤٦ - ٧٠

بحيرن بها مكناً في دبل الصفحات يقربها من راعيتها، ويعددها من براهدين
فيها

«وإنما اثرنا في ترتيب الأبواب المحوية الترتيب الذي ارتصاه ابن مالك لأنه
الذي ارتصاه كثيرون مع جاؤوا بعده، ولأنه الترتيب الشائع اليوم، وهو فوق
شيوخه أكثر ملاءمة في طريقته، وأوفر إفادة في التحصيل والتعليم

«وبشيع بعد الترتيب القائم على جمع الأبواب الخاصة بالأسماء متعاقبة، يديها
الخاصة بالأفعال، ثم لحروف كما فعل الريحشيري في مُصَلِّهِ، وتبعه عليه
شراحه، وهذه الطريقة حميدة أيضاً، ولكنها تعيد المتخصصين دون سواهم من
الراغبين في المعرفة العامة أولاً فأولاً، فالمبتدأ يلازمه بحير أو ما يقوم مقامه،
وقد يكون بحير جملة فعلية، أو شبه جملة، والفاعل لا بد له من فعل أو ما
يقوم مقامه، والمفعول لا بد له من الاثنى فكيف يتعلم الراغب أحكام
المبتدأ وحده، أو الحير وحده، أو الفعل وحده، أو الفاعل كذلك؟

«وهناك أنواع أخرى من الترتيب لكل منها مزاياه التي براها لا تعدل مرة
بترتيب الذي احترامه، ولا يناسب عصره القائم»^١

وأم الدكتور فاضل صالح السمراني فإنه وصح في مقدمة كتبه «معاني النحو»
هدفه من تأليف الكتاب وهو دراسة النحو على أساس المعنى، وقال «إن هدف
كتاب محاولة في فقه النحو على النهج الذي أسلفته، إنه محاولة لتبسيط
التركيب المختلفة، وشرح معنى كل تركيب»^٢ لكنه لم يصرح بالحطة التي
يسير عليها في ترتيب أبواب الكتاب، ووجدت من النظر في تتابع أبوابه أنه يسير
على وفق ترتيب ألفية ابن مالك أيضاً، مع اختلافه عنه في أمرين الأول
إحراجه للموضوعات الصرفية من كتابه، والآخر حديثه عن الحممة وطهارة

(١) النحو أبو في ١ ١٠ ١١

(٢) معاني النحو ١ ٩

لإعراب في العربية في الجزء الأول^(١)، وإضافته باب الأساليب في الجزء الرابع^(٢)، وتعيينه موضع باب النداء وملحقاته في آخر هذا الجزء

ومن المؤلفات الحديثة في النحو العربي التي تستحق أن يوقف عندها لتمييزها بمهجتها وعمايتها كتاب «التطبيق النحوي» للدكتور عبده ابراهيمي، الذي أراد من خلاله عرض النحو العربي القديم بأسلوب سهل قريب من نفوس المتعلمين، وقد عن تويته «وقد قسمناه بين أوليها عن الكلمة، وثانيها عن الجملة، ثم أحقق به قسماً خاصاً عن بعض المتفرقات التي لها استعمالات معينة بالإضافة إلى مدح إعرابه»^(٣)

وباب الأول من (تطبيق النحوي) الحاضر بالكلمة يتناول مسائل لها أساس بالتركيب وسيت من باب نصرف، مثل تحديد نوع بكلمة، والإعراب وعلاماته، والبناء، والأسماء، والصية

ويتكون لباب الثاني من أربعة فصول هي

فصل الأول لجملة لاسمية المستأ وبجر، والواسح

فصل الثاني الجملة الفعلية الفعل، واثنه، والمفعيل لجملة، ونقية المصوبات (حرف، والتميز، والمصدر، والمستثنى) ودرس فيه أيضاً بحمل التي تتردد بين الاسمية والفعلية، وهي جملة التعجب، وجملة المدح والذم

الفصل الثالث مواقع جملة، ودرس فيه بحمل لبي بها محل من الإعراب و بحمل لبي لا محل بها منه

الفصل الرابع شبه الجملة

وتتضمن لملاحق اتوبع، والممنوع من الصرف، والعدد، ومتفرقات،

(١) نسخة ١١ ٤١

(٢) نسخة ٤ ٤٣٢

(٣) تطبيق النحوي ص ٧

ومصادح تطبيقية على بصوص من القرآن الكريم والشعر العربي^(١)

وعلى الرغم من أن الدكتور عنه الراححي الترم بمصطلحات النحو القديمة وسار على نحو يقارب تتابع الموضوعات عند ابن مالك في ألبيته إلا أنه وضع ذلك كله في إطار جديد وتتابع محكم يلع بالدرس النحوي العربي عايته أو قريباً من ذلك بعبية

ثالثاً استنتاج

إن أول استنتاج يؤدي إليه العرض السابق لمناهج التأليف النحوي وما تبعه من مناقشة هو استبعاد المنهج التي لاحظنا أنها تؤدي إلى توزيع الموضوع الواحد على أكثر من باب من أبواب النحو، وأحص منها المنهج القائم على أساس نوع الكلمة، متمثلاً بالمفصل للمحشري، والمنهج القائم على علامة الإعراب متمثلاً بكافة من المحتاج، ونحن حين نقرر ذلك لا ندعو إلى إسقاط هذه الكتب من مصادر بدرس النحوي العربي، فلا شك في أن هذه الكتب ستظل في طبعة مصادر ذلك الدرس من حيث المادة التي فيها، لكن طريقة ترتيب الموضوعات فيها ليست الطريقة المثلى التي نبحث عنها

أم الانحازات البدار يعتمدون في ترتيب الموضوعات على الوطيفة النحوية، وعلى تقسيم تلك الوطيفة إلى عُمده وفَصْلة، فإنهما أقرب إلى روح النحو ولأساس الذي يقوم عليه، وهو دراسة الجملة، ويمكن أن نعاد صياغتهما في ضوء المنهج الذي سار عليه الدكتور عنه الراححي في (التطبيق النحوي)، مع تعبير ما يلزم نعبيره من تقديم موضوع أو تأخير، لنصل إلى صورة مثلى للمنهج الذي نبحث عنه

وأقترح بعدما تقدم من عرض ومناقشة أن بدرس موضوعات النحو العربي تحت لعادوين البريئة الآتية

(١) بظر تفصيل تلك الموضوعات في فهرس الكتاب (ص ٤٥٧-٤٧٩)

- ١ مكوّنات الجملة في العربية (الكلمة وأنواعها، والمعرب والنمسي)
- ٢ نغمته في عربية وأنواعها (الاسمة، والمعدية، وشبه الجملة)
- ٣ مُكَمَّلَات الجملة في العربية (التوابع، والمصنوعات من غير المعامل، والأساليب)

ولا يصعب على المتشع حشد موضوعات النحو تحت هذه العناوين، وقد حصل اختلاف في وضع بعض الموضوعات في هذا الباب أو ذك، لكن ذلك مما أحسب سوف يكون في حدود صيقة والموضوع يحتمل لتفصيل، وحسبي أني نعت نظر أهل العربية إليه، وعسى أن تُعنى أحد الباحثين بـ (اتجاهات التأليف في النحو العربي ومذهب المؤلفين)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(٢)

عِلْمُ الصَّرْفِ بَيْنَ الْمِغْيَارِيَّةِ وَالْوَصْفِيَّةِ

مقدمة

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فقد كثر الكلامُ في العصر الحديث على مباحث البحث اللغوي، ودعا كثير من
الدعويين لعرب المُحدثين إلى إعادة كتابة قواعد اللغة العربية في ضوء تلك
لمباحث، وظهرت عدة محاولات لتطبيق تلك المباحث على علوم اللغة العربية،
وكان لعلم الصرف نصيب من تلك المحاولات، التي لم تُؤدِّ إلى نتيجة واضحة
معهم في إعادة صياغة علوم العربية، يمكن أن تكون بديلاً لتراث صرفي
عربي

وكان علم الصرف قد حظي بعناية علماء العربية منذ بدء التأليف، حتى زماننا
الحاضر، وجاءت مباحث الصرف محتلفة مع مباحث الأصوات والحو في
المؤلفات الأولى، مثل كتاب سيويه، والمفتصب للمبرد، والأصون لاس
الريح، وأفراد عدد من العلماء مباحث الصرف نكت مستعملة، مثل تصريف
الماري، ودقائق التصريف لاس المؤدب، والتصريف الملوكي لاس حي، وفي
لمسبحان في دراسة مباحث الصرف سائدين إلى عصور متأخرة

ونشط التأليف في علم الصرف في العصر الحديث، فكُتبت فيه عشرات
الكتب، وأكثرها جاء استجابة لحاجة التعليم الجامعي في أقسام اللغة العربية،
وتحادث مؤلفي تلك الكتب ثلاثة اتجاهات

اتجاه محافظ، حافظ على دراسة قواعد الصرف الموروثة، وإن كان كثير من المؤلفين في هذا الاتجاه قد حرص على سهولة العبارة، ووضوح الفكرة، ولتحف من التعليقات العقلية البعيدة لظواهر الصرفية

وانحاه بجديدي، يدعو إلى إعادة كتابة قواعد الصرف في ضوء المصاحح اللغوية الحديثة، خاصة المصحح الوصفي، وحيث اندعوى إلى ذلك على يد عدد ممن درسوا علم لغة الحدث في البلدان الأوروبية، ثم عادوا إلى بلادهم بيطبقوا ما درسوه على اللغة العربية وتسمى هذا المصحح عدد من تلامذتهم

وصاحب دعوة هؤلاء إلى تناع المصحح الوصفي في دراسة الصرف العربي دعوه إلى هدم التراث الصرفي العربي القديم وإزالته، لأن المصحح القديم محشو بالأخطاء وبما لا فائدة منه للمدارس، على حد رعمهم

واتجاه ثالث توفيقي، يرى أن في التراث الصرفي العربي سلبيات يمكن التحلي عنها، وفي المصحح الحدث حساسات يمكن الاستفادة منها، وأن الجديد لا بد أن يسند إلى دراسة للقدم، لا التحلي عنه

والسؤال الذي يريد هذا البحث مناقشته ومحاولة الإجابة عنه هو ما الاتجاه الذي يجب أن تتساه المؤسسات التعليمية في تدريس علم الصرف، وما المصحح الذي يسعى أن يلزمه المؤلفون لكتب الصرف؟ ولعل من الممكن الإجابة على ذلك من خلال المناقشة الآتية

المبحث الأول تعريف بمصطلحات عنوان البحث

المبحث الثاني حدود الوصفية العربية ومسيرتها

المبحث الثالث دعاوى توصيف حول علم الصرف ومناقشتها

وأرجو أن يكون في هذا البحث إضافة مفيدة لحقل المعرفة، تسهم في إعادة

صياغة قواعد علم الصرف صياغة تتحقق فيه المعاصرة ولا تتحلى عن الأصالة،
فإن نحقق ذلك ففصل الله تعالى، وإلا فحسبي أبي حاولت، وبذلك ما هي
الوسع، وبالله التوفيق

المبحث الأول

تعريف بمصطلحات عنوان البحث

١ علم الصرف

يذهب أكثر اللغويين المحدثين إلى تقسيم الدرس اللغوي على أربعة مستويات أو علوم هي^(١)

١ علم الأصوات

٢ علم لصرف

٣ علم النحو

٤ علم الدلالة

ويتناول كل علم من هذه العلوم بدراسة جانباً من جوانب اللغة، فعلم لأصوات يعنى بدراسة الصوت اللغوي والوقوف على كيمية إنتاجه، وبيان خصائصه وصفاته الصوتية، وعلم الصرف يُعنى بدراسة الكلمة المفردة وما تألف منه من أصوات، وما يطرأ عليها من تغيير، وعلم النحو يعنى بدراسة التركيب وكيفية تتلاف لكلمات في حمل، وعلم الدلالة يعنى بالمعنى المعجمي أو سياقي

وكان علم الصرف موضع عناية اللغويين من القدماء والمحدثين، وهم متفقون على موضوعه الرئيسي، لكنهم مختلفون في جوانب منهجية أو تفصيلية، نحاول

(١) ينظر كمال محمد بشر دراسات في علم لغة ١٠/١، ومحمود فهمي حجازي

المدخل إلى علم اللغة ص ١٧

أن تتنوع هذه جهود علماء العربية في هذا المجال، ثم يعود في المسحح الأبي
سقف على وجهه نظر المحدث في علم الصرف وماهجه وموضوعاته

وإذا كانت كلمة الصرف في اللغة تعني التغيير والتحويل، وكذلك كلمة
التصريف^(١)، فإنها لا تسعد بذلك عن المعنى الاصطلاحي، الذي يدور في حركته
الأكثر حول ما يلحق أسية الكلمات من تغيير يؤدي إلى تغيير في المعنى لعدم
لكل كلمة ومع ذلك فإن الدارس يلاحظ نوعاً من التطور في دلالة مصطلح
«صرف أو التصريف»

وكان سيونيه قد استخدم مصطلح (لتصريف) في عنوان أحد أبواب كتاب
وهو (كتاب ما نسب العرب من الأسماء والصفات والأفعال وهو الذي يسميه
لحويون تصريف)^(٢)، تحدث فيه عما نسب العرب من أوزان الكلمات ثلاثية،
والرباعية، والحماسية، لكنه لم يقدم به تعريفاً

ودكر ابن لديم مجموعة من الكتب تحمل في عناوينها كلمة (التصريف)
منها كتاب تصريف لأبي عثمان الماربي (ت ٢٤٨هـ)، وكتاب التصريف لأبي
جعفر أحمد بن محمد بن رسم الطبري (ت ٣٠٤هـ)، وكتاب لتصريف لأبي
الحسن علي بن عيسى الرمازي (ت ٣٨٤هـ)^(٣)، ولم يصل إلينا من هذه الكتب
شيء سوى كتاب الماربي الذي شرح أبو الفتح عثمان ابن حني (ت ٣٩٢هـ)
بكتابه «المصنف شرح تصريف لماربي»

وتحدث ابن حني عن معنى التصريف وعلاقته بالاشتقاق فقال «وسعي أن
يُعلم أن بين التصريف والاشتقاق مساً قريباً، واتصالاً شديداً، لأن التصريف إما
هو أن نحويء إلى الكلمة بواحدة فتصرفها على وجوه شتى، مثال ذلك أن تأتي
إلى (صرف) فتسي منه مثل (جَعَفَر) فتقول (صَرَف) وكذلك الاشتقاق

(١) ينظر ابن منظور لسان العرب ١١: ٩٠-٩٢ (صرف)

(٢) الكتاب ٤: ٢٤٢

(٣) ينظر المهرست ص ٦٣ و ٦٥ و ٦٩

أبصاراً، ألا ترى أنك بحيء إلى الصرب الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي، فتقول (صُرب)، ثم شتق منه المصدر، فتقول (يصرب)، ثم تقول في اسم الفاعل (صارب)، وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة^(١)

وحاول أن عصفور أن يفرق بين الاشتقاق والتصريف، فقال بعد أن عرّف الاشتقاق بأنه أحد فرع من أصل «وأما بتصريف فعير صبعة الكلمة إلى صبعة أخرى، نحو ساءك من (صُرب) مثل (جعمر) فتقول (صُرب)، ومثل (قمطر)، فتقول (صُربت)، ومثل (درهم)، فتقول (صُربت)، ونحو تعير لتصغير والتكسير، وأشبه ذلك مما تُصَرَّف فيه الكلمة على وجوه كثيرة، وهو شبه الاشتقاق، إلا أن الفرق بينهما أن الاشتقاق مختص بما فعلت بعرض من ذلك، وتصريف عام لما فعلته العرب، ولما نُحْدِثُه بحزن بالقياس، فكر اشتقاق بصريف، وليس كل تصريف اشتقاقاً»^(٢)

ويبدو أن كلمة (البصريف) كانت تستخدم للدلالة على مسائل التمرين المتعلقة بصناعة أسية لم تستخدمها العرب، وكان الصرفيون يجعلونها نوعاً من الرخصة لدارسي صرف^(٣)، ثم قلّ لاهتمام مثل هذه الممارس العقبية، واتسعت دلالة تصريف لتشمل كل المحدث المتعلقة بأسة الكلمة، فقال من الحاح في شافيه «لتصريف عدم بأصول يعرف بها أحوال أسة الكلام نبي ليست بإعراب»^(٤) وقل الرصي وهو يشرح هذا التعريف «والتصريف على ما حكى سيويه عنهم هو أن تسي من الكلمة ساء لم نسه العرب على وزن ما نسه، ثم تعمل في ساء الذي نسته ما يقتضيه قياس كلامهم، كما تبين في مسائل التمرين، إن شاء الله تعالى، والمتأخرون على أن التصريف علم بأسية الكلمة، وما يكون لحروفها من أصالة وريادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام وإمالة، وما

(١) مصنف ١ ٣ ٤

(٢) مجمع ١ ٥٢ ٥٣

(٣) بظن من حيي التصريف المتوكي ص ٨٨، والمصنف ٣/ ٩٧

(٤) شرح لشافيه ١ ١

يعرض لأحرفها مما ليس بإعراب ولا نداء من الوقف وغير ذلك^(١)

وهكذا تحددت معالم علم التصريف الذي علب عليه في العصور المتأخرة مصطلح (علم الصرف)، وصار الاشتقاق جزءاً منه، وصارت مباحثه تنقسم قسمين

أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة، بصروب من المعاني، نحو ضرب، وصرب، وتصرب، وتصارت، واصطرب فالكلمة التي هي مركبة من (ص ر ب) قد نُسبت منها هذه الأسية المختلفة، لمعانٍ مختلفة

والآخر تعبير الكلمة عن أصلها، من غير أن يكون ذلك التعبير دالاً على معنى طارئ على الكلمة، ويحصر في الريادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام^(٢)

وكان علماء العربية في العصور المتقدمة يدرجون مباحث التصريف ضمن كتب النحو، على نحو ما نجد في كتاب سيبويه ومقتضب المبرد وأصول ابن السراج، لكن من العلماء من فصل مباحث التصريف في كتب مستقلة، مثل النحوي وابن المؤدب وابن حني، ونقي بعض العلماء بعالجون تلك المباحث في كتب النحو، مثل ألفية ابن مالك وشروحها وجمع الهوامع للسيوطي وغيرها

أما لمحدثون فإنهم فصلوا مباحث التصريف عن النحو وغيره من علوم اللغة، وسوف أحدث عن منهجهم في التأليف، في المسحح القديم بعد أن نعرف بالمعيارية والوصفية، إن شاء الله

٢- الوصفية والمعيارية

كثُر الحديث بين اللغويين العرب المحدثين في الوصف، لثاني من القرن

(١) شرح الشافعي ٦١ ٦ ٧

(٢) بظر بن عصفور الممتع ٣١/١، وأبو حيان، المدع ص ٢٥٢، وارتشاف الصرف (د)

العشرين عن مصاح البحث في اللغة، وترددت في كتاباتهم أسماء تلك المصاح،
مثل المقارن، والتاريخي، والوصفي، وقد يطلقون كلمة (علم) بدل كلمة
(مصاح)، فيقولون^(١)

علم اللغة المقارن

علم اللغة التاريخي

وعلم لغة المقارن

كما ظهرت مصاح أخرى لدراسة اللغة، مثل علم اللغة «الجغرافي»، وعلم
اللغة «التقاليبي»، وعلم لغة لتحويلي

وطبق عدد من أولئك اللغويين تلك المصاح على «تراث اللغوي العربي»،
وكانت نتيجة ذلك «تطبيق سلبية في أغلب الأحيان»، وعمل أولئك اللغويون أو
تعاضوا عن حقيقة كون تلك المصاح كانت نتيجة لتطور علم اللغة عند العربيين،
وحاجت استنحاة لتطور العكري لديهم، ولم تكتسب تلك المصاح صفة الحقيقة
المطلقة، كما أنها لم تكن تحمل صفة العالمية، وفتح عن ذلك أمرا

الأمر الأول إطلاق أحكام غير دقيقة على تراث اللغوي العربي، من خلال
محاكمته بمقولات تلك المصاح التي شئت في أحواء فكرية مختلفة

الأمر الثاني ضعف الاستفادة من تلك المصاح في تطوير الدرس اللغوي
العربي، بسبب لظن إتيها على أنها حقائق مطلقة، ومحدودة تطبيقها على لغوية
كل تفصيلاتها، ولا يلت أن يكتشف هؤلاء الباحثون أن علم اللغة العربي قد
تطور تلك المصاح إلى آفاق جديدة، وفي الوقت الذي ما يرون يتبنون بالحجج
المصاح الوصفي (وسيوية) نجد أن علم اللغة العربي قد تجاوز مرحلة الوصفية

(١) ينظر محمود فهمي حجازي علم اللغة العربية ص ٣٥ ٤٠، واملح إلى علم اللغة

(٢) ص ١٧، وبعمة رحيم العراوي مصاح لبحث اللغوي ص ٨٣ وما بعده ومحمد

حسن عبد العزيز مدخل إلى علم اللغة ص ٣٥ ١٥٤

إلى منهج جديد، هو علم اللغة التحويلي، الذي أرسى أسسه اللغوي الأمريكي (اليهودي لأصل) نعوم حومسكي، وظهر في السنين الأخيرة اتجاه جديد في البحث اللغوي يتحدث عن (علم اللغة بما بعد مرحلة حومسكي)، وهكذا دائماً يكون حديثنا قديمهم

وهذا التمهيد له صلة بما يريد الحديث عنه، لأن الحديث عن الوصفية والمعاربة له ثغرة معرفي أوسع كثيراً من الدلالة اللغوية لهادين المصطلحين، كما أن به ارتباطاً قوياً بمناهج علم اللغة عند العربيين وموقفهم من قضايا اللغة ولمنهج الوصفي جاء بعد أن استشهدت الدراسة المقارنة للغات حيويته، كما أنه جاء استجابة لنظريات فكرية استجدت في حياة العربيين

يشير مؤرخو علم اللغة إلى أن اكتشاف اللغة الهندية القديمة (السكريدية) سنة ١٧٨٦م على يد القاضي لإنجيري سير وليم جوبن كان دافع الأثر في سير دراسات اللغوية الحديث لدى الأوروبيين، فظهرت الدراسة المقارنة بين اللغات الأوروبية والهندية وغيرها من اللغات، فطعت الرغبة التاريخية والمقارنة على جهود اللغويين العربيين في القرن التاسع عشر^(١)

ونسب اللغويون الأوروبيون في مطلع القرن العشرين إلى أن علم اللغة المقارن وعلم اللغة التاريخي لا يتبحر دراسة اللغة الحية المنطوقة في اللحظة الراهنة، بل سطران دائماً إلى اللغة في الرمز الماضي، وشعروا بحاجة إلى منهج جديد لدراسة اللغة يتيح دراسة اللغات الحية واللهجات المنطوقة ويكشف عن طبيعتها ونظامها، ومن هنا ظهر منهج جديد لدراسة اللغة هو المنهج الوصفي

وبتفق الباحثون على أن عالم اللغة لسويسري فردرند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م) كان مؤسس علم اللغة الحديث في القرن العشرين، وأب محاضراته في

(١) ينظر جورج موين تاريخ علم اللغة ص ١٥٨، ومحمود السمر علم اللغة ص ٢٦٨، وعنده مراجعي النحو العربي والدرس الحديث ص ٢٢، ونعمة رحيم العروي منهج لبحث اللغوي ص ٨٧

علم اللغة، لعدم صارت دستوراً لدى اللغويين لأوروبيين عقوداً طويلة، وأسهم في تطوير منهج سوسير عندما آخروا من أوروبا وأمريكا، أشهرهم عالم لغة الأمريكي ليونارد بلو مفيد في كتابه «اللغة»، فوضعوا بذلك أسس علم لغة الوصفي^(١)

إن أهم ما يميز علم اللغة الوصفي هو أنه يعتمد على وصف اللغة على ما هي عليه وصفاً قائماً على الملاحظة المباشرة في وقت محدد و زمان معين، ولا يهدف من ذلك إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة، بل كل ما يهدف إليه هو وصف نظام اللغة الصوتي والصرفي والنحوي، ووضع معجمها، ثم إن اللغوي الوصفي يعتقد أن الكلام في ذاته، من حيث هو أصوات منطوقة، لا يتضمن ما يجعله صوتاً أو خطاً، بل مدار الأمر على الجماعة التي تستخدم اللغة^(٢)

تلك خلاصة مركزه لظروف التي نشأ فيها المنهج الوصفي لدراسة اللغة، ووراء ذلك تفاصيل ومناقشات كثيرة لا يتسع لها المقام، كما لا أحد ضرورة الآن نتعرض لها، فإن هدي هذا التعريف بمصطلح الوصفية في اللغة، كما لا أحد ضرورة لمتابعة تطور منهج درس اللغوي عبد الأوروبي بعد مرحلة الوصفية، فقد تكفلت بذلك كتب ودراسات مستقلة

أم كلمة لمعيارية فهي مصدر صاعى من كلمة (مقار) وهو بمعنى (المقار) الذي يُكتب به أو يور^(٣)، والمعنى الاصطلاحي لكلمة بمعيارية^(٤) ينحو منحى

(١) ينظر لمصادر لسانيته ص ٢٢٤ و ٢٧٦ و ٢٤٠، و ٩٥ على التوالي

(٢) ينظر محمود السعري علم اللغة ص ٢٨١-٢٨٢، ومحمد حسن عبد العزيز مدخل إلى علم اللغة ص ١٣٥ وما بعدها

(٣) ينظر ابن منظور لسان العرب ٣٠٢، ٦ (غير)

(٤) يبدو لي أن للدكتور عني روين سم يكن دقيقاً حين استخدم مصطلح (اللغة المعيارية) وحلظ به وبين (المعيارية) كمنهج لغوي (ينظر منهج لبحث اللغوي ص ٢٣)، فلا يوجد لغة معيارية ولغة غير معيارية، فكل اللغات يمكن أن تدرس دراسة معيارية (ينظر =

المعنى اللغوي، فعلم اللغة المعياري «علم يدرس اللغة بهدف وضع معايير تحفظ اللغة من سوء الاستعمال»^(١) وهو المنهج التقليدي المتبع في تعليم القواعد في المدارس والمعاهد والجامعات العربية، وأساسه محاولة سنخلائها مجموعة محددة من القواعد والقوانين وجعلها نموذجاً أو معياراً ينبغي لأحد من الأسير على طريقته، فمن خرج عن هذا المنهج أو المعيار دخل في دائرة الخطأ، ومن سار على هديه كان مصيباً، فهذا المنهج في الأساس وظيفته بيان الخطأ والصواب في لغة ومحاولة فرض قواعده على مستخدمي اللغة، حفاظاً عليها وعلى أصولها^(٢)

وكانت البرعة المعيارية مهيمنة على النحو التقليدي للغات الأوروبية القديمة (ليونانية ولاتينية) والحديثة، فهو منهج تعليمي صرف، وشحنة لغوية النظرة الفلسفية والمنهجية على ذلك النحو سبقت اللغويين الأوروبيين بعد اكتشافهم لغة سسكريتية مسالك جديدة لدراسة اللغة، انتهت إلى بروز المنهج الوصفي لدراسة اللغة، وحاولوا بحلله محل المنهج التقليدي لتعليم اللغات^(٣)

والمنهج المعياري كما يظهر في أعمال اللغويين العرب يعتمد في وضع قواعده على حبط من المبادئ والاتجاهات، فهو يعتمد على الوصف كما يعتمد على انقياس المنطقي والمفروض العقلية، وهو من ثم ليس صالحاً لاعتماده منهجاً علمياً بحثاً لطواهر اللغوية، وإن صلح أن يكون منهجاً لتعليم اللغة^(٤)

ويسدو أن بروز علماء اللغة العربيين إلى التخلص من قيود المنهج التمهيدي للنحو الإغريقي واللاتيني المثقل بالمنطق قد أوحى بدارسي اللغة العربية

محمد علي الحولي معجم علم اللغة البصري ص ٢٦٧ و ٢٢٥ و ١٨٧

(١) بنظر محمد علي الحولي معجم علم اللغة البصري ص ١٨٧ و ص ٢٢٥

(٢) كمال محمد بشر التفكير اللغوي ص ٤٤، ودراسات في علم اللغة ٥٥/٢

(٣) ينظر عبد الرحمن أبوب دراسات نقدية في النحو العربي ص (هـ)، ومحمود لسعوي علم لغة ص ٢٦٩

(٤) بنظر كمال محمد بشر التفكير اللغوي ص ٤٥

المحدثين الذين تلقوا دراستهم العليا في الجامعات الغربية أن يسيروا على دربهم في الدعوة إلى تحبة التراث اللعوي العربي الموروث والبحث عن دليل له في المصاح اللعوية العربية

وتجده أكثر الدعويين العرب المحدثين صوب المصاح الوصفي، لأنهم يعتقدون «أن عناو مدأ الوصفية في مصاح الدراسة الدعوية يحل ث كثير من مشكل التدريس»^(١)، بل إن بعضهم يصرح «أن أساس الشكوى تعلُّث المعيارية في مصاح حقه أن يعتمد على الوصف أولاً وأخيراً إن المصاح الوصفي هو جوهر الدراسة الدعوية الحديثة في العصر الحاضر»^(٢)

ولا شك في أن المصاح اللعوية تنظم كل فروع الدرس اللعوي الصوتية والصرفية وسحوية والدلالة، وقد يكون بعض المصاح أكثر ملاءمة لدراسة فرع أكثر من غيره، ولكن حديثنا هنا عن علاقة علم الصرف بهذه المصاح لا يعني خصوصية تلك العلاقة، بقدر ما هو محاولة للنظر في موقف الوصفيين المحدثين من مصاح علماء العربية في دراسة موضوعات الصرف، وما مقدار دقة ذلك الموقف وصحته، وهو ما نعرضه في بحث لاحق بعد أن نقف على جدور المصاح الوصفي عند الدارسين العرب والأسس التي بنوا عليها أفكارهم، وما ألت إليه دعوتهم لتحديد الدرس اللعوي العربي

(١) أبس مربية نظرت في لغة ص ١٦٠

(٢) مام حساب اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١-٢

المبحث الثاني

جذور الوصفية العربية ومسيرتها

تَرَعَّم الحركة اللغوية الجديدة في بلدان عربية جماعة من الباحثين الذين درسوا علم اللغة الحديث في عرب، ثم عادوا إلى بلادهم ليطبقوا النظريات والمناهج الجديدة على اللغة العربية^(١) وصاحبت هذا اتوجه إعجاب شديد بتلك النظريات والمناهج، وإرراء كبير بالتراث اللغوي العربي القديم، وحماس شديد لهدم هذا لثرت وإقامة بناء جديد مكانه، شكله عربي ومضمونه عربي

وكان رائد هذه الحركة التحديدية في البلاد العربية الدكتور تمام حسان لأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الذي أكمل دراسته العليا في جامعة لندن في منتصف القرن العشرين، وحصل على الماجستير برسالته الموسومة «لهجه الكرك» بمديرية قنا، وعلى لدكتوراه برسالته (لهجة عدن في جنوب بلاد العرب)^(٢) وحصل بعد عودته لواء لتعبير، وأصدر كتابه «مناهج البحث في اللغة» سنة ١٩٥٥، الذي قدّم فيه «لا أستطيع أن أعطي حق النظرية التي بُسِّتَ عليها هذه دراسة، وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب في العرب، فهيكلها عربي ونطقها على اللغة العربية»^(٣) وأصدر كتابه «لغة بين المعيارية والوصفية» سنة ١٩٥٨، وقدّم في مقدمته «فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة، من حيث منهج لا من حيث التفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستقيماً بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة»^(٤) ثم تَوَّج الدكتور تمام حسان جهوده في هذا المجال

(١) ينظر أنس فريحة نظريات في اللغة ص ١١٥

(٢) ينظر تمام حسان مناهج بحث في اللغة ص ٥

(٣) المصدر نفسه

(٤) اللغة العربية معناها ومساها ص ١

بكتبه «اللغة العربية معناها ومبناها» الذي صدر سنة ١٩٧٣^١، والذي قال في مقدمته «هذا البحث نتاج زمن طويل من إعمال الفكرة ومحاولة إخراجها في صورة مقبولة، فأول عهدي بفكرة هذا البحث ما كان من ورودها على الحاضر سنة ١٩٥٥ عند ظهور كتابي «مباحح البحث في اللغة»، فقد حاء ذلك الكتاب في حبه ليقدم إلى القارئ العربي ما اصطبعه لعربيون من مسيح وصفي ولعاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن أُلقي ضوءاً حديداً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كله، مسعناً من المنهج الوصفي في دراسة اللغة، وهذا التطبيق الحديدي بسطرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التواضع أجراً محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تحري بعد سبويه وعند انقائه»^(٢)

وقد واصل زملاء الدكتور تمام حسام وتلامذته تلك الدعوة لتحديدية بداعية إلى تطبيق لمصيح الوصفي في لدرس اللغوي العربي، وكانت هذه الدعوة تقوم في أول أمرها على الإطاراء للتراث اللغوي العربي ثم الإرراء به وبيان عيوبه في رعمهم^(٣) بكن هذا الموقف المتحفظ بالدعوة إلى لمصيح تحديد قد تحول إلى نقد لادع ودعوه صريحة إلى هدم القديم برمته والساء من حديد، فمول الدكتور عبد الصور شهاب في مقدمة كتابه «المصيح الصوتي لسية نعومة» «وعيب المتششين بالقديم في النحو والصرف أنهم يتصورون أن محاولات التجديد هي محاولات هدم لا أكثر، وأن الديق سوف تحرب لو أتيح لهذه المحاولات أن

(١) أصدر الدكتور تمام حسام كتابه «الأصول» سنة ١٩٨٨، وذكر في مقدمته أن بعض زملائه وهمو أنه تحلى عن الطرية بي عرصها في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» ولكنه يعلن أنه لم يحل عن تلك الطرية، لكن من يقرأ ما بين السطور يحس بروح جديدة في كتابه، وهو يعلن «أن بعض العناصر من أفكار الأقدمين لم تكن في ذلك الوقت من لوصوح في ذهني على نحو ما هي الآن» (الأصول ص ٩)

(٢) لغة نعومة معناها ومبناها ص ٧، ١٠

(٣) يعطر كمال محمد بشر دراسات في علم اللغة ٨٣/٢، وأيس مريجة نظريات في

اللغة ص ١١٤ ١١٥ و ١٢٤

تحقق نجاحاً، أو تلغ هدفاً، وما أشبه القديم في هذا المصمار بمارد عملاق يقف على ساقين من حطب، ويوشك أن يتهاوى من أول لمسة! ولذلك وضع أرباب القديم أصابعهم في آذانهم، وأعمضوا أعينهم عن كل حديد وما أكثر ما يستحق إعادة النظر، بل الهدم، في مجال هذين العلمين، مما يُعصِّهما إلى الباشنة، ويعرس في أنفسهما مشاعر اللامبالاة بدرسهما، وما أحوج الأجيال القادمة إلى مسيح حديد تتناولهما به، قبل أن تُلقَى بهما هذه اللامبالاة في روبا الإهمال. ولكيؤكد لهم، بعد أن عانيت في تأليف هذا المسح أن النظام القديم محشو بالأخطاء، وأن محاولة الدفاع عنه ليست إلا من قبيل الإبقاء على جثة محنطة مألها الحلل[!] ولست معشر اللعويين هواة متحميات، بل كل هما هو للغة الحية للعصحي، من حيث هي استمرار ونظام^(١)

ولا أشك في إخلاص أستاذي الدكتور عبد الصور شاهين وصدقته في دعواه، ولكي أحسب أنه قد بالغ في تصوير تراثنا اللعوي القديم، وبالغ في دعوته إلى هدم ذلك التراث، ولا شك في أن فيه أشياء قد لا نحتاجها في حياتنا اللعوية المعاصرة، وقد تكون هناك بعض القصايا التي تحتاج إلى إعادة نظر، ولكن شتان ما بين الدعوة إلى هدم القديم وإحلاله بـاء جديد مكانه، وبين بدعوه إلى إعادة قراءة ذلك التراث وكتاتته بصورة تحافظ عليه وتحصنه من نقاط الضعف وتعديه بأسباب القوة والحيوية لمواجهة متطلبات الحضارة والحياة المعاصرة

ولعل من أسباب التفاؤل في مستقبل الدرس اللعوي العربي المستند إلى تراثنا اللعوي القديم ما استجد من دراسات ونظريات توصلت أن الطريقة العقلية التي بنت عليها علوم اللغة العربية هي من عوامل قوتها، وأن المسح اللعوي بحديث أعاد للطريقة العقلية والمطقية مكانهما في التحليل اللعوي وفي التعيد

(١) المسح لصوبي للغة العربية ص ٧، ٨، ٢٠

وظهرت عدة دراسات دعوية حديثة توضح أن المصباح الوصفي وحده غير كاف في التحليل العلمي للغة، كما أنه كاف في وضع القواعد التعليمية لها، وكتب الدكتور داود عبده فصلاً عن (المصباح الوصفي التفريري والمصباح الوصفي التفسيري) قال في مطلعها «أصبح من الشائع بين الدعويين العرب في العقدين الأخيرين أن يسوا المصباح الوصفي في اللغة، وهو رد فعل للمآخذ الكثيرة على المصباح لقصي الذي وُصم به الدعويون، الخويون العرب لقدامى، ويحيل إني أن عدداً من هؤلاء الدعويين المحدثين قد بلغ في التعصب للمصباح الوصفي حد التطرف، فكاد يجرّد علم اللغة مما يسحق أن يسمى من أحله عدماً ولعل هذا التطرف مبي بالدرجة الأولى على سوء فهم للمصباح الوصفي في اللغة فإذا كانت غاية علم اللغة الوصف وحسب فلاي علم نسب تفسير الظواهر اللغوية، المصنفة؟ بهم صمماً مما بقوله بعض هؤلاء للدعويين المحدثين أن أي أمر يتعدى مجرد الوصف يدخل في نطاق الفلسفة، وهذا ليس صحيحاً بالضرورة»^(١)

وكتب الدكتور عبده المراجع كتابه «الحو العربي والدرس الحديث بحث في لمصباح» ناقش فيه موضوعين أساسيين الأول الحو الوصفي وموقف الوصفيين العرب من الحو العربي، وتمحّص مقولتهم من تأثير الحو العربي بمطوق أرسطو والآخر الحو التحويلي والحواس التحويلية في الحو العربي، وانتهى إلى هذه النتيجة «أن ما سُمّي بالحو التقليدي كان أكثر قتراناً من الطسعة الإنسانية في درسته للغة، وأن ما يحتاجه الآن قد يكون في الأغلب - إعادة أصوله على أسس أكثر علمية»^(٢)

ولحص موقفه من دعوة الوصفيين من الحو العربي بقوله «تعرض الحو العربي لنقد عيف بعد أن اتصلنا بعلم اللغة الحديث في مهجة الوصفي، لكن هذا أود في تعريف الساحتين بقضايا مهمة في البحث الدعوي المعاصر، وفي الدعوة إلى تطبيق مبادئ العلم في دراسة ظواهر اللغة، على أن ذلك كله يشت

(١) أبحاث في اللغة العربية ص ٩

(٢) الحو العربي والدرس الحديث ص ١٤٣

أن التعجل في الحكم على النحو العربي، وبخاصة في تاريخه الطويل، يؤدي إلى أحكام غير صحيحة، ورحو أن يكون قد وضح أن كثيراً من الحواش التي كانت موضع نقد عادت الآن لتكون أساساً ضرورية في البحث النحوي الحديث على ما رأينا عند التحويلين^(١)

ولا تشع المقام لمناقشة جملة قصايا ومقولات تشئت بها الوصفيون دعة الهدم والتجديد تحضر الدرس اللغوي العربي القديم، وفي مقدمتها ما وردت لإشارته إليه قبل قليل من تهويلهم لتأثر النحو العربي و(الصرف أيضاً) بالمنطق بما فيه من قياس وتعديل، وبكبرهم على ارتباط العربية بالقراء ولدين الإسلام، ذلك الارتباط الذي بعده بعضهم قد أدّى إلى تجميد العربية، ولم يعطوا إلى أن ذلك الارتباط قد أعطى للعربية حيوية متجددة وحدوداً مستمرة، أوص كثير من الدارسين في الحديث عنه ومن تلك المآخذ على النحو العربي أنه نحو تعليمي معيري، لا يمثل للنحو العلمي^(٢)

وهذه المقولات تنعصى عن طبيعة شأنا النحو العربي وعموم اللغة العربية، وعوامل تلك الشأنا، وعايات ذلك الدرس، وعمما أقرره مسيرته التطوية من مناقشات عقلية وحذل منطقي في بعض العصور، ولكن ذلك لم يفسد النحو العربي إلى درجة لا يمكن إصلاحها إلا بعملية الهدم، شامله التي تدعو إليها الوصفيون

وما يهمل الوقوف عنده من تلك المقولات هو ما يتعلق بعدم الصرف العربي، وتمحيص مقدار صدق تلك المقولات، وصحة دعاوى الوصفيين في ضرورة إعادة النظر في طريقة دراسة وتدریس علم الصرف في الجامعات العربية على أسس وصفيّة محصّة

(١) النحو العربي والدرس الحديث ص ١٦٠

(٢) نظر تمام حسان اللغة العربية بين المعيارية والوصفية ص ٢٣-٢٤، وأيس مربية

نظريات في اللغة ص ١٢٣-١٢٨، وعبي روين منهج البحث اللغوي ص ٢٤-٣١

المبحث الثالث

دعاوى الوصفيين حول علم الصرف ومناقشتها

نشطت حركة «تأليف في علوم اللغة العربية بنوع التعليم الجامعي في البلدان العربية، وكان علم الصرف أحد العلوم التي استأثرت بنسب كبير من جهد المدرسين، فظهرت خلال قرن من الزمان عشرات الكتب المتخصصة بتدريس الموضوعات لصرفية لطلبة أقسام اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الجامعية^(١)

وتحاذت مؤلفو تلك الكتب ثلاثة مساهم أو اتجاهات، هي

١ اتجاه محافظ، يدرس موضوعات الصرف على المنهج القديم، مع حرص على سهولة العبارة، ووضوح الفكرة، وميل إلى «تخفيف من التعديلات العقلية البعيدة، ويتصدر كتب هذا الاتجاه كتاب «العرف في فن الصرف» للمشيخ أحمد انجملاوي (ت ١٩٣٢م) رحمه الله، الذي سح على موال كتبه كثير من مؤلفي كتب «صرف المسجية، مع إضافة مسائل للتمرير في بعض تلك كتب

٢ اتجاه تجديدى، يدعو إلى إعادة كتابة قواعد الصرف في ضوء المنهج الوصفى، وصاح هذا الاتجاه الدعوة إلى التحلي عن الصرف العربى القديم وكتابة لصرف من جديد بعد تحليله من نقائص المنهج القديم التي يتخيلها الوصفيون، ويتصدر هذا الاتجاه عدد من أساتذة الجامعات خاصة ممن درس في

(١) أحصيت في بحث سابق هو «اشتقاق الوصف في العربية» عشرين كتاباً حديثاً في علم الصرف، ذكرت عناوينها هناك، ولا أحد ضروره لإعادته ذكرها هنا، وسوف أكتفي بالإشارة إلى منهج مؤلفيه في دراسة الموضوعات الصرفية

الجامعات العربية ومن تلامذتهم، على نحو ما أشرنا إلى ذلك من قبل، وبعض هؤلاء مُطَرِّون وبعضهم مُطَقُّون، وأصحاب هذا الاتجاه هم المعيون بهذه لمناقشة، أكثر من غيرهم

٣- اتجاه نوفيقي، يعد دراسة التراث الصرفي العربي وفق رؤية تقوم على أساس أن في الصرف العربي القديم ما يتوجب إهماله في الكتب التعليمية خاصة، وأن في المصحح الحديث ما يمكن الاستفادة منه في إعادة كتابة علم الصرف ومبادئه قصاياه وتحليلها، وبرر في هذا الاتجاه عدد من المحاولات الأولية مثل كتاب «التطبيق الصرفي» للدكتور عبد المجيد، وكتاب «الواضح في النحو والصرف» للدكتور محمد حير الحلواني.

والإتجاه ائدي وصفه بالتحدسي هو الذي تثير مقولاته كثيراً من الجدل، ورؤاد هذا الإتجاه يمكن تقسيمهم قسمين مُطَرِّين ومُطَقِّين

أما المُطَرِّون فهم الذين ناقشوا المصحح العربي القديم، ودعوا إلى التحلي عما أنتجه من تراث صرفي، وفي مقدمتهم الدكتور تمام حساد، الذي كانت دعوته عامة تشمل كل مستويات الدرس اللعوي، وسبق الحديث عن ريادته للمصحح الوصفي العربي

وتابع الدكتور كمال محمد شر تلك الدعوة، وكتب بحثاً مطوّلاً عنوانه (مفهوم الصرف عند العرب)^(١)، قال في مقدمته «وفي اعتقادنا أن الصرف العربي كان من أقل العلوم اللعوية حظاً من الإجابة وحسن النظر، فقليله مستساع مقبول، وكثيره يحتاج إلى معاودة البحث والدرس ويتطلب مراعاة الرأي فيه وفي قواعده استقليديه ولقد رأينا أن نشر في هذا البحث إلى بعض المسائل الصرفية التي يمكن اتجاها خطوات أولية على الطريق الطويل إلى غاية مشودة، هي الوصول بقواعد الصرف وقصاياه إلى صورة تتفق والواقع اللعوي، وتتمشى مع ما يقتضيه منطق البحث اللعوي الجديد ومن ثم نستطيع أن نعيد من دراسة هذا العلم،

(١) نشره أولاً في كتاب دراسات في علم اللغة، القسم الثاني (ص ٨٣-١١٩)

ونخلص من ذلك المصاهات الفلسفية والافتراضات العقلية التي يلجأ إليها الصرفيون لتقليديون في آثارهم القديمة والحديثة على سواء، وبغتر بدلت من الحققة الدعوية السهنة لسيطة التي بود تقديمها إلى المتعلم والباحث معاً^(١)

ويصم هذا البحث مجموعة من الأفكار منها ما يتعلق بعلاقة علم الصرف بعلم النحو، وهل هو منه، أو هو مستقل عنه؟ ومنها ما يتعلق بعصر الموضوعات هل هي من علم الصرف أو من النحو أو من المعجم؟ وهذه مسائل يمكن أن تكون موضع اختلاف بين الدارسين، لكن المسألة الأساسية التي أحدها الدكتور كمال شر عني بصرفيين التقليديين هي «إيمانهم بفكرة الأصل، بمعنى أن هناك أصلاً ثباتاً ترجع إليه كل الصيغ المتشابهة بطريق مباشر إن أمكن، وإلا بطريق غير مباشر مبي على لافتراض والتأويل»^(٢)

والمسائل التي عرصها لتأكيد أثر فكرة الأصل على الصرف العربي هي^(٣)

١ - صيغه افتعل يد، كـ وؤها أحد حروف لإطاق (ص ص ط ط) أو كـ واو أو ياء، مثل اضطرب واتصل، أشر

٢ - حذف حرف العلة في مثل (قُل) و(لتكتسُ)

٣ - قلب الواو والياء ألقاً في المعلي الأحواف والنقص، في مثل قل وعرا

وهو يرى أن أمام الدارس طريقين لدراسة هذه المسائل، هما طريق وصفي يُعنى بتسجيل الحقائق الموجودة في الصيغة بالفعل دون تأويل أو افتراض وطريق تاريخي يُعنى بتتبع تاريخ الصيغ المختلفة عما أصابها من تغير وما حدث من تطور عبر فترات التاريخ المختلفة^(٤) ولا يجوز للدارس أن يقول إن أصل اضطرب، صرب، وقال قول، ولتكتسُ لتكتسوس، لأن هذا افتراض وتأويل

(١) دراسات في علم اللغة ٢ ٨٣

(٢) دراسات في علم اللغة ٢ / ١٠٧

(٣) يطر المصدر نفسه ٢ / ١٠٧ ١١٢

(٤) المصدر نفسه ٢ ١١٣

لا يسمح به المصنف الوصفي

ومما تحذر الإشارة إليه هنا أن شدة حماس الدكتور كمال شر للمصنف الوصفي قد حفت، وإن لم يعلن تحليله عنه، وذلك أنه لما أعاد شر البحث، الذي أشرنا إليه في كتابه «التفكير اللغوي بين القديم والحديث» بعد عشرين سنة من نشره لأول مرة، أجرى تعديلات طعيفة جداً عليها لكنها ذات دلالة عميقة، من حيث أنه قال في وصف النحو العربي «أفقليله مستمتع مقبول، وكثيره يحتاج إلى معاودة البحث»^(١) وقد عيّر العبارة إلى «بعضه مستمتع مقبول، وبعض آخر يحتاج إلى معاودة البحث»^(٢).

وأضاف فقرة على البحث جاء فيها «أحدين بالمصنف الوصفي أساساً في العمل والماقشة، بوصفه طريقاً علمياً صالحاً لتطبيق في قصص هذه (وفي غيرها) وإن كانت هناك مصاح أخرى يمكن لمن شاء أن يرشحها للعمل، إنما ما يراه أن طريق الوصف هو الأحدي والأقرب إلى الواقع والحقيقة»^(٣).

وصرح في تعليق له على موقف علماء العربية من صيغة افتعل، فقال في هامش أضافه على البحث في كتابه «التفكير اللغوي»^(٤) «من الطريف أن هذا المصنف في تفسير الصيغ المذكور بناظر منهجاً لغوياً حديثاً، عُرف بمصنف «مدرسة (التوليدية التحويلية)» التي تفتحص في مثل هذه الحالات أن هناك (سبة عميقة)، وهي تناظر الأصل الافتراضي عند علماء العربية، و(سبة سطحية) هي ما ظهرت به الصيغة في الاستعماء الفعلي، وهذا المصنف وإن كان صامحاً للطرفين والأحد منه لم يشأ أن يأخذ به هنا، لأنه يقتضي دراسة اللغة كلها في هذا الإطار».

وهذا التعليق يدل على أمرين، الأول ضعف حماس الدكتور شر للمصنف

(١) دراسات في علم اللغة ٨٣/٢

(٢) التفكير اللغوي ص ٢٣٧

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٨

(٤) المصدر نفسه ص ٢٥٩

نوصفي، وثاني أن ما كان يرفسه وينكره على علماء العربية صار مقبولاً وصالحاً للنظر والأحد منه، طبعاً تخرجاً من حومسكي، وليس متابعة لسيوبه واس جبي وابن مدك!

وقد أعحسي تواضع أستاذي الدكتور بشر حين أضاف إلى حاتمة البحث عبارة (والله أعلم)، إذ لم تكن هذه العبارة موحودة في شرة اسحت الأولى!

أما مطلقون بالمنهج انوصفي في كتب علم الصرف الحديثة فأقدمهم الدكتور عبد الله درويش في كتابه (دراسات في علم الصرف) الذي كتبه سنة ١٩٦٢، وقد وصف في مقدمته «هذه الدراسات في علم الصرف تسير وفقاً بالمنهج وسط بين الدراسة المطولة والدراسة المختصرة، وكذلك بين الدراسة المعيارية التي تهتم بقواعد التقليدية، وبين الدراسة الحديثة التي تعتمد على ما يعرف بالمنهج الوصفي»^(١) لكنه صرح أن «الحاجة ماسة إلى عرض القواعد التقليدية بأسلوب جديد من انتقاده دور تأسيس روح القاعده عند عرضها، لتكون دراستها مصدراً لمن يريد أن يكتب على طريقة المنهج الوصفي فيما بعد»^(٢)

وكتب الدكتور محمد أبو الفتوح شريف كتابه «نظرة وصفية في نصريف لأفعال» صرح في مقدمته أنه يميل إلى «المدرسة الوصفية، ثم قال «وكم أصبحت دراستنا لعلم الصرف محتاجة إلى تطبيق هذه النظرية الوصفية، لتحصل هذا العلم الحديث من افتراضات صرفيين الأوائل وتأويلاتهم، وميلهم إلى استقصاء بعل، وبحث الأساس، مما يرهق عقول الباحثين، ويجهد الدارسين»^(٣) ووصف محاولته في الكتاب بأنها «محاولة متكاملة في هذا المدد، فمعرض المسألة الصرفية، ونأتي في النهاية بعرض مقارن للنظرة الانراضية القديمة، والنظرة الوصفية الحديثة»^(٤)

(١) دراسات في علم الصرف ص ٣

(٢) مختصر نفسه

(٣) نظره وصفية ص ٥

(٤) نظره وصفية ص ٦

وتحدثت في محث عن النظره الافتراضية والظرة الوصفية، وهو يريد بالافتراضية مهج علماء العربية، فقال «إن للصرفيين حين أرادوا تفسير قواعدهم وإرساء دعائمها - فروصاً اعتمدت على المنطق والعمل أحياناً أكثر مما اعتمدت على الواقع والاستعمال اللغوي، حيث بدا لهم أن كل صيغة أو بنية أو شتقاق أو تصرف بكلمة معينة، سواء أكانت فعلاً أم اسماً، بدا لهم وتصوروا أنه من الواجب عليهم إرجاعها إلى أصل محدد، فكلمة (إيفاد) مصدر (أوفد) أصروا على أن أصلها (إوفاد) ثم قلت الواو ياء لسكونها وسبقها بحرف مكسور ولكن نظرة المسحح الوصفي تريح الساحت أو المدارس لطواهر اللغة من هذا البناء الذي لا طائل من ورائه، فيقول إن مصدر الفعل (أوفد) مثلاً يصع على (إيفاد) ورن (إفعال) بهجرة مكسورة وقلب الواو - فاء الفعل - ناء، ولا داعي لذكر أية تعديلات لذلك لأن اهتمام المسحح الوصفي يحصر في وصف ما يشاهدونه من ظواهر لغوية دون الدخول في تهريعات أو افتراضات أو تأويلات لا مبرر لها»^(١)

وبصور ما أقول إذا تتبع الأمثلة التي عالجها المؤلف معالجة وصفية في كتبه، ويكتفي بالإشارة إلى بعض الأمثلة، فمن ذلك حديثه عن صيغه افتعل من (ورن) وبحوه، وتعبقه على قول الصرفيين إن أصلها (وئرن) ثم قلت الواو ناء، ثم أدمت الناء في الناء حتى أصبحت (اثرَن) بقوله «ولكن الذي يعني أصحاب المسحح الوصفي أن كل فعل ثلاثي مثال إذا أردنا أن نصوغ منه على ورن (افتعل) حذفوا أوله وأتينا بعد ألف افتعل ناء مشددة على مثال اترن، اتعد، اتثق»^(٢)

ومثل قوله «ولا يعني قول الصرفيين بأن الأصل يَؤرث، ويؤفص، ويؤفد، ثم حذف الواو، بل يعني وصف الظاهرة، وهي أن الناء لا تذكر في مثل هذه لأفعال»^(٣)

(١) نظره وصفية ص ٢٩ - ٣٠

(٢) نظره وصفية ص ١٠١

(٣) نظره وصفية ص ١٠٨

ومثل قومه معقفاً على رأي الصرفيين في أصل ميران وميعد «وورقص منطق الصرفيين الذين قالوا إن أصلها ميران ومؤعاد، ثم حدث ما حدث حتى وصلت إلى تلك الصيغة، لأن المتكلم العربي صاعها هكذا صياعه مباشرة دون تعقيد»^(١)

ولعل أكثر المحاولات جرأة في تطبيق المنهج الوصفي على الصرف العربي هي محاولة أستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه «المهجع الصوتي للغة العربية» رؤية جديدة في الصرف العربي، فقد دعا في الكتاب إلى الحروح عن المهجع التقليدي في دراسة الصرف، وساء صرف حديد على أسس وصفية، على نحو ما أشربا من قبل، ومهجه في الكتاب وصفي لكنه لا يحلو من نظرات فتراصبه، مثل لقول بأن أصل نون التوكيد الثقينة (أن) وتحذف همزتها عند اتصالها بالفعل المصارع فيصيرُ أصلها (يصر + أن)^(٢) ومثل القول بأن ياء نسب أصلها (أي) وسقطت همزتها عند اتصالها بالاسم، فصير أصلها (مصر + أي)^(٣) ولا يتسع المقام لتشع أمثلة أخرى من الكتاب^(٤)

وأحسب أن مناقشة الأسس النظرية التي انطلق منها الوصفيون بنقد الصرف العربي تحتاج إلى مجال أوسع مما يسمح به البحث، ولكني سوف أقف عند قضية أساسية واحدة هي عليها الوصفيون كثيراً من نقدهم، وهي قضية (الأصل) التي يقول بها الصرفيون عند معالجتهم لقضايا الإعلال والإبدال والتحذف والإدغام، وقد مرّت أمثلة من أقوال الوصفيين حول هذه النقطة

(١) نظرة وصفية ص ١١٨

(٢) مهجع صوتي للغة العربية ص ٨٩ ٩٩

(٣) مصدر نفسه ص ١١٢

(٤) يمكن الاطلاع على ملاحظات أخرى حول انكتاب في المقالة النقدية التي كتبها عنه الدكتور سعد مصلوح في (المجلة العربية للدراسات المعوية) المجلد الثاني - الجزء الثاني - يونيو ١٩٨٤ (ص ٨٧ ١١٠)

علماء العربية يقولون إن أصل

عَرَا عَرَو

وَر قَوْل

اصْطَرَب اصْتَرَب

مِيعَاد مَوْعَاد

يَعِد إِوْفَاد

عَدَّ عَادَدُ

مَحْتَار - مُحْتَبَرٌ أَوْ مُحْتَبَرٌ

ويقول بوصفبيون إن العرب تكلمت مباشرة بهذه الكلمات، ولا ضرورة لافتراض أصل لهذه نكلمات، ويعدون ذلك نوعاً من لتrof العنفي، بل يعدونه معوقاً لفهم اللغة وتعلم قواعدها فهل هم على صواب في هذا؟ وهل كنت جهود علماء العربية في هذا المجال عبثاً بحسب التحصن منه؟

إن انحرف عن ذلك بقتضيا الإشارة إلى أن اللغة العربية لغة شتافية، وأن كل مجموعة من الأسماء والأفعال ترتبط بأصل ثلاثي ينكر في كل صيغ المجموعة مع ما يدققها من ريدات، مثل كَتَبَ، يَكْتُبُ، كِتَابٌ، مَكْتُبٌ، مَكَانُهُ، اسْمُكَتَبَ، كَاتِبٌ إلخ ويد، ما نظرون إلى مجموعات أخرى من الكلمات التي أخذ أصولها ورو أو ياء وجدنا أن هذه القاعدة تحتل، فإذا أخذ مثلاً الفعل وَعَدَ، يَعِدُ، مِيعَادٌ، وَعْدٌ، مَوْعِدَةٌ إلخ وجدنا أن هذه الكلمة قد حذف في (يعد) وأُبدل ياء في (ميعاد)، وهذا ألا يحق للدرس أن يسأل عن طبيعة هذا التعبير ويبحث عن سببه، ومثل ذلك كلمات كثيرة عدَّ بوصفبيون البحث عن أصولها عملاً غير علمي، بل هو عمل صائر بالبحث العلمي

ولا شك في أن اللغة ترتبط بالعقل، وأن العقل الشرقي يميل إلى فهم

العلاقات التي تربط بين الأشياء، ومن ذلك اللغة التي هي نظام من الرموز، والنظام يعني وجود قواعد مطردة يتكون منها ذلك النظام، فإذا وجدنا أن هذا النظام يحتل في كلمة فإن ذلك يعني تغييراً في تلك الكلمة، ويجب حينئذ تحديده، وقد يتطلب الأمر تفسيره

ولا يحى على الفارئ أن جميع لكلمات المذكورة يمكن أن يحدد ما فيها من تعبير بالنظر في أحوالها المشاركة لها في الأصل الثلاثي، وبالنظر في نظيرها من الكلمات الصحيحة الأصل، أعني الحالية من حروف العلة ويمكن أيضاً تقديم تفسير علمي نبع من اللغة ذاتها لتلك التعابير، وهناك عشرات الأمثلة من قبل هذه الكلمات التي ندحظ فيها نوعاً ما من التعبير، يمكن أن يقدم له عدم اللغة تفسيراً علمياً مقبولاً يساعد في فهم الظواهر اللغوية، ويسهل عملية تعلم القواعد التي تحكمها

«وحيث نقول إن عالم اللغة يجب ألا يتهرب من تقديم تفسير لمثل هذه ظواهر اللغوية لا يعني أن كل شيء في اللغة يمكن أن يفسر، فليس هناك تفسير لمحيء كلمة (رحل) مثلاً، أو كلمة (حجر)، أو كلمة (صر) على هذه الصورة ولا لوحود راء في أول كلمة (رحل) أو آخر كلمة (حجر) أو منتصف كلمة (صر) أي تفسير لعوي مقبول وأي تفسيرات لمثل هذه الأمور قد تدحرج فعلاً في نطاق الفلسفة، ولكن يجب ألا نحلظ بين ما يمكن (ن) ويحب) تفسيره باعتبار أنه داخل في نطاق علم اللغة، وبين ما لا يمكن تفسيره لأنه خارج عن هذا نطاق»^(١)

وقد أحسن أستاذ الدكتور عدنان محمد سلمان التعبير عن بقيد ظواهر اللغة بالمنطق والقياس في حبس، وخروجها عنه في جانب آخر، وذلك في قوله «إن دارس العربة يقف أمام قصايا كثيرة تجعله يحس أن هذه اللغة تجري في كثير من سننها على وفق تفكير عقلي مقصود وظاهرة الاشتقاق تمثل جانباً آخر

(١) داود عبده أبحاث في اللغة العربية ص ١٧

من حواش التظيم المنطقي العقلي للغة، وهذا الجانب متصل بالمفردات، وإذا كانت المادة اللغوية الأصلية لأي معنى من المعاني قد وصفت اعتباطاً وارتجالياً، فإن المعاني المتفرعة من المعنى الأصلي قد صيغت ألفاظها على وفق مبادئ عقلية صادرة عن تفكير منظم بعيد كل البعد عن الاعتباط والارتجال، ويشهد لهذا أمراً

الأول اختلاف صيغ المشتقات مع احتفاظها بالمادة اللغوية الأصلية التي تشير إلى المعنى العام الذي تشترك فيه جميع الفروع

والأمر الثاني صياغة المشتقات على أنماط مختلفة احتصن كل نمط بدلالة معينة

فالعربية تجري فيما يتصل بمفرداتها وتراكيبها بين المنطق العملي والارتجال، فهي في أصل المفردات براء المعاني قائمة في عامة أمرها على الارتجال وهي في قوايسها المتصلة بتراكيبها أو اشتقاق مفرداتها تجري على وفق سنن مطردة، وقواعد منظمة قائمة على منطق عقلي سديد، ومبنية على علل محكمة^(١)

ولا يعني النظر العقلي في العلاقات بين المفردات وتحديد ما حصل فيها من تعبير في نيتها، ومحاولة تقديم تفسير لذلك التعبير، لا يعني سيطرة المنطق اليوسفي على دراسة اللغة أو وضع قواعدها، فلا يحسب الدارس أن يكون عارفاً بالمنطق الأرسطي لكي يدرك ما حصل في الكلمات من تعبير

وموقف الوصفيين في النظر إلى المفردات التي حصل فيها تعبير يشير إلى أن على الإنسان أن يصح عمله من التفكير في أثناء النظر إلى تلك المفردات، والاكتفاء بغير العين فقط، ومن ثم لم يكن أستاذ الدكتور محمد سالم الجرح بعيداً عن الحقيقة حين وصف أدعياء المهج الوصفيين بأنهم «محرضون على تطبيق مهج المعايير والتجربة العلمي الصارم على اللغة، وكأنهم يحثرون

(١) دراسات في اللغة والنحو ص ٩، ١٥، ٤٢

ويحدون قطعه من الشكولاته، يروا بأعينهم طبقاتها، وسطحها، وحشوها،
وعناصر تكوينها الفعلي الذي تراه العين، يشمه الأنف، ويقدره الميراث،
ويستسعه اللسان، فل أن يستقر في البطن!! ويعيب عن هؤلاء أن اللغة تختلف
عن الشكولاته، وأن ظواهرها لا ترى بالصر ولكن بالصيرة، وأن محصلة النتائج
لمحصر مشاكل اللغة وقضاياها وتقسيماتها ومعادلاتها يسعى أن تستقر في حلايا
اسمح لا في تلاقيف الأمعاء^(١)

ولعل من الممكن الآن القول إن عدم الصرف العربي لا يصلح لدراسته
المهج الوصفي التقريري، الذي يكتفي بالحديث عن الطواهر كما هي، فهذه
طرة سطحية لا تناسب مع سمو اللغة التي ترتبط بالمطلق العقلي ارتباطاً مباشراً،
وقد يكون المهج الوصفي لتفسيره هو المهج الأفصل لتحقيق تلك العية، فهو
لا يكتفي بوصف الطواهر، بل يحاول تقديم تفسير لها، لتكون أكثر وضوحاً،
وأسهل تداولاً، للدارس والمتعلم^(٢)

(١) نظرات مقارنة في صيغ الفعل العربي ص ٣٣

(٢) ينظر داود عبده أبحاث في اللغة العربية ص ٩-٢٠

خاتمة

بررت في العقود الأخيرة من القرن الماضي دعوة قوية إلى «سحلي عن مذهب علماء عربية في دراسة الصرف العربي، والأحد بالمذهب الوصفي في معالجة مسائل الصرف وقد صاحب تلك الدعوة الإبراء بجهود علماء العربية ووصفها بأنها مسية على «منطق» والافتراضات، والتأويلات، وأن في اتع المذهب الوصفي ما يخص الصرف العربي من كل تلك القناص التي أطلقها الوصفيون عليه

وكأن هذا البحث محاولة لسطر في تلك الدعوة، وبيان حجح الدعين إليها، والوقوف على رأي عدد من الدارسين فيها. وقد اتضح من خلال البحث أن تلك الدعوة هي صدى لمذهب الوصفي لدى العربيين جاء به المُتعثرون بدراسة في الجامعات العربية، عند عودتهم إلى بلدانهم، وكانوا متحمسين جداً لتطبيقه على علوم اللغة العربية، وخطوا في ذلك خطوات حريثة، ولكن تبين بعد فترة أن هذا المذهب لم يحقق ما كان يُعتق عليه من آمال، فمتر حماس أكثر دعين إليه

وبرر لدى العربيين مذهب جديد في الدرس اللغوي يتخذ من المنطق بعقلي دليلاً به في تحليل اللغوي، وهو لمذهب التحويلي «توبدي»، ولقي هذا المذهب اهتماماً من عدد من اللغويين العرب المحدثين، ووجدوا فيه صلتهم التي تصحح جداً لسطرة المذهب الوصفي على تفكير كثير من اندرسين

ويبدو لي من خلال ما عرضته في هذا البحث أن «المذهب الوصفي» المجرد لا يكفي وحده في دراسة علوم العربية دراسة تعتمد على التراث اللغوي العربي، وتتماشى مع متطلبات العايات العلمية والتعليمية «معاصرة». وقد يكون المذهب الوصفي «تقريري» مفعولاً في دراسة الجانب لحاص بدلالة على المعاني من علم «صرف»، كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوها، لكنه غير كاف في معالجة

الحاجب الحاصل بالتعابير الصوتية كالإعلان والريادة والحذف وبحو، ويكون المصحح الوصفي التفسيري هو المناسب لمثل هذه الدراسة، تأنيهاً وتعلماً، وهذا المصحح يقترب من النظرة المعيارية لقواعد اللغة، بالاعتماد على الوصف من جانب وعلى نظره العقلية من جانب آخر.

وأود أن أعترف للقارئ في خاتمة البحث بأنني مررتُ مروراً سريعاً بقضايا تحتاج إلى وفقه أطول، كما أنني تعاصيت عن بحث أمور أخرى بها صلة بموضوع بحث، ولدي شعور أن هذا المصحح هو شعوري بأن بحث تلك القضايا يحرج البحث عن حجمه المعتاد ليكون كتاباً، ولم أكن أنوي حين بدأت بالكتابة أن يكون كذلك.

وإذا ما تمكنت من لفت أقطار المهتمين بدراسة الصرف العربي من خلال هذا بحث إلى ضرورة العودة النظر في المصحح الذي قامت عليه الدراسات الصرفية العربية القديمة والحديثة فإن الهدف الأساسي من كتابته يكون قد تحقق، ومن ثم جاء البحث أشبه ما يكون بالحظوظ العربية والمساويز البارزة لقضايا تحتاج إلى تصاهر جهود الباحثين حولها، وأرجو أن يتمكن عيري من مواصلة البحث في هذا الاتجاه حتى نخرج من البحث عن المصحح إلى البحث في لمسات الدعوة في ضوء ذلك المصحح.

ولا يحى على القارئ أن المصاحح مهما ختلفت فإن ذلك لا يؤثر على حقيقة اللغة، وإنما المصاحح اجتهادات لدراسة اللغة ونكر هدر جهود علماء سلف في علم الصرف، وهي جهود تنسم بالعمق والإحلاص لمجرد متابعة مصحح ظهر هـ أو مصحح ظهر هـ، أمر غير سديد، ولا يعني ذلك أن تلك الجهود مبررة من كل نقص، أو أنها كاملة لا تختمل المراجعة أو الريادة، بل إن فيها حفاً ما يحتمل المراجعة، لكن في إطار البحث عن الحقيقة العلمية العقلية محلصة وريبه ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الفرقة] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أَشْتِقَاقُ الْوَصْفِ فِي الْعَرَبِيَّةِ

دراسة صرفية في العلاقة بين أسم الفاعل والصفة المشبهة

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أمّا بعدُ

فالصرفُ أخذ علوم اللغة الأساسية، وهو يُعنى بدراسة أسية، الكلم وأحوالها، وهو يأتي بعد علم الأصوات الذي يُعنى بالأصوات مفردة، وقبل علم النحو الذي يُعنى بالتراكيب ولجمال

وخطي علم الصرف بحياة علماء العربية منذ عصر التأليف المبكر، ودرس سيويه موضوعات الصرف في الكتاب، كما فعل المبرد ذلك في «المقتضب» ولم يدت هذا العلم أن استقل عن النحو في مؤلفات خاصة به، مثل «نصريف الماربي»، و«دقائق لتصريف» لأس المؤبد، لكن ذلك لم يجمع بعض العلماء من تدول موضوعات الصرف في كتب النحو، فظل هذان الاتجاهان في التأليف مستمرين إلى وقت متأخر

وظهرت في عصر مؤلفات كثيرة في علم الصرف، جاءت استجابة لمتطلبات التعليم الجامعي في أقسام اللغة العربية، ومن المؤلفين من حافظ على صورة هذا العلم، مع الحرص على سهولة التعبير ووضوح المعنى ومنهم من تحدت عن صعوبة الصرف في شكه الموردوث، وعن ضرورة إعادة كتابته في ضوء ماصح الدرس اللعوي العربي

والشكوى من صعوبة علم نصرف قديمة، وردادت في ربما سبب صعب الملكة للعبوية، وتغير أساليب التعليم وغاياته، ولكن تلك الصعوبة يسعى الأ

تدفع إلى الإعرص عما أبحره علماء العربية في هذا العلم، واستعارة نظريات ومناهج عربية لدراسة موضوعاته، لكن الحمد على ما كسه العلماء لسائقون - رحمهم الله تعالى - أمر لا يحتمل من التفتير، لأن المصباح الذي بحثناه في لدرس الدعوي في عصرنا هو - فيما أحسب - المصباح الذي يحافظ على أصالة العلم، وينتج من التراث للدعوي العربي قاعدة له، ولا يهمل ما يقدمه العصر من أفكار يمكن أن تكون مفيدة في إعادة صياغة القاعده الدعوية على نحو يسهل فهمه على المتعلم، ولا يتحلى عن جمود سلف في فهم اللغة ووضع قواعدها

ومن هذه الطرة أردت أن أدرس قضية من قضايا الصرف لاحظت أن كتب الصرف المصهجية المعاصرة لم تعرضها بالشكل الذي يسهل فهمه على المتعلم، وكتب قد أحسست بصعوبة في دراسة لصفة المشبهة باسم الفاعل قبل أكثر من ثلاثين سنة، وحين درست الصرف في المرحلة الجامعية الأولى، في كتاب «شذو العرف في فن الصرف» للشيخ أحمد الحملاوي (ت ١٩٣٢م) وحين قمتُ بدرس هذه الصرف بعد سنوات في كتاب الشيخ الحملاوي أيضاً وجدت كثيراً من الطلبة يستصعبون الموضوع وظهرت مؤلفات صرفية حديثة ألفها أساتذة جامعيون، أرحت كتاب الشيخ الحملاوي وحلت مكانه، لكنها لم تهج بهجاً حديثاً في دراسة هذا الموضوع، فظلت الصعوبة قائمة، والشكوى مستمرة

وأحسب أنني وفقتُ على سب تلك الصعوبة التي تعترض المتعلم وهو يدرسُ لصفة المشبهة في كتب الصرف الحديثة، ووجدت، بعد طول نظر، أن ذلك يرتبط بمصهجية دراسة هذا لموضوع وطريقة عرضه، وقد جرئت تدريس الموضوع على أساس خطة تعتمد على ربط لصفة المشبهة باسم الفاعل من جانب، وربطهما بأبواب الفعل الثلاثي المجرد من جانب آخر، ووجدت أن الطلبة كانوا أسرع إلى فهم الموضوع فأنسج هذه الخطة التي تستمد جانباً من مقوماتها من المصادر الدعوية العربية القديمة

وسوف أعرض الموضوع من خلال المباحث الآتية

١ الاشتقاق والوصف تعريف وتمهيد

٢ دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة في المصادر اللغوية القديمة

٣ دراسة اسم المفعول والصفة المشبهة في كتب الصرف المبهجية الحديثة

٤ مقومات الحطة المقترحة لدراسة الموضوع

وأرجو أن يقدم هذا البحث شيئاً مفيداً، في طريق السعي إلى صياغة قواعد
العربية صياغة عصرية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، والله من وراء القصد، وهو
يهدي سلسلتي وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تكريت

٢٠٠٢، ٨/٢٠

المبحث الأول

الاشتقاق والوصف - تعريف وتمهيد

قد يكون مفيداً تحديد لمصطلحات التي يقوم عليها البحث، أو لها صلة به، خاصة عندما تتعدد وجهات النظر في معنى المصطلح، أو قد يفسر معناه على العكس ووجدت من المناسب الحديث أولاً عن مصطلح الاشتقاق، ومصطلح الوصف، اللذين يعتمد عو ن البحث عليهما

أولاً مصطلح الاشتقاق

نوصف اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية، هي مقابل لغات أخرى يطلق عليها اللغات الإلصاقية^(١)، وتشارك العربية لغات أخرى في هذه الخاصية، فقد لاحظ الدارسون أن مجموعة اللغات التي يطلق عليها اللغات الجررية (أو السامية) تقوم الصيغ فيها على نظام الجدور، وهي في معظمها من ثلاثة حروف، وهذه الحروف تعبر عن المعنى الأساسي للكلمة، وتقوم الحركات أو حروف الزيادة بتحديد المعنى الدقيق للكلمة^(٢)

وكلمة (لاشتقاق) مصدر المجل (اشتق)، وهو «فعل من ثلاثي شق، والشق «فصل، أو لصدع، ومنه اشتقاق الحرف من الحرف أحده منه»^(٣)

ويرى ابن السراج أن الاشتقاق يتحقق من خلال أمرين

(١) ينظر عنه الراححي التطبيق الصرعي ص ٧٥

(٢) ينظر بروكلمان في اللغات السامية ص ١٤، وانسيد يعقوب بكر دراسات في فقه لغة العربية ص ٩٠

(٣) ينظر ابن منظور لسان العرب ٤٨/١١ (شق)

الأول اشتراك الكلمتين في الحروف الثلاثة الأصلية الفاء والعين واللام

والآخر اشتراكهما في المعنى^(١)

وقد صاغ النحويون تعريف الاشتقاق بقولهم «الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصدية، وهيئة تركيب لها، يُبدلُ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأحدها أحدها حروفاً أو هيئة، كصَارِبٍ من صَرَب، وحَبِرٍ من حَبَرَ»^(٢)

ودكر ابن عصفور أن أكثر النحويين يُعرّفون الاشتقاق^(٣) بأنه إنشاء فرع عن أصل يدل عليه^(٤) ويقوم هذا التعريف على فكرة أن بعض الكلمات تكون أصلاً بمشتقات، لكن ابن عصفور لم يحدد هذا التعريف وافياً، لأنه قد يفسر هذا اللفظ مشتق من هذا، من غير أن يكون أحدهما مُشأً من الآخر، وذلك إذا كان تركيب الكلمتين واحداً، ومعنيهما متقاربين^(٥)

ودهب ابن عصفور إلى أن التعريف الجامع للاشتقاق هو «عقدُ تصاريحٍ تركيب من تراكيب الكلمة على معنى واحد أو معيين متقاربين، وديك نحو رَدُّكَ صارماً وصرّاً وصروراً ومصراناً إلى معنى واحد، وهو الصرب، إلا أن أكثر الاشتقاق ومعظمه داخل تحت ما حدّه النحويون به من أنه إنشاء فرع من أصل يدل عليه وأم المشتق فعلان للفرع الذي صبح من الأصل، لأنك تطلب معنى الأصل في الفرع، فكأنك تشتق الفرع لتخرج منه الأصل، وكأن الأصل مدفون فيه، والمشتق منه هو الأصل

(١) بظـ الاشتقاق ص ٣٢

(٢) السيوطي المرهر ١/٣٤٦

(٣) المقصود به ما يسمى بالاشتقاق الأصغر، وهو غير الاشتقاق الأكبر الذي يقوم على نصب لأصوات الثلاثة للكلمة، وهو ما يقال به ابن جني خاصة (يظر كتاب الحصائص ٢ ١٣٥)

(٤) الممتع ١ ٤١

(٥) الممتع ١ ٤٢

فإن قيل فكيف يصح أن يقال في الفرع إنه مشتق من الأصل، أي مأخوذ
منه والأصل لا يفصل منه الفرع؟ والجواب أن ذلك يصح على جهة الاستعارة
ولمحار ذلك أنه لما كان لفظ الفرع مسياً من حروف الأصل، وكان معنى
الأصل موحوداً فيه، صار لذلك كأنه جزء من الأصل، وإن كان الأصل لم تنقص
منه شيء^(١)

يرى أن عصفور أن القول بأن هذا اللفظ مشتق من هذا اللفظ على طريق
المحار وعلى جهة الاستعارة، وأنه قد يقال هذا اللفظ مشتق من هذا، وإن لم
يكن مأخوذاً منه^(٢)

ويبدو لي أن من عصفور لا يرى مسوغاً للمجدد الدائر بين الحويين حول
أصل المشتقات، فقد ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع
عليه، وذهب الصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه^(٣) ويقرب
من عصفور بذلك من مذهب عدد من النحويين المحدثين الذين يرفضون فكرة
الأصل والفرع بين الكلمات، ويرون أن مسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة
بين الكلمات، واشتراكها في معنى معين، خير من أن تقوم على افتراض أصل
منها وفرع والقدر لمشارك بين الكلمات المترابطة من الناحية اللفظية واضح
كل نصوص، ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة، فأنت إذا نظرت إلى صر،
وصارت، ومصروب، ومصرت، ومصارب، وصر، وما تفرع من ذلك، رأيت
أنها جميعاً تشترك في (ص ر ب) وتفرع منها فهذه الحروف الثلاثة
لصحيحة حدود اللغة العربية التي تفرع منها الكلمات^(٤)

وإذا أخذنا بوجهة النظر الناقلة بأن أصل المشتقات هو الجذر الثلاثي، الذي
يقبل في الكلمة وعيها ولامها، كان المصدر من المشتقات كما أن الفعل

(١) المنع ١ ٤٤

(٢) المنع ١ ٤٣

(٣) ينظر ابن الأثير الإيضاح ١٤٤/١

(٤) نعم حسد مباح البحث في اللغة ص ١٨١ ١٨٢

لماضي المجرد من المشتقات أيضاً وتكون الأسماء المتصلة بالأفعال من جهة الاشتقاق ثمانية، وهي المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التخصيص، وأسماء الزمان والمكان، واسم الآلة^(١) وقد قالوا «ويشتق من المصدر عشرة أشياء الماضي، والمضارع، والأمر واسم الفاعل، واسم المفعول، وصفة المشبهة، واسم التخصيص، واسم الزمان والمكان، واسم الآلة»^(٢)

و يدي بعضاً من هذه المشتقات ما به تعلق بالوصف، وهو ما نحاول الحديث عنه في الفقرة الآتية

ثانياً مصطلح الوصف

انوصف مصدرُ الفعل وَصَفَ، والصفةُ مثل الوصف، إلا أن فاء الكلمة قد حذفت منها، قال ابن منظور «وَصَفَ الشيءَ لَهُ وعليه وصفاً وصفةً حلاً»^(٣) فيكون مثل مصدر الفعل وَعَذَ، فيقال منه الوعد، والبيعة

وانعَتَ لغةً يرادف لوصف، قال ابن منظور «العتُّ وُصِفَتْ لشيءٍ نعتُهُ بما فيه، وساع في وصفه نَعْتُهُ نَعْتُهُ نعتاً وصفةً»^(٤)

وذكر تحليل أن العت يكون في الحُسْنِ، و«يوصف بكون في الحسن والفسح، فقال «لعتُ وصف الشيء بما فيه إلى الحسن مذهبه، إلا أن يتكلف متكلف فيقول هذا نعت سوء»^(٥) وأعاد ابن الأثير صياغة كلام التحليل بقوله «العت وصف الشيء بما فيه من حُسْنٍ، ولا يُقال في القبيح، إلا أن يتكلف

(١) ينظر ابن عيش شرح المعص ١ ٤٣

(٢) الحملوي شد المعروف ص ٦٨

(٣) لسان العرب ١١ ٢٧٢ (وصف)

(٤) لسان العرب ٢ ٤٠٥ (عت)

(٥) العين ٢ ٧٢ وينظر ابن فارس لصاحبي ص ٩٨

مكلف فيقول نعت سوء، وانصوف يقال في الحسن والقيح»^(١)

أما في الاصطلاح فقد ذكر ابن عيش أن الصفة والنعت واحد، وقد ذهب بعضهم إلى أن النعت يكون بالحلية نحو طويل وقصير، والصفة تكون بالأفعال نحو صارت وحارح^(٢) ونقل السيوطي عن أبي حيان وهو يتحدث عن نعت قومه «والتعير به اصطلاح الكوفيين، وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الوصف والصفة»^(٣)

وما قاله أبو حيان قد ينطبق على ما استخدمه علماء العربية الأوائل، فقد تصفحت «معاني القرآن» للفراء، وهو شيخ الكوفيين، فوجدته يستخدم مصطلح (نعت) وقد يستخدم مصطلح (الصفة) ولكنه يستخدم بمعنى أقرب ما يكون إلى معنى انعوي للكلمة^(٤) وكذلك فعل ابن المؤدب في «دقائق التصريف»، وهو كوفي سرعة^(٥) أما سيويه شيخ البصريين فهو يستخدم مصطلح الصفة والصفات^(٦) كما يستخدم مصطلح النعت^(٧)

وقال ابن الجاحظ «تطلق الصفة باعتبارين عام وخاص

والمراد بالعام كل لفظ فيه معنى الوصفية، حرى تبعاً أو لا، فيدخل فيه حر المسدأ، أو الحال، في نحو ريدٌ قائمٌ، وخاءبي ريدٌ راكناً، إذ يقال هما وصفان

(١) انشابة في غريب لأحدث ٧٩ ٥

(٢) شرح بمفصل ٤٧/٣

(٣) همع الهوامع ١١٦/٢

(٤) ينظر معاني القرآن ١ ١٠٥، ٣٣٠، ٤١٠ و ١٠٧، ٢ و ٢٠/٣، ٢١٨، ٢٦٥

(٥) ينظر دقائق التصريف ص ٦٥، ٨٦، ٩٠

(٦) كتاب ١ ٢٤٢

(٧) لكتاب ١ ٢١ ٢٢ و ١ ٤٢١-٤٣٧

ومعنى بالخاص ما فيه معنى الوصفية إذا جرى تدعاً نحو جاءني رجلٌ
صارثاً^(١)

وعلى الرغم من هذا التداخل في استخدام هذين المصطلحين، فإن علماء
العربية في العصور اللاحقة مالوا إلى استخدام مصطلح النعت في الدراسة النحوية
للدلالة على نوع من التوابع، وهو ما عبر عنه ابن الحاجب بالمعنى الخاص
وإلى استخدام مصطلح (الوصف) و(الصفة) في الدراسة الصرفية للدلالة على كل
اسم فيه معنى الوصفية بعض النظر عن موقعها الإعرابي، وهو ما عثر عنه بن
الحاجب بالمعنى العام

وسوف أستخدم مصطلح (الوصف والصفة) في هذا البحث لأنه في محل
الدراسة، صرفية، على أن (الصفة) مصدر في الأصل بمعنى الوصف، لكن قد
تستخدم اسماً لما قام بأنداد من وصف

وميز من يعيش بين الصفة وغيرها من الأسماء بقوله «والفرق بين الصفة
وعبر لصفة من جهة لمعنى أن الصفة تدل على ذات وصفة، نحو أسود
مثلاً، فهذه الكلمة تدل على شيئين أحدهما الذات والآخر السواد، إلا أن
دلالتها على الذات دلالة تسمية، ودلالتها على السواد من جهة أنه مشتق من
لفظه، فهو من خارج، وعبر الصفة لا يدل إلا على شيء واحد، وهو ذات
المسمى»^(٢)

ولأسماء التي ينطق عليها تعريف الصفة من المشتقات هي اسم الفاعل،
والصفة المشبهة، واسم المفعول، واسم التفضيل^(٣) والذي يعين الحديث عنه
في هذا البحث هو اسم الفاعل والصفة المشبهة، لاستكشاف العلاقة الاشتقاقية

(١) الإيضاح في شرح المفصل ٢٤١/١، وشرح كافة ابن الحاجب لبرصي ١ ٣١١

(٢) شرح نمعصر ١ ٢٦١

(٣) نظر المصدر نفسه ١ ٤٨

سهما، وأوجه نشبه والاختلاف في اسحية الدلالة بينهما، بعد عرض جهود علماء عربية سافير، وجهود المؤلفين لكتب الصرف المبهجة من المحدثين، في دراستهم لهذا الموضوع

المبحث الثاني

دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة

في المصادر اللغوية القديمة

بحث المصادر الدعوية العربية القديمة في دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة باسم الفاعل متى لم تحافظ عليه المصادر المتأخرة أو الحديثة، وحدث أن عرّض مسهب لمتقدمين في دراسة هذا الموضوع يساعد في تقويم ما جاء في كتب الصرف لمهجية الحديثة عنه، كما أنه يمكن أن يسهم في اختيار المسهب الأفضل بدراسة الموضوع

وقد يصعب على الدارس في مثل هذا البحث استخلاص حطة واضحة لدراسة لموضوع في كتاب سيويه أو في مقتضب للمرد، بحاجة ذلك إلى محار واسع للتحليل والمفشة، ولكن النظر في الكتابين لن يحصى عليه فهما أمران

الأول معالجة الموضوع على مستويين الأول صرفي يُعنى بطريقة صياغة كل من اسم الفاعل والصفة المشبهة، والثاني نحوي يعنى بوظيفتهما في التركيب، أو بطريقة عملهما في الجملة^(١)

والآخر النظر إلى كل من اسم الفاعل والصفة المشبهة من عني أيهما شيء واحد من ناحية لتصنيف الصرفي، حتى إن لاحظ تسمية أمثلة الصفة المشبهة بمصطلح اسم الفاعل، وكأن مصطلح (الصفة المشبهة باسم الفاعل) يشير إلى عملها النحوي لا صحتها العرفية

وقد صرح المررد بذلك وهو يتحدث عن أبواب الفعل الثلاثي، فقد «هد

(١) نظر في كتاب سيويه (ج ٥) ص ٢٥٢ و ٣١٧، والمررد مقتضب ٨٠/٤ ٨٣

ب معرفة أسماء المفاعلين في هذه الأفعال، وما يلحقها من الزيادة للمصنعة
 «علم أن الاسم على (فعل) فاعلٌ، نحو صرتَ فهو صارت، وشتمَ فهو شاتم،
 وكذبتَ (فعل) نحو علم فهو عالم، وشربَ فهو شارب، فإن أردت أن تكثر
 الفعل كان التكثير أسمية، فمن ذلك فَعَّالٌ فأما ما كان على (فعل) نحو
 رحيمٌ وعليمٌ فقد أجاز سيويه النصب فيه، ولا أراه حائراً، وذلك أن فعلاً إما
 هو اسم الفاعل من الفعل الذي لا يتعدى^(١)

وقد نصحت معالم تلك الحطة لدراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة في لقرن
 الرابع، على يد من اسراح والرحاحي، فقد عقد ابن السراح باباً للأسماء التي
 تعمل عمل الفعل، جعله في فصلين الأول عن عمل اسم الفاعل واسم
 المفعول، والثاني عن صفة الصفة المشبهة^(٢) ثم عقد باباً لصناعة اسم الفاعل
 والصفة المشبهة به^(٣)، وفعل الرحاحي ذلك أيضاً، فعقد باباً للعمل الحوي^(٤)،
 وبنياً للاشتقاق الصرفي، لعل من المفيد أن نقل هه بعض ما جاء فيه لأنه
 يكشف عن المذهب الذي نتحدث عنه بشكل واضح قال الرحاحي «باب أسماء
 المفاعلين والمفعولين يَدُ، كان الفعل على (فَعَلَ يَفْعُل) فاسم الفاعل منه على
 (فاعل) والمفعول منه على (مفعول) وما كان على (فَعُل) نصم النعين فاسم
 الماعن منه (فعليل) نحو طُوفَ فهو طريف، وشُرفَ فهو شريف، ولا يسي منه
 (مفعول) لأنه لا يتعدى إلى مفعول وما كان (فَعُل) بكسر النعين غير متعدٍّ فاسم
 الفاعل منه يكون على (فعلٍ وأفعل)^(٥)

واستقر الحال في المصادر القديمة على دراسة كل من اسم الفاعل والصفة
 المشبهة على مستويين نحوي وصرفي، لكن تناولهما في المستوى الصرفي كان

(١) المنقصب ٢ ١١٣-١١٤

(٢) الأصوار ١ ١٣٠

(٣) الأصوار ٣/٨٥ ٩٩

(٤) كتاب الحمل ص ٨٤-٩٨

(٥) كتاب الحمل ص ٣٠٠

ينم في باب واحد، وهي المستوى، المحتوي كان موضوع اسم المفعول يفصل بينهما عالماً، لأن الصفة المشبهة أقرب إلى موضوع اسم الفاعل من ناحية تصيعة الصرفية والدلالة المعنوية، واسم المفعول أقرب إلى اسم الفاعل من ناحية الوضعية المحوية وقوة العمل في الجملة يقول بن يعيش «واعلم أن الصفات على ثلاث مراتب صفة بالجاري»^(١) كاسم الفاعل واسم المفعول، وهي أفوها في العمل لقربها من الفعل، وصفة مشبهة باسم الفاعل، فهي دونها في الممرلة، لأن لشمثه بالشيء أصعب منه في ذلك الباب الذي وقع فيه الشيء، ثم المشبهة بالمشبهة، وهي الممرلة الثالثة^(٢)

وكان علماء العربية قد ناقشوا مسألة لها علاقة باستخدام مصطلح (اسم الفاعل) للدلالة على ما صار يطلق عليه (الصفة المشبهة باسم الفاعل)، وهي هل كانت تسمية اسم الفاعل متأية من صيغة (فاعل) أو من دلالتها المعنوية؟

فذهب بن الحاجب إلى أن التسمية جاءت من صيغة (فاعل) فقال «وبه سُمِّيَ، أي بلفظ فاعل الذي هو ورد اسم الفاعل ثلاثي لكثرة الثلاثي، فجعلوا أصل الباب له، فلم يقولوا اسم المُفْعِل ولا المُسْتَفْعِل»^(٣) لكن الرضي حالف بن الحاجب في ذلك، فقال «وحيث قل بطر، لأنه ليس المقصد بقولهم اسم الفاعل اسم التصيغة الآتية على ورد اسم الفاعل، بل المراد سم ما فعل الشيء، ولم يأت المُفْعِل والمُفْعِل بمعنى الذي فعل الشيء حتى يقال اسم المُفْعِل»^(٤)

وينرجح عندي ما ذهب إليه الرضي، لأنه يتناسب مع استخدام مصطلح (اسم الفاعل) عند المتقدمين للدلالة على الصفة المشبهة، فالرضي يرى أن التسمية متأية من الدلالة المعنوية للكلمة وليس من الصيغة اللفظية، فالاسم المرفوع في

(١) بعله يريد صفة مشبهة بالفعل لجاري مجرى الاسم، وهو الفعل المضارع

(٢) شرح المفصل ٦ ٨٢

(٣) شرح الكافية ٢ ١٩٨

(٤) شرح الكافية ٢/١٩٨ ١٩٩

الحمل الآتية يسمى فعلاً بعض النظر عن صيغة الفعل من حيث «تجرد ولريادة، أو التعدي واللزوم صَرَبَ رَيْدٌ، وانطلق عمرو، وأحْتَدَ عليٌّ، وحرر خالدٌ، ووصفُ الفاعل من هذه الأفعال يكون على صارب، ومطلق، ومجتهد، وحرير، وهذه الصفات تسمى كلها على رأي المتقدمين (اسم فاعل) لأنها تصف من قام بالفعل وليس الأمر على ما ذهب إليه ابن الحاجب من أن الوصف لذي يستحق مصطلح اسم الفاعل هو (صارب) فقط لأنه على رنة (وعل) وأن كلاً من (مطلق) و(مجتهد) بسميات اسم فاعل إلحاقاً لهما بكلمة (صارب) لاشتراكهما في الدلالة على من قام بالفعل أما كلمة (حرير) فيجب أن يسمى على ما ذهب إليه بالصفة المشبهة باسم الفاعل

ويظهر من هذا العرض أن منهج علماء العربية المتقدمين في دراسة موضوع اسم الفاعل والصفة المشبهة يتلخص في الأمور الآتية

١ دراسة لموضوع على مستويين مفصلين صرفي ونحوي، وكان ترتيب الموضوعات في المستوى الصرفي على هذا النحو اسم الفاعل صفة مشبهة اسم لمفعول، بينما كان ترتيب هذه الموضوعات في المستوى النحوي هكذا اسم لفاعل اسم المفعول الصفة المشبهة، على اعتبار أن الصفة المشبهة أقرب إلى اسم الفاعل من الناحية الصرفية، بينما يكون اسم المفعول أقرب إلى اسم الفاعل من الناحية النحوية

٢ اعتبار الصفة المشبهة من الناحية الصرفية نوعاً من اسم الفاعل، ولهد أطلقوا عليها مصطلح (اسم الفاعل)، وأحسب أن مصطلح (الصفة المشبهة باسم الفاعل) يختص بالعمل النحوي في الأصل، وإن استخدم بعد ذلك في الدراسة الصرفية، لا بل صار هو المصطلح الدال على هذا النوع من الأسماء في كتب لصرف المتأخرة والحديثة

٣- لربط بين صياغة اسم الفاعل والصفة المشبهة والأفعال التي تشتق منها، وربطها بمصادرها أيضاً، على نحو ما ورد في كتاب سيويه في باب (باء الأفعال

لتي هي أعمال تعدّك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها) مما قاله «وأم كل عمل لم يتعدّ إلى منصوب فإنه يكون فعله على ما ذكرنا في الذي يتعدّى، ويكون الاسم فعلاً، والمصدر معمولاً، وذاك نحو قد قُودَ فهو فعد، وحلس حلوساً فهو حلس»^(١)، وقال أيضاً «وقد بنوا أشياء على فعل يفعل فعلاً وهو فعل، لتندربها في المعنى، وذاك ما تعذر عليك ولم ينهّل وذلك عسر بعسر عسراً، وهو عسر، وشكس يشكس شكساً، وهو شكس»^(٢)

ويمكن أن ندرك مقدار الترابط بين هذه الموضوعات لدى علماء العربية المتقدمين من خلال العوان الذي استخدمه ابن لسراح وهو (هد باب المصادر وأسماء فعلى) وعرض فيه أوران الأفعال ومصادرها وأورن الصفات التي شتق منها على صعيد واحد^(٣)، لأنهم كانوا يدركون أن هذه الطائفة من الكلمات شكل منظومة لغوية وحدة يكمل بعضها بعضاً

(١) الكتاب ٤ ٩

(٢) الكتاب ٤ ٢١

(٣) الأصون ٨٥/٣ وما بعده

المبحث الثالث

دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة

في كتب الصرف المنهجية

شظت حركة اتأسف في علوم اللغة العربية تتوسع التعليم، والجمعي هي السداد
عربية، وكاد علم الصرف أحد العلوم التي استأثرت بنقسط كبير من جهد
المدرسين، فظهرت خلال قرن من الزمان عشرات الكتب، المتخصصة لتدريس
الموضوعات لصرفية لطلبة أقسام اللغة العربية في المؤسسات التعليمية
الجامعة^(١)

(١) بين يدي عشرون كاد في علم الصرف، أكثرها تدول موضوعات الصرف عامة، وبعضها
ساو حواء من تلك الموضوعات، وهي متعددة، المصباح، وأرجو أن يساح لي الحديث
عن ذلك في بحث (علم الصرف بين المعيارية والتوصيف)، الذي أعمل الآن في تهيئة
مادته، وهذه أسماء تلك الكتب

كتب مؤلفة في مصر

- ١ شذا لعر في من الصرف الحملاني (١٣١١هـ)
- ٢ تهذيب التوضيح المراعي ورميله (١٣٢٩هـ)
- ٣ درامات في علم الصرف د عبد الله دروش (١٩٦٢م)
- ٤ في علم الصرف - د أمين علي السد (١٩٧٠م)
- ٥ نصريف لعل - د أمين علي السد (١٩٧٣م)
- ٦- انطبق الصرفي د عبد الرحيم (١٩٧٣م)
- ٧ في نصريف لأسماء د عبد الرحمن شاهين (١٩٧٣م)
- ٨ نظرة وصفية في نصريف الأفعال د محمد أبو الفتوح شريف (١٩٧٧م)
- ٩- المصباح للصوفي بلغة تعريبية - د عبد الصور شاهين (١٩٨٠م)
- ١٠- لوسيط في علم الصرف - د مصطفى السجرجي (ورد ذكره في المصدر رقم =

وحاء* دراسة موضوع الصفة المشبهة في هذه الكتب منقصة عن دراسة اسم
لصعل، فقد اتع مؤلفوها المصيح الحوي في دراسة هدين الموصوعين، وحاء
تريب الموصوعات فيها على هذا النحو اسم الفاعل (ومعه صبح المصالعة)، ثم
سم المفعول، ثم الصفة المشبهة باسم الفاعل^(١) ولا شك في أن هذا المصيح
سوف يحرم الطالب من إدراك حقيقة العلاقة الاشتقاقية بين الموصوعين

ولم تربط تلك الكتب بين صوع الصفة المشبهة وبين الفعل الذي تشتق منه أو
ترتبط به، على نحو ما فعل علماء العربية الأوائل، فحاءت للإشارة إلى أوراد
الفعل موحدة، وغير وافية، واعتنت بدلاً من ذلك بحشد أوراد الصفة المشبهة
الشائعة منها والنادرة، وهذا أمر مطلوب وضروري، ولكنه لم يوضع في الإطار
لذي يسهل على الطالب فهمه

وتأثرت جميع كتب الصرف المصحية بطريقة الشيخ أحمد الحملاوي رحمه

= (٨)

كتب مؤلفة في لعراى

- ١ عمدة الصرف كمان إبراهيم ط (١٩٥٧م)
 - ٢ أوراد الفعل - د هاشم طه شلاش (١٩٧١م)
 - ٣ معاني الأسب في العربة د فاضل صالح السامرائي (١٩٨١م)
 - ٤ الصرف ابو صبح عبد الجبار عنوان الديلة (١٩٨٨م)
 - ٥ المهدب في علم التصريف د هاشم طه شلاش ورميله (١٩٨٩م)
 - ٦ الصرف الوافي د هادي نهر (١٩٨٩م)
 - ٧ محاصرات في علم الصرف د علي جابر ورميله (١٩٨٩م)
 - ٨ الصرف د خاتم صالح الصامس (١٩٩١)
- وكتب د الطيب الكوش التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث
(١٩٧٣م نوس)

وكتب د محمد خير الحوي لوضح في النحو والصرف (ط ٢ سورب ١٩٧٨م)
(١) أمشي منها كتاب التطبيق الصرفي للدكتور عبد الراحمي الذي درس فيه الصفة المشبهة
بعد اسم الفاعل وصبح المصالعة (ينظر ص ٧٥ ٨١)

الله في دراسة المصوغ وفي تفصيلاته، في كتابه «شدا العرف في من الصرف» وهو أول كتاب منهجي في العصر الحديث، ولعل من المفيد إبراد ما ذكره الحملوي عن الصفة المشبهة وموارد ما ورد في الكتب المنهجية الأخرى به، لتوقوف على مقدار ما أضافته إلى دراسة المصوغ، قد الشيخ الحملوي

«اسم الفاعل هو ما اشتق من مصدر المضي للفاعل، لمن وقع منه الفعل، أو نعتق به وهو من الثلاثي على وزن فاعل ومن غير الثلاثي على رنة مصدره

اسم المفعول هو ما اشتق من مصدر المضي للمجهول، لمن وقع عليه الفعل وهو من الثلاثي على رنة مفعول

الصفة المشبهة باسم الفاعل

هي لفظ مصوغ من مصدر اللام، للدلالة على الثبوت ويعلم ساؤه من لام باب فرح، ومن باب شرف، ومن غير الثابت نحو سيّد وميّت، من ساد بسود ومات يموت، وشيخ من شاح شيخ

وأورائها العانة فيها اثنا عشر ورناً، اثنان محتصان باب فرح، وأربعة محتصة باب شرف، وستة مشتركة بين الابين^(١)

ويستند تعريف اسم الفاعل والصفة المشبهة عند الحملوي إلى ما ورد في المصادر القديمة، فقد كان ابن الجاحق قد عرّفهما بقوله «اسم الفاعل ما اشتق من فعل لمن قام به، بمعنى الحدث»^(٢) و«الصفة المشبهة ما اشتق من فعل لا م لمن قام به على معنى الثبوت»^(٣)

وعرّفهما الفاكهي بقوله «اسم الفاعل ما اشتق من مصدر فعل لمن قام به

(١) شد العرف ص ٧٥-٧٨، ويظر المراعي نهذب التوضيح ص ٨٦-٩٠

(٢) شرح الكافية ٢، ١٩٨، ويظر الجرحاني التعريفات ص ٢١

(٣) شرح الكافية ٢، ٢٠٥، ويظر الجرحاني لتعريفات ص ٧٦

على معنى الحدوث» و«الصفة المشبهة» ما اشتق من فعل لازم مقصود شوت معناه^(١)

ولم يحرج من جاء بعد الحملوي عن منهجه في التعريف والتفصيل، على نحو ما أشرت، وليس من الضروري تنوع كل ما جاء في كتب الصرف المنهجية في هذا المجال، فقد يكفي إيراد مثال أو مثالين من كتب الكتب، وذلك لتثبته الكبير في عرص الموضوع فيها

والمثال الأول ما ورد في كتاب «المصباح الصوتي لامية العربية» للدكتور عبد الصور شاهين «اسم الفاعل وهو وصف يؤخذ من مضارع مضي للفاعل، بدلالة على من أحدث الفعل، أو قام به الفعل»^(٢) و«الصفة المشبهة» وهي وصف يؤخذ من فعل لازم للدلالة على الشوت»^(٣)

والمثال الثاني ما ورد في كتاب «الصرف الوافي» للدكتور هادي بهر «اسم الفاعل كلمة مشتقة للدلالة على من وقع منه فعل أو قام به، فكتب شتقت من مصدر مضي للفاعل (الكتابة) للدلالة على من وقع عليه هذا الحدث»^(٤) و«الصفة المشبهة لفظ مشتق يصاغ من الثلاثي للارم للدلالة على من قام به الفعل على وجه شوت والدوام»^(٥)

وهناك عناصر مشتركة في تعريف اسم الفاعل والصفة المشبهة، تتمثل في أنهم اسمان (وصفان) مشتقان، وأيهما يدلان على من أسند إليه الفعل، لكن اسم الفاعل مشتق من مصدر الفعل المضي للفعل، أو من الفعل مباشرة، والصفة المشبهة مشتقة من مصدر الفعل اللازم، أو من الفعل للارم مباشرة، حسب

(١) شرح حدود النحوية ص ٩٠ و ٩٢

(٢) المصباح لصوتي ص ١١٤

(٣) المصباح لصوتي ص ١١٧

(٤) الصرف الوافي ص ٨٥

(٥) الصرف الوافي ص ١٠٤

تعبير المصادر اللغوية العربية القديمة وأكثر المصادر الحديثة

ولعل أهم قضية يذكرها الصرفيون القدماء والمحدثون للتفريق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة في دلالة اسم الفاعل على الحدث، ودلالة الصفة المشبهة على الثبوت، لكن هذا الفرق الذي جعله الصرفيون والمحدثون فيصلاً ليس موضع اتفاق، وأول ما يعترضه هو ما أجمعوا عليه من كون الفعل يدل على الحدث ولأسم المشتق يدل على الثبوت^(١)، فكيف يصار بعد ذلك إلى وصف اسم الفاعل بأنه يدل على التحدد والحدث^(٢)؟

قد الرصي «والذي أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعاً للحدث في زمان ليست أيضاً موضوعاً للاستمرار في جميع الأزمنة، لأن الحدث والاستمرار قيدان في الصفة، ولا دليل فيها عليهما، فليس معنى (حسن) في الوضع إلا دو حُسْرٍ، سواء كان في بعض الأزمنة أو جميع الأزمنة، ولا دليل في اللفظ على أحد القيدتين، فهو حقيقة في القدر المشترك بينهما، وهو الاتصال بالحُسْر، لكن لما أُطلق ذلك ولم يكن بعض الأزمنة أولى من بعض، ولم نُحَرِّثْهُ في جميع الأزمنة، لأنك حكمت بثبوته، فلا بد من وقوعه في زمان كان الطاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قريته تحصصه بعصها، كما تقول كان هذا حسناً، فقبح، أو سيصير حسناً، أو هو الآن حَسَنٌ فقط، فظهوره في الاستمرار ليس وضعياً»^(٣)

وقال أبو حيان «واحتصوا في زمان هذه الصفة المشبهة، فذهب الأحفش والسمرائي إلى أنها تكون أبدأ بمعنى الماضي، وذهب ابن السراج والمارسي إلى أنه لا يكون بمعنى الماضي، وسواء رفعت أم نصت، بل تفيد الاتصال في الحال، لا تفيد مُصَيّاً ولا استقلالاً، وهو احتسار الأستاذ أبي علي [الشلوس]،

(١) ينظر فاضل صانع السمرائي معاني الأبيات ص ٩، ١٧، دار عمار للنشر والتوزيع،

لأردن ٢٠٠٥م

(٢) شرح النكح ٢ ٢٠٥

ودهب أبو بكر بن طاهر إلى أنها تكون للأرمة الثلاثة^(١)

ويمكن أن يذكر الملاحظات الآتية حول دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة به في كتب الصرف، المصححة

١- الفصل بين اسم الفاعل والصفة المشبهة بموضوع اسم المفعول، وهو ما يشعر القارئ بأن لا علاقة بينهما، وهو مهج يصلح للدراسة السحوية، لكنه غير كاف في الدراسة الصرفية

٢- ربط اسم الفاعل بالفعل المسمى للفاعل، والصفة المشبهة بالفعل، للارم، غير كاف في توضيح حقيقة العلاقة بين هاتين الصفتين والأفعال التي ترتبط بهما أو تشتق منهما

٣- نقول بأن الفرق الرئيس بين أسم الفاعل والصفة المشبهة به هو دلالة على لحدوث ودلالاتها على الثبوت، تقوم في سبيله عوائق تشير إلى أن دلالة كل منهما على الأمرين نسبية، والعالم فيهما الثبوت

٤ لم يقف لصفريون المحدثون طويلاً عند طريقة اشتقاق كل منهما، واكتفوا بالقول بأن صياغة اسم الفاعل قياسية، وأن صياغة الصفة المشبهة سماعية ولم يحاولوا الإحاطة عن التساؤل حول سبب اختلاف طريقة صياغتهما، وكل منهما وصف مشتق للدلالة على من أسند إليه الفعل

وسوف أحاول تقديم مهج لدراسة الموضوع يتهدى ما يؤخذ على ما ورد في كتب الصرف المصححة، ولكنه لا يقطع العلائق بجهود علماء العربية لأوائل، وذلك بإعادة قراءة ما كتبه، وصياغته بأسلوب يجمع بين الدقة العلمية، وسهولة العبارة، ووضوح الفكرة

(١) ارتشاف الضرب ٢٤٢/٣

المبحث الرابع

مُقَوِّمَاتُ الخِطَّةِ المقترحةِ لدراسة الموضوع

لا يعني اقتراحي خِطَّةً لدراسة موضوع الصفة المشبهة أن معالجة كتب الصرف المشبهة للموضوع خطأ، أو أنها ليست ذات فائدة، ولكي أجد أنه يمكن اتباع خطة تتوافق مع وظيفة كل من اسم الفاعل والصفة المشبهة، ومع طريقة اشتقاقهما، ويكون أكثر وضوحاً وأقرب متناولاً للمتعلمين وهذه أهم مقوِّمات تلك الخطة

١ تقديم موضوع دراسة الصفة المشبهة على موضوع اسم المفعول، على نحو ما فعل الدكتور عبده الراجحي في التطبيق الصرفي^(١)، لكن هذا التقديم وحده غير كافٍ في نظري، فالأمر يحتاج إلى دمج دراسة الصفة المشبهة بموضوع اسم الفاعل وجمعهما تحت عنوان واحد هو (اشتقاق الوصف) أو يمكن الاحتياط بمصطلح (اسم الفاعل) على اعتبار أن الصفة المشبهة اسم فاعل لكنه جاء على أوزن متعددة، وهذا أمر سبق إلى تقريره عدد من علماء العربية لمتقدمين، ودعا إليه بعض المحدثين^(٢)

٢ ربط اشتقاق الوصف (اسم الفاعل والصفة المشبهة) بأوزن الأفعال الثلاثية السمة، من غير أن يقال إنهما مشتقان من الفعل أو من مصدر الفعل، لأن الميل إلى الأحاد بالرأي القائل بأن المشتقات ترتبط بالحذر الثلاثي للمادة الدعوية، ويمكن اكتشاف أوزان الصفة المشبهة من خلال أمثلة الأفعال الثلاثية ويمكن

(١) التطبيق الصرفي ص ٧٩

(٢) هو الدكتور محمد حسن عواد، الذي ألمح إلى ذلك في مقدمته تحقيق رساله في اسم

الفاعل للعادي ص ٢٠

الآن صرف النظر عن الأفعال المزيلة، لأنها ليست أصلاً في اشتقاق الصفة المشبهة

٣ البحث عن عوامل أخرى لتصير افتراق الصفة المشبهة عن اسم الفاعل في طريقة صياغتها وتعدد أوزانها، عبر القول بأنها تشتق من الفعل اللازم للدلالة على من قام بالفعل على سبيل الثبوت، وسوف نحاول استكشاف تلك العوامل بعد أن نعرض خلاصة تستند إلى الحطة التي نتحدث عنها لدراسة الموضوع يمكن أن يقاس عليها^(١)

اشتقاق الوصف في العربية

إذا كان الفعل على وزن (فعل يفعُل) نحو نَصَرَ يَنْصُرُ، فالوصف منه على وزن فاعِل، فتقول ناصِرٌ

وكذلك إذا كان الفعل على وزن (فعل يَفْعِلُ أو فَعَلَ يَفْعَلُ) فالوصف منه على وزن فاعِل نحو صَرَبَ صارِبٌ، ودَهَتَ دَاهِبٌ

وإذا كان الفعل على وزن (فعل يَفْعَلُ) فإن منه ما يكون الوصف منه على (فاعل) نحو عَلِمَ عالِمٌ، ومنه ما يكون على أوزان شتى، مثل: حَرَنَ فهو حَرِينٌ، وفَرَحَ فهو فَرِحٌ، وعَطِشَ فهو عطِشانٌ، وعَوِدَ فهو أعورٌ، وغير ذلك

وإذا كان الفعل على وزن (فعل يَفْعُلُ) فالوصف منه على أوزان متعددة، وأكثره على وزن (فَعِيلٌ)، نحو شَرَفَ فهو شَرِيفٌ، وكَرُمَ فهو كَرِيمٌ، وخَسَنَ فهو خَسَنٌ، وشَجَعَ فهو شَجَاعٌ، وخَسَنَ فهو خَسَنٌ، وغير ذلك

وإذا كان الفعل على وزن (فعل يَفْعِلُ) فالوصف منه على فاعِل، نحو وَثَقَ وَثِيقٌ، ورَثَ وَارِثٌ، ومَقَ وَاِمَقٌ

وهناك تفصيلات أخرى حول هذه الصيغ، وحول اشتقاق الوصف من غير

(١) ينظر الراجحي كتاب الحمل ص ٣٠٠، ورس المؤدب دفاتر لتصريف ص ٦٥ وما بعده، والرصي شرح الوافية ١٤٣،١ وما بعدها

«ثلاثي»، لا يدرم الوقوف عندها هـ، لأنها تصدّد توصيح الفكرة، وليس تصدّد تنوع الصيغ وحصرها، بمطردها وشدها، علماً أن اشتقاق الوصف من غير الثلاثي يأتي على سق واحد، وهو موضع اتفاق الدارسين

وإذا كانت الصفة المشبهة بهذا المكان من اسم الفاعل، فما الذي جعلها تفرق عنه في الاشتقاق والصياغة، فأوران اسم الفاعل قياسية، بينما أوران الصفة المشبهة شكل عام سمعية؟ إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي وجود فرق بينهما كانت السب وراء هذه الظاهرة فما هي تلك «الموارق»، وكيف أدّت إلى تلك النتيجة؟

يشير الصرفيون إلى أن اسم الفاعل يُشْتَقُّ من الفعل المتعدي والفعل اللارم، والصيغة المشبهة تشق من الفعل اللارم، ويبدو لي أن هذه الملاحظة غير كافية لتفسير تلك الظاهرة، كما أن القول بأن اسم الفاعل يدل على الحدوث وأن لصيغة المشبهة تدل على الثبوت غير كافٍ لتفسير ذلك، لأن هذه النقطة موضع خلاف بين الصرفيين، على نحو ما أشرد من قبل ولا يمكن أن تكون وطبيعتهم الدلالية سباً لذلك، لأن كلاً منهما وَصِفَ لمن أُسِدَّ إليه الفعل ومن هـ يفي التساؤل قائماً عن سب ذلك

وقد يكون السب هو طبيعة الفعل وعلاقة الفاعل به، فقد وجدت علماء العربية مندسيويه يتحدثون عن فعلٍ فيه عَمَلٌ، وفعل ليس فيه عَمَلٌ، وعن فاعل حقيقي وفاعل غير حقيقي، فإذا كان الفعل فيه عَمَلٌ وكان الفاعل حقيقياً جاء بوصف على وزن (فاعل) وإن كان الفعل ليس فيه عمل، وكان الفاعل غير حقيقي فإن الوصف لا يستحق هذه الصيغة المشبهة بقوة الفعل، ومن ثم جاء على وزن أخرى

ودكر سيويه الأفعال التي هي عمل، والأفعال التي ليست بعمل، كما ذكر الصفات التي هي عمل والصفات التي ليس فيها عمل، فمثال ما هو عمل من المتعدي صَرَبَ وصَارَبَ، ومثال ما هو عمل من اللارم ذهب وداهب، ومثال

ما هو ليس بعمل كَرَمٌ وكَرِيمٌ، وَحَسُنَ وَحَسَنٌ^(١) وأحد ابن السراج هذه الفكرة عن سيبويه، وأشار إلى أن ما كان من الأفعال التي هي عمل، وكان متعدباً فإن الوصف منه على (فعل)، وأن ما كان من الأفعال غير متعد فهو ينقسم قسمين عملٌ وغير عمل، وذكر أن ما كان عملاً عَيْزٌ متعدٌ والوصف منه على (فاعل) أيضاً، وما كان غير عمل والوصف منه لا يأتي على (فاعل)، وإنما يجيء على أورد أخرى^(٢)

وإستخدم بعض النحويين بعد سيبويه مصطلح (العلاج) مكان العمل، وهو وارد في كتب سيبويه أيضاً حيث قال «ويصرفون إذا لم يؤنوا بين العمل الثابت لدي لسر فيه علاج يرويه نحو لأحد^(٣) واللام والمحيطة وما أشبهه، وسر ما كان علاجاً يرويه، نحو الصبر والكسر^(٤)» قال عبد القاهر الجرجاني «علم أن علاج ما كان من أفعال الجوارح، نحو الدهاب والقيام والقعود والصبر والكسر، وما أشبهه ربما يكون له كلفة على الجوارح، وغير العلاج ما لم يكن من فعل الجوارح^(٥)»

ويترتب على ذلك التقسيم للأفعال تقسيم الفاعل إلى فاعل في الحقيقة، وغير فاعل في الحقيقة، وإن أسد إليه الفعل على أوجه الاستعارة^(٦)، «الفاعل في عرف النحويين كل اسم ذكرته بعد فعل وأسدت وسيت الفعل إلى ذلك الاسم، ولدت كان في الإيجاب والنهي سواء، إذا ليس من شرط الفاعل أن

(١) يطر الكتاب ١٨/٢، ٢٤، و ٥/٤ ٩

(٢) يطر الأصول ١ ٨٨ ٨٥

(٣) كذا في الكتاب، ولعله الآخر، لأن الأحد فيه علاج يرويه

(٤) الكتاب ٢ ٢١

(٥) المقصد ٩٤/٢، ويظر ابن يعيش شرح المفصل ٦٢/٧

(٦) يطر المراد المقصد ١٨٨/٣، وابن السراج الأصول ٧٢/١، والرصي شرح الكفة ٧١/١

يكون موجداً للمفعول أو مؤثراً فيه،^(١)

وإذا تأملنا في الأفعال التي يكون الوصف منها على (فاعل) وجدنا أنها من الأفعال التي فيها عمل، سواء كان ذلك العمل علاجاً ظاهراً للعين، أو كان عملاً لا علاج فيه ظاهراً للحواس، ويكون الفاعل فيها فعلاً حقيقياً، به إرادة في القيام بالفعل، ونصدر منه حركة ظاهرة أو خفية في أدائه أما الأفعال التي يأتي منها الوصف على صيغ أخرى على غير (فاعل) فيس فيها عمل لا ظاهر ولا باهر، وتندم أو تصعب إردده الفاعل في أدائها، وليس فيها حركة ظاهرة أو باطنة

والخلاصة هي أن ما كان من الأفعال به فعل حقيقي كان الوصف منه على (فاعل)، وما سوى ذلك لا يأخذ الوصف فيه هذه لصغة المعركة عن قوة تأثير الفاعل في الفعل، لكن لم يأت الوصف من هذه الأفعال على صيغة واحدة، بل تعددت بين فَعَلَ، وفَعِلَ، وفَعِّلَ، وأَفْعَلَ، وفَعَّلَانِ، وفُعِّلَ، وفُعِّلَ وفُعِّلَ، وبحسب ويكثر هذا الوصف في لأفعال الدالة على العرائز، والطوائع، والجلجلى، والعبوب الطاهرة والباطنة، ونحو ذلك^(٢)، وقد يكون لبعض هذه الأوزان دلالات خاصة^(٣)

وإذا طُفِّت هذه الفكرة على أبواب الأفعال الستة، ونظرت في الوصف منها، وحدتها صحيحة، فأفعال الأبواب الثلاثة لأولى كلها أفعال هي عمل سواء كانت معدية أو لازمة، فجاء الوصف منها على فاعل نحو نَصَرَ - نَصْرًا، وفَعَدَ - فاعداً، وصَرَبَ - صارباً، وهنك هالك، وبَحَثَ - باحثاً، وذهب

(١) بن يعش شرح المفصل ٧٤/١

(٢) ينظر الرصي شرح لشافعية ١ ٧١ ٧٤

(٣) ينظر فاضل صالح السمرائي معاني الأسبغ ص ٧٨ ١٠٤

وأفعال الباب الرابع منها ما هو عمل، ومنها ما ليس بعمل، ومن ثم فإن الوصف منها جاء على فاعل، وغير فاعل، بحسب ذلك، فمثال ما جاء الوصف منه على (فاعل) حميد حامد، لعب - لاعب، ومثال ما جاء على أوران أخرى لأنه ليس عملاً حزن - حزين، وطربت - طربت، وعطش - عطشان، وعور - أعور إلخ

أم أفعال الباب الخامس فكلها ليست بعمل، وتكون في العرائر والبطائح، والحصال التي تكون في الإنسان، وجاء الوصف منها على أوران غير ورن (فاعل)، نحو شرف شريف، وحس - حسر، وشجع شجاع، وحمق - أحمق، وحش - حش، وصعب - صعب إلخ

وأفعال الباب السادس، وهي قليلة، جاء الوصف في أكثرها على فاعل، نحو ورت وارث، ووثق واثق، ومثس مائس

وبعل مما يؤكد هذا التفسير لاشتقاق الوصف في العرية أن بعض أفعال الباب الأول شد الوصف منها عن بقية أفعال الباب، وذلك مثل مات ميّت، وساد سيّد، لأن هذه الأفعال ليست بعمل يقوم به الفاعل

وما جاء من الوصف من أفعال الباب الخامس على (فاعل) فإنه من تداخل اللغتين، قد أبو حيان وهو يتحدث عن الوصف من (فعل) «وسائر ما ورد على فاعل فيه لعتان نحو كَمَل وكَمُل، فيؤخذ الفاعل من كَمَل لا من كُمَل وقالوا خُمَص ومَثَل وظَهَر وفَصَل بضم العين وفتحها، فجاء اسم الفاعل منها على فاعل، فهو من تداخل اللغتين»^(١)

وقد أتى الوصف من بعض الأفعال على خلاف ما ذكرناه، لكن ذلك لا يلغي القاعدة التي قررناها، لأن في اللغة متسعاً للشاذ والقييل، وسي أدت إليه أمور قد تعب عنها، فيحفظ ولا يقاس عليه

(١) ارتشاف لصرب ١ ٢٣٤

والاختلاف بين اسم الفاعل والصفة المشبهة ليس في دلالة اسم الفاعل على لحدوث ودلالة الصفة المشبهة على الثبوت، على نحو ما أشرنا من قبل، وإنما الاختلاف بينهما في علاقة الفاعل بالفعل، فما كان فاعله حقيقياً، كان الوصف منه على (فاعل) وما كان فاعله غير حقيقي كان الوصف منه على غير (فاعل)^(١)

وثمة ملاحظة هـ يقال إنها تعترض النتيجة التي انتهينا إليها في هذا البحث! وهي أن علماء العربية يقولون. إن الصفة المشبهة تدل على الماضي المتصل بالخاص، ولا تدل على المستقبل، فإذا أُريد بها ذلك حُوِّلَتْ إلى (فاعل)، قال سيبويه «وأما فاعل من عَوِزَتْ، فإذا قالوا فاعلٌ عدوّ، قالوا عاوِزٌ عداءً»^(٢) وذكر ذلك الفراء في «معاني القرآن» أيضاً، ومما قاله «وهو كريم إذا كان موصوفاً بالكرم، فإن نويت كرمًا يكون منه في ما يستقل قلت كرم»^(٣)

ونستُ على يقين من أن تحويل الصفة المشبهة إلى صيغة فاعل إذا أُريد بها المستقبل شيءٌ مسموعٌ عن العرب، وقد يكون أسراً أدّى إليه القيس، وتكون الإشارة إلى المستقبل مع الصفات المشبهة بحرف الاستقبال فيقال سوف يخسُرُ عداءً، أو سيكون حسباً، ومن ثمَّ يسقط الاعتراض، والله أعلم

وبعد، فهذا ما انتهى إليه اجتهادي، وأرجو أن يكون صواباً، وإن لم أوفق فيه إلى صواب فأدعو الله تعالى ألا يؤاخذني فقد بدلت ما أمكسي من الجهد.

(١) قد يدل على ذلك تعبر الوصف تعبر صيغة الفعل، مثل أدتْ يَأْدُتْ دع الغوم إلى مأدته، والوصف منه دت على فاعل، وأدب يَأْدُبُ فهو أديب، ومثله حسبتْ المال بحسبته فهو حاسبٌ، وحسب يخسب أنبصتْ حديثه من دأوه، فهو أحسب، وحسب يخسب فهو حسبب ومثله قدّم الغوم يقدّمهم، وقدّم من سهره يقدّم الوصف مهما قدم، وقدّم يقدّم فهو قديم، فالوصف بما كان الفعل عملاً يأتي على فاعل، وحين صار الفعل غير عمل تعبر وزن الصفة، بسبب تعبر نوع العلاقة بين الفعل وفاعله

(٢) انكتاب ٤ ٣٥٦

(٣) معاني القرآن ٧٢/٢

ورحوب أن أنقل إلى القراء والمهتمين بأمر العربية ما أحسب أنه فكرة جديدة
بالاهتمام في فهم العلاقة الاشتقاقية والدلالية بين اسم الفاعل والصيغة المشبهة
به هذا وأحر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر

إبراهيم أيس (دكتور) في اللهجات العربية، ط ٤، مكتبة الأنجلو المصرية
١٩٧٣م

لغة بين الفومة والعالميه، دار المعارف بمصر ١٩٧٠م

مستقبل اللغة العربية المشتركة، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٠م

من أسرار اللغة، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢م

إبراهيم السامرائي (دكتور) تاريخ العربية، دار الكتب، جامعة الموصل
١٩٧٧م

إبراهيم مصطفى إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،
القاهرة ١٩٥٩م

أحمد بن حنبل مسائل الإمام أحمد، رواية إسحاق بن إبراهيم
اليسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ

أحمد عبد المعصوم عطار الرحف على لغة القرآن، ط ١، بيروت ١٩٦٥م

- أحمد علم الدين الجدي (دكتور) اللهجات العربية في التراث، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٦٥م

- أحمد مطلوب (دكتور) دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات، ط ١، دار
البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م

أحمد نصيف الحياي (دكتور) ملامح من تاريخ اللغة العربية، دار الرشيد
للشعر، بغداد ١٩٨١م

لأحفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة). معاني القرآن، تحقيق د. هـ. ن. ورس، ط ٢، عمان ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

الأردني (محمد بن عبد الله) تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المعظم عبد الله عامر، مطابع سجل لعرب، القاهرة ١٩٧٠م

الأزهري (محمد بن أحمد) تهذيب اللغة، حققه جماعة، القاهرة ١٩٦٤م ١٩٦٧م

- الأشموي (محمد بن علي) شرح ألفية ابن مالك، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

أمير الحولي مشكلات حياتنا اللغوية، ط ٢، دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٥م

بن الأساري (محمد بن القاسم) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن، دمشق ١٩٧١م

أيس فريجة نظريات في اللغة، ط ١، دار لكتاب اللساني، ١٩٧٣م

- الباقلاوي (محمد بن الطيب) نكت الانتصار لنقل القرآن، حنصره محمد بن عبد الله الصيرفي، تحقيق د. محمد دعلول سلام، الاسكندرية ١٩٧١م

اسحاري (محمد بن إسماعيل) الجامع الصحيح، طبع محمد صبيح، القاهرة

بروكلمند (كرل) تاريخ الأدب العربي، ح ١، ترجمة عبد الحليم النجار، ط ٤، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م

فقه البعاط السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م

العدد، دي (عبد القادر بن عمر) حرارة الأدب ولب لسان العرب
تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مكتبة الحانجي، لقاهرة ١٩٧٩م

بلاشير (ريحس) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ترجمة د
حبيب كيلاني، دار الفكر، بيروت ١٩٥٦م

القران بروه، تدويه، ترجمته، تأثيره، ترجمة رص سعاده، ط ١، بيروت
١٩٧٤م

الب، الدمياطي (أحمد بن محمد) إنحاف فصلاء الشر، القاهرة ١٩٥٩م

تمام حسن (دكتور) الأصول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م

اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م

اللغة العربية معنها ومساها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

مباحح البحث في اللغة، در الثقافة، الدار البضاء ١٩٧٤م

الجحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) اللسان والنسير، تحقيق عبد السلام
محمد هارون، ط ٥، مكتبة الحانجي، القاهرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

- ابن الحرري (أبو الحير محمد بن محمد) تحير التبير، ط ١، در الوعي
بجلب ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م

عدة الهدية في طلمات القراء، تحقيق برجستراسر، مكتبة الحانجي، القاهرة
١٩٣٢م

البشر في القراءات العشر، مطبعة مصطفى محمد بمصر

- بن حني (أبو الفتح عثمان) سر صاعة الإعراب، ح ١، تحقيق مصطفى
السقا وأحرين، ط ١، مصطفى السابي الحلبي بمصر ١٩٥٤م

- جود عني (دكتور) بهحه القرآن الكريم، مجلة المجمع العلمي العربي،

مح ٣ ح ٢، ١٩٥٥م

الجواليقي (موهوب بن أحمد) المغرب من الكلام، الأعجمي، تحقيق
أحمد محمد شاكر، ط ٢، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

جورج موسى تاربيح علم اللغة، ترجمة د. بدر الدين وسم، مطبعة جامعة
دمشق ١٩٧٢م

الجوهري (إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد
عبد نعصور عطار، دار الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٦م

ابن حجر (أحمد بن علي) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المطبعة
السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ

- حسام سعيد السعيمي (دكتور) أصوات العربية بين التحور ولثاب، سلسلة
بيت الحكمة، جامعة بغداد ١٩٨٩م

- حسن طاطا (دكتور) اللسان واللسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دار
المعارف بمصر ١٩٧١م

حسن عون (دكتور) اللغة ولحوا، ط ١، الاسكندرية ١٩٥٢م

- الحلبي (عبد الواحد بن علي) مراتب الحويين، تحقيق محمد أبو الفصل
إبراهيم، القاهرة ١٩٥٥م

الحسني (محمد بن عبد سافي) رسالة في قراءة حفص، مخطوط، دار
صدام للمخطوطات، بغداد، الرقم ١٩٥٥م

أبو حيان، الأندلسي (محمد بن يوسف) البحر المحيط، الرياض (د ت)

الحطاب العدادي (أحمد بن علي) تاربيح بغداد، مطبعة السعادة، القاهرة
١٣٤٩هـ ١٩٣١م

ابن خلدون (عبد لرحسن بن محمد) تاربيح ابن خلدون (المقدمة)، دار

نكتات اللساني، بيروت ١٩٥٧م

حليفة بن حياط تاريخ حليفة، تحقيق سهل زكار، دمشق ١٩٦٧م.

حليل يحيى سامي (دكتور) دراسات في اللغة العربية، دار المعارف بمصر
١٩٧٤م

حليل إبراهيم حماش (دكتور) دراسات معاصرة في اللهجات العربية، بغداد
١٩٨٩م

- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) التيسير في الفراءات السبع، تحقيق
أونوبرنول استنسون ١٩٣٠م

- المحكم في نطق المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٠م
الموضح بمداهب القراء في افتح وإمالة، مخطوط في مكتبة عارف
حكمت بالمدينة رقمه ١٣ قراءات

دود عبده (دكتور) أبحاث في اللغة العربية، مكتبة لسان ١٩٧٣م

بن أبي داود (عبد الله بن سليمان) كتاب المصاحف، تحقيق ارثر جصري،
ط ١، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦م

ابن دريد (محمد بن الحسن) حمهرة اللغة، ط ١، حيدر آباد ١٣٤٥هـ

- لذهبي (محمد بن أحمد) معرفة القراء الكبار، دار الكتب الحديثة،
القاهرة ١٩٦٩م

- ميرزا الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد الجاوي، در الفكر

رشيد عبد الرحمن العبيدي (دكتور) مباحث في علم اللغة ولسانيات،
در شؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م

رمضان عبد التواب (دكتور) فصول في فقه العربية، ط ١، مكتبة در

الراث، القاهرة ١٩٧٣م

في التطور اللعوي، ط١، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

امدحل إني علم اللغة ومصحح البحث اللعوي، ط١، القاهرة ١٤٠٣هـ
١٩٨٢م

الريدي (أبو بكر محمد بن الحسن) طبقات الحويين واللعويين، تحقيق
محمد أبو الفصل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م

الرحاجي (عبد الرحمن بن إسحاق) مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام
محمد هارون، نكويث ١٩٦٢م

الإيصاح في علل النحو، دار المناس، بيروت ١٩٧٣م، تحقيق د مارن
المشارك

لوركشي (محمد بن عبد الله) الرهدان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو
الفصل إبراهيم، ط٢، عيسى السابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م

أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس) النوادر في اللغة، ط٢، دار الكتاب
العربي، بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

- ابن اسروح (محمد بن السري) كتاب نخط، تحقيق د عبد الحسين
بفتلي، مجلة المورد، مج٥، العدد الثالث ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

ابن سعد (محمد) الطبقات لكبرى، دار صادر، بيروت ١٩٥٧م

سعيد لأفعاي من حاصر اللغة العربية، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧١م

ابن سلام (محمد) طبقات الشعراء، ليدن ١٩١٣م

سلامه موسى السلاعة العصرية واللغة العربية، ط٤، القاهرة ١٩٦٤م

- السبوطي (حلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) الإتقان في علوم القرآن،

تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، ط ١، القاهرة ١٩٦٧م

- مرمر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم وأخري، دار
إحياء نكتب العربية، لقاهرة ١٩٥٨م

- همع لهوامع شرح جمع النوامع، صححه محمد بدر الدين لعلاني،
ط ١، الحانجي بمصر ١٣٢٧هـ

- أبو شامة (عد الرحمن بن إسماعيل) المرشد النوحير إلى علوم تنعلو
نكتات لعرب، تحقيق طيار التي قولاح، بيروت ١٩٧٥م

شوفي صيف (دكتور) تريح الأدب العربي (العصر بجاهلي)، ط ٣، در
المعارف بمصر

صاح أحمد العلي (دكتور) التظيمات لاحتماعية والاقتصادية في لصرة
في بقر الأول الهجري، ط ٣، دار مطبعة، بيروت ١٩٦٩م

صحي الصانح (دكتور) در سات في فقه اللغة، ط ٣، دار العلم للملايين
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

صهي ندين البعدادي (عد المؤمن بن عبد الحق) مراصد الاطلاع على
أسماء الأمكة وانقاع، تحقيق محمد النحاوي، ط ١، دار المعرفة، بيروت
١٣٧٣هـ ١٩٥٤م

الطري (محمد بن حرير) حامع لسان عن تأويل اي القراء، ط ٣،
مصطفى نسي النحلي، القاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م

طه حنن في الأدب بجاهلي، ط ١٠، در المعارف بمصر ١٩٦٩م

عائشة عد الرحمن (ذكورة ست الشاطيء) لغنا والحياة، دار المعارف
مصر ١٩٧١م

عد لرحمن أيوب (دكتور) نربية ولهحتها، معهد البحوث ودراسات

عربية، القاهرة ١٩٦٨م

عبد الصور شاهين (دكتور) في علم اللغة العام، ط٢، مطبعة المدي،
القاهرة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

المصحح الصوتي للغة العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م

عبد الراححي (دكتور) فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية،
بيروت ١٩٧٤م

لهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف ١٩٦٨م

- عدنان محمد سلمان (دكتور) دراسات في اللغة والنحو، جامعة بغداد
١٩٩١م

علم الدين السخاوي (علي بن محمد) جمال لقراء وكمال الإقراء، تحقيق
د علي حسين النوب، القاهرة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

علي عبد الواحد وافي (دكتور) فقه اللغة، ط٧، دار النهضة مصر، القاهرة
١٩٧٢م

عالم فاضل المصلي لهجة تميم وأثرها في العربة الموحدة، دار الحرية
نطاعه، بغداد ١٩٧٨م

عبد قنروي الحمد رسم المصحف، دراسة لعونة تاريخية، بغداد
١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، عمان، دار عمار ٢٠٠٤م

مخاضات في علوم لقراء، بغداد ١٤٠١هـ ١٩٨١م، عمان، دار عمار
٢٠٠٤م

الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد) كتاب الحروف، تحقيق محسن
مهدي، دار المشرف، بيروت ١٩٦٩م

ابن فارس (أحمد) الصحاح في فقه اللغة وسر العرب في كلامها،

تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى النابلي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م

فصل صالح سمراي (دكتور)

أ دراسات النحويّة والدعويّة عبد الرحمن شرقي، مطبعة الإرشاد، بغداد
١٩٨١م

ب معاني النحو، بيت الحكمة، جامعة بغداد ١٩٨٩م

الفراء (يحيى بن زياد) معاني القرآن، القاهرة ١٩٥٥م ١٩٧٢م

مدرّيس اللغة، ترجمة عبد الحميد الدوّحلي ومحمد انقصاب، مكتبة
لأهل مصر، القاهرة ١٩٥٠م

س فتية (عبد الله بن مسلم) تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد
صقر، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣م

لفرطبي (محمد بن أحمد) الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، دار الكتب
لمصرية، القاهرة ١٩٥٢م

المصطفي (علي بن يوسف) إسهاء الرواة على إسهاء النحاة، تحقيق محمد أبو
الفصل إبراهيم، ط ١، دار الكتب بمصرية ١٩٥٠م

كمال محمد بشر (دكتور) التفكير الدعوي بين القديم والحديث، دار
الثقافة العربية، القاهرة

دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ط ٢، دار المعارف، مصر ١٩٧١م
ماريو ناي أسس علم اللغة، ترجمه د أحمد مختار عمر، طرابلس، ليبيا
١٩٧٣م

مات انشر أصولها، طبعته، تطورها، ترجمة د صلاح العربي،
مؤسسة فرانكلين، القاهرة ١٩٧٠م

المبرك (بريتل) علم الأصوات، تعريب الدكتور عبد الصور شاهين،
مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٥م

- ابن معاهد (أحمد بن موسى) كتاب السبعة، تحقيق د شوقي صيف،
دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٧٢م

- محمد، الأنطاكي الوخير في فقه اللغة، مكتبة الشهاب، حلب ١٩٦٩م

محمد حسين الربيدي (دكتور) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة
في القرن الأول الهجري، القاهرة ١٩٧٠م

محمد محمد حسن (دكتور) لائحات الوطية في الأدب المعاصر،
ط ٢، مكتبة الأدب ١٣٨٢هـ

- محمد المبرك فقه اللغة وحصائص العربية، ط ٥، دار الفكر ١٩٧٢م

- محمد المرعشي جهد المقل في علم التجويد، مخطوط في دار صدام
المخطوطات رقمه (١١٠٦٨)، طبع في دار عمار، الأردن، تحقيق د سالم
فدوري الحمد

محمود السمران (دكتور)

أ علم اللغة مقدمه للمدرسة العربية، ط ٢، القاهرة

ب اللغة والمجتمع، رأي ومهج، ط ٢، دار المعارف ١٩٦٣م

محمود فهمي حجاري (دكتور) علم اللغة العربية، دار العلم للملايين،
بيروت ١٩٧٣م

لغة العربية عبر القرون، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٨م

المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٦م

- مصطفى صادق الرافعي تاريخ ادب العرب، ط ٢، مطبعة الاستقامة

١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م

المعركة بين اقديم والحديد (تحت راية القرآن)، ط٤، القاهرة ١٣٧٦هـ

١٩٥٦م

مكي بن أبي طالب التبصرة في القراءات السبع، تحقيق د محمد عوث
لسوي، ط٢، يومي ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

المرني (أبو الحسن) كتاب الحروف، تحقيق د محمود حسي ود
محمد حسن عواد، عمان ١٩٨٣م

ابن مطور (محمد بن مكرم) لسان العرب، طعة بولاق

- مهدي المحرومي مدرسة الكوفة، مصطفى الباني الحلبي بمصر ١٩٥٨م

ميشال ركيا (دكتور) الألسية، مبادئها وأعلامها، بيروت ١٩٨٠م

ناصر الدين لأسد (دكتور) مصادر الشعر الجاهلي، ط٥، دار لمعارف،
القاهرة ١٩٧٨م

الحاس (أحمد بن محمد) شرح القصائد التسع لمشهورات، تحقيق
أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

ابن النديم (محمد بن إسحاق) الفهرست، تحقيق دص تجدد، طهران
١٩٧١م

نور محمد ركيب سعيد (دكتورة) تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر،
مطبعة دار نشر الثقافة، مصر ١٩٦٤م

بولدكه (تيودور) اللغات السامية، ترجمة د رمضان عبد لتواب، دار
المهصه لعربية ١٩٦٣م

- هاشم الطعان (دكتور). الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة
الموحدة، دار الحرية، بغداد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

«نهمداني (الحسن بن أحمد) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي
الأكوع، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩م

بن وثيق (إبراهيم بن محمد) الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف،
تحقيق د. عامر فدوري الحمد، مطبعة العاني، بغداد ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
اس. ولاد (أحمد بن محمد بن الوليد) المقصور والممدود، ليدن
١٩٠٠م

اس. يعيش (يعيش بن علي) شرح المفصل، الطبعة المبررة بمصر
يوهان فث. العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د.
رمضان عبد التواب، مكتبة الحديث بمصر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد: تعريف اللغة	٧
الفصل الأول: قضايا تاريخية	١٣
١- النحو العربي قبل أبي الأسود الدؤلي	١٣
المبحث الأول: نشأة النحو العربي في الدراسات القديمة والمعاصرة ..	١٥
المبحث الثاني: النشاط اللغوي قبل أبي الأسود الدؤلي	٢٦
المبحث الثالث: نشأة النحو العربي ودور أبي الأسود الدؤلي فيها -	
نظرة جديدة	٣٩
٢- تكوّن العربية الفصحى	٥٣
المبحث الأول: آراء الدارسين في أصل العربية الفصحى	٥٥
المبحث الثاني: نزول القرآن بلسة قريش	٦٧
المبحث الثالث: الهمز في اللغة العربية	٧٨
المبحث الرابع: عربية الحجاز أصل العربية الفصحى	٨٩
المبحث الخامس: الشعر الجاهلي واللغة الفصحى	٩٥
المبحث السادس: علاقة العربية الفصحى بقراءة القرآن الكريم	١٠٥

الموضوع	رقم الصفحة
٣- ظاهرة الإعراب في ضوء رسم المصحف	١١٨
الفصل الأول: ظاهرة الإعراب عند علماء العربية واللغويين المحدثين	١٢٣
المبحث الأول: موقف علماء العربية	١٢٣
المبحث الثاني: موقف اللغويين المحدثين	١٣٠
الفصل الثاني: ظاهرة الإعراب في ضوء رسم المصحف	١٣٧
المبحث الأول: تاريخ رسم المصحف وأهميته في دراسة ظاهرة الإعراب	١٣٧
المبحث الثاني: دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحروف	١٤٣
المبحث الثالث: دلالة رسم المصحف على الإعراب بالحركات	١٥٢
الفصل الثاني: حاضر العربية ومستقبلها	١٧٣
١- العربية في العصر الحديث	١٧٣
المبحث الأول: مرحلة بدء الصراع	١٧٦
المبحث الثاني: مرحلة مواجهة الشبهات	١٨٣
المبحث الثالث: مرحلة معالجة المشكلات	١٩٤
٢- مستقبل اللغة العربية في ضوء قوانين التطور اللغوي	٢٠٥
المبحث الأول: دعاوى ليست علمية	٢٠٨
المبحث الثاني: حقيقة قوانين التطور اللغوي	٢١٣
المبحث الثالث: دور القرآن الكريم في ترجيح دعاوى التوحيد والثبات	٢١٩

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الرابع: مظاهر أثر وارتباط العربية بالقرآن الكريم.....	٢٢٣
الفصل الثالث: قضايا منهجية.....	٢٢٩
١- مناهج التأليف النحوي.....	٢٢٩
المبحث الأول: حدود الدرس النحوي.....	٢٣٢
المبحث الثاني: أهم مناهج التأليف في النحو.....	٢٣٨
المبحث الثالث: مناقشة واستنتاج.....	٢٤٦
٢- علم الصرف بين المعيارية والوصفية.....	٢٥٦
المبحث الأول: تعريف بمصطلحات عنوان البحث.....	٢٥٩
المبحث الثاني: جذور الوصفية العربية ومسيرتها.....	٢٦٨
المبحث الثالث: دعاوى الوصفين حول علم الصرف ومناقشتها.....	٢٧٣
خاتمة.....	٢٨٤
اشتقاق الوصف في العربية دراسة صرفية في العلاقة بين اسم الفاعل	
والصفة المشبهة.....	٢٨٦
مقدمة.....	٢٨٦
المبحث الأول: الاشتقاق والوصف - تعريف وتمهيد.....	٢٨٩
المبحث الثاني: دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة في المصادر	
اللغوية القديمة.....	٢٩٦

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثالث: دراسة اسم الفاعل والصفة المشبهة في كتب	
الصرف المنهجية	٣٠١
المبحث الرابع: مقومات الخطة المقترحة لدراسة الموضوع	٣٠٧
المصادر والمراجع	٣١٥
فهرس الموضوعات	٣٢٧